الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الاجتماعية و الإنسانية قسم: التاريخ

الفتنة الكبرى

جـذورهـــا و تـــداعيـاتـــــها

(12 – 41 هـ / 632 – 661 م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطالبتان:

الزهرة غدير ابراهيم

نـجـــاة تـــي

الأستاذ المشرف:

رابح رمضان

اللجنة المناقشة:

أ/ سليم حاج سعد	رئيسـا
أ/ رابح رمضان	مشرفا و مقررا
أ/ حميد زيدور	منـاقشـا

الموسم الجامعي: 1431-1432 هـ/2010-2011 م

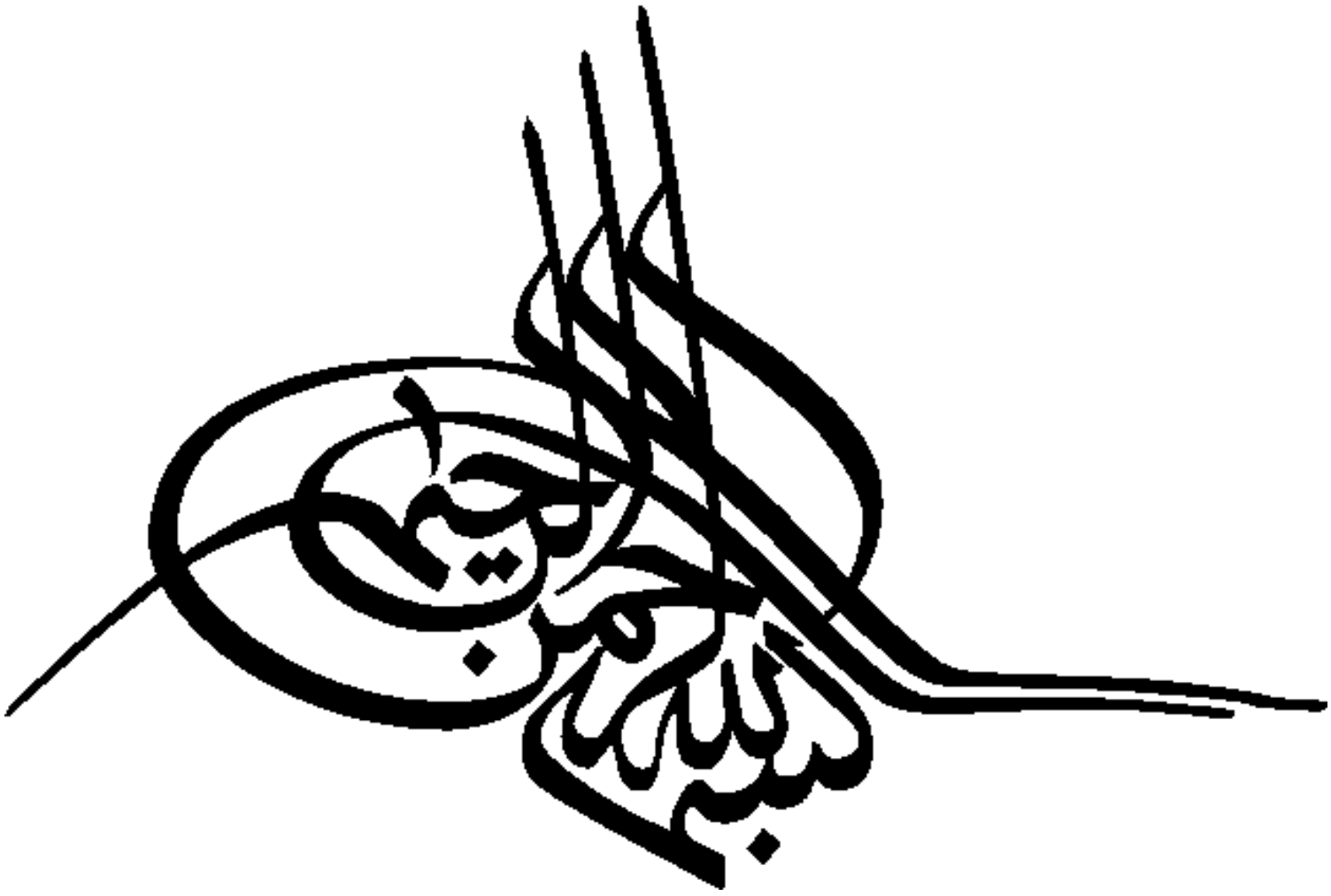
بسم الله الرحمن الرحيم

محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم

ثبت المختصرات

1.	ج	جزء
2.	ص	صفحة
3.	ط	طبعة
4.	ط و ن	الطبع و النشر
5.	(د ت ن)	دون تاريخ نشر
6.	(د ب ن)	دون بلد نشر
7.	(د د ن)	دون دار نشر
8.	شر	شرح
9.	تر	ترتيب
10.	هـ	هجري
11.	م	ميلادي
12.	ت	توفي
13.	تر	ترجمة
14.	تح	تحقيق
15.	تص	تصحيح
16.	مج	المجلد
17.	ض	ضبط
18.	ب	الباب
19.	ق	القسم
20.	س	السفر
21.	تق	تقديم

شكر و عرفان

الشكر أولا و آخرا للذي ثبتني على العزيمة و الإرادة و كتب لي الوصول ببحثي إلى النهاية – الحي الذي لا يموت–.

ثم أتقدم بخالص شكري و امتناني إلى من زرعا من العلم بذرة في قلبي ثم سقياها بتقديم يد العون والداي و قرتا عيني.

و لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم جزيل شكري إلى من عرفته من خلال إشرافه علي بهتي صاحب الفضول العلمي و الخلق الراقي الذي كان لي مرشداً و نصيحا طوال العام – له كل الاحترام رعاه الله و جعله في العلم علماً "الأستاذ عبد الحميد العابد".

ثم شكري إلى من كانوا لي سنداً في أصعب الظروف فقووا في العزيمة على طرح المواضيع:

أ/ معاذ عمراني، أ/ سليم الحاج سعد، د/ قمعون عاشوري، د/ محمد السعيد عقيب و لا يجب أن ننسى شكر أولائك اللذين علمونا الجد في العمل و الإصرار على الهدف: أ/شافو رضوان، د.محمد السعيد عقيب، أ/الشاعر السعيد قعر المثرد، أ/محمد بركات، أ/سليم الحاج سعد، أ/عثمان زقب، أ/بالفردي جمال، أ/معمر معمري، أ/معاذ عمراني، أ/السعيد عقيب، أ/لخضر عواريب، أ/نويوة واعظ، أ/عبد الرؤوف ثامر، أ/عثماني الجباري، أ/هواري مختاري، د/غنابزية علي د/قمعون عاشوري، أ/غرايسة عمار، أ/ نصيب عتيقة، أ/عمان صبرينة، الأستاذ الذي عرفته مناقشا أ/جراية محمد رشدي.

كما أخص بالشكر مكتبة الأستاذ محمد سالمي و باقي عمال الزاوية سيدي سالم و كذا عمال الزاوية التجانية بقمار و حنان حرزولي آسيا العايش فوزية تاتا مباركة زوبيدي على تقديمهم يد المساعـــدة

و جازى الله كل من أعانني و لو بكلمة

مقدمة

مقدمة

عقب غياب مؤسسها النبي ﷺ واجهت الدولة تحديات كبرى استطاعت التغلب عليها بفضل حكمة قائدها أبي بكر الذي عقب وفاته باتت الأمور تبدو أنها تسير في مسار صحيح في عهد عمر و عهد عثمان بعد أن اكتسحت الجيوش المسلمة إمبراطوريات العالم الوسيط الفارسية و الرومانية (البيزنطية) و حققت في ظرف وجيز ما لم يتحقق للأمة قبل هذا العهد، و بعد أن تدفق إلى بيت مال المسلمين أموالا لم ترها عين عربي قبل و لم يدم استقرار الأمة طويلا إذ ما لبثت حتى دب التذمر في أوصالها، و لقد كانت بدايته بمقتل عمر الذي ساس رعيته بالعدل و الحزم، و قد حدث تتابع وقائع دراماتيكية متسارعة من مقتل هذا الأخير إلى الثورة على عثمان في ظروف وجيزة، و توالت الفتن بداية بخروج طلحة و الزبير و عائشة على علي، لتنتهي بمواجهة حاسمة بين علي و معاوية، شدت فيها الأمة أنفاسها، و لم تنتهي الأمور عند الصراع بينهما بل تعدته إلى انقسام الأمة الإسلامية على نفسها.

- فكيف جرت التحولات؟ و لماذا عجزت الأمة عن السيطرة على الوضع؟.

لقد توالت الفتن على الأمة الإسلامية التي كانت بدايتها بالثورة على عثمان فالخروج على علي الذي أسفر عن ظهور تحولات كانت بدايتها بتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وبذلك دخلت الدولة الإسلامية مرحلة جديدة من حياتها، طوت على أثرها عهد النظام الشورى لتفتح صفحة جديدة ميزها نمط جديد تجسد في طابع النظام الملكي الأسري، لم ينته عند الدولة الأموية بل بات تقليدا لدى باقي الخلافات التي توالت على الحكم الإسلامي.

إن التحولات التي طرأت على نظام الحكم الإسلامي بداية بالعهد الأموي لم تكن إلا حصيلة أسفرت عنها أهم محطات التاريخ الإسلامي على الإطلاق والمتمثلة في ما عرف بالفتنة الكبرى بين علي وأشياعه ومعاوية وأنصاره ولأن هذه الأخيرة كانت المنطلق الأول نحو تغيير جذري فعلي في العالم الإسلامي إذ مست شتى ميادينه السياسية بل

والدينية منها أيضا مسفرة بذلك عن نتائج مازالت تلازم دولة الأمة الإسلامية إلى وقتها الحالي، لذلك فقد عدت منه اعقد قضايا التاريخ الإسلامي ولأن تلك الأخيرة جاءت نتيجة لظروف سبقتها فهي بالتالي متصلة ومرتبطة أشد الارتباط.

إن فهم الفتنة الكبرى وكيفية الانقلاب في نظام الحكم الذي أسفرت عنه يدفعنا بالضرورة إلى الوقوف على أسباب تلك الأخيرة وتفحص الفترة السالفة لها نظرا الارتباط الوثيق بينها ي محاولة لمعرفة الأسباب الحقيقية لهذا الانقلاب والتي لا يمكن فهمها إلا عن طريق فهم مواقف أطرافها السبب المباشر لها ألا وهو الثورة على عثمان ولأن الفتنة كانت حصيلة لسلسلة من الوقائع التاريخية.

فهل كانت أسباب التذمر وليدة عهد عثمان أم أنها وجدت فيه فرصة للتعبير عن حالها؟ و فيما تتجلى أسبابها الظاهرة والخفية؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبارها المسؤول الأول عن التحول في نظام الحكم الإسلامي؟.

و للإجابة على هذه الإشكاليات سنحاول التطرق إلى الفتنة الكبرى بدراسة تعتمد بشكل كبير على التحليل عائدين بها إلى جذورها الأولى للتعرف على كيفية تشكل السلطة في نظام الحكم الإسلامي وطبيعتها عقب غياب مؤسسها الرسول ﷺ ومدى علاقة هذه الأخيرة بنشوء التذمر ثم دراسة تداعياتها مرورا بأهم محطة في محطات التاريخ الإسلامي المتمثلة في الثورة على عثمان.

ولأن الفتنة الكبرى تعد أهم محطات التاريخ الإسلامي على الإطلاق اعتبار إياهم نتائجها والمتمثلة في الانقسام الداخلي للأمة الذي سيحمل على عاتقه ثقل تلك الأخيرة إلى مرحلة جديدة من حياتها ذات تحول جذري على جميع الأصعدة سياسيا–دينيا –اجتماعيا فقد أفضى كل ذلك إلى اهتمام المؤرخين بدراستها منذ أول ظهور لحركات التأليف الإسلامي ولان تدوينها جاء في وقت انقسم فيه المسلمون إلى مذاهب فترات لاحقة فقد تحكمت في طرحها النزعة المذهبية فضلا عن الظروف السياسية لزمن تأليفها فجاءت المؤلفات القريبة من العهد الأموي لتفصح عن شعور بالعداوة لهم نتيجة الظروف السياسية

وتسفهم أما مذهبيا فقد راح غلاة الشيعة مثلا يبالغون في اتهام الأطراف الخارجة على علي إلى تبرير مواقف الصحابة معتمدين في طرحهم على الجانب الديني العقدي وعلى أساس هذا الاختلاف في المصادر الأولى المؤرخة للحادثة جاء تضارب محدثين المؤرخين وبالمقابل لم تخل بعض دراسات المستشرقين من المبالغة في إتهام طرف وأخر، غير أن أهم ما ميز المؤلفات الحديثة على وجه الخصوص أثناء محاولتها لتقسيم أسباب الفتنة ، تصوير عثمان بالرجل الضعيف المستأثر بالحكم مع ذويه بنو أمية ثم تصوير معاوية من بعده بالمخادع مغتصب السلطة بالحيلة كل ذلك ولد لدي رغبة جامحة للخوض في أسباب الفتنة وخلفياتها في محاولة لتتبع جذورها الأولى للوصول إلى كيفية التشتت المذهبي ثم التحول السياسي للعالم الإسلامي.

المنهج:

ولقد اعتمدت دراستنا على المنهج التاريخي إلى جانب الوصفي المتلائم لسرد مجريات الأحداث كوقعة الجمل والتحليلي المناسب لمناقشة بعض روايات المصادر وأراء المؤرخين للوصول إلى مدى مصداقيتها كأسباب الخروج على علي في وقعة الجمل فضلا عن المنهج النقدي وفق ما يتلاءم نقد بعض الروايات غير المنطقية كمجريات التحكيم على سبيل المثال.

الأهداف:

ويكمن هدفي من دراسة الفتنة الكبرى في التعرف على حقائق مجرياتها والتحولات المنبثقة عنها و التعرف على مدى تقبل المنطق لروايات المصادر والتوصل إلى أسباب تضاربها أن هدفي التخلص من أراء المؤرخين التي يشوبها البعد عن المنطق والمبالغة في كثير من الأحيان.

نقد المصادر:

ولتبدو الدراسة أكثر مصداقية في عرضها للأحداث فقد ركزنا فيها على جملة من المصادر التي استطعنا الحصول عليها معتمدين في ذلك على:

ابن جرير الطبري الذي يعتبر من أهم المصادر و التي تعرف الروايات دون تحيز أو ذاتية.

ابن بحر الجاحظ (ت 255هـ) الذي يبدو كتابه العثمانية الأكثر وضوحا في طرحه للوقائع التاريخية غير أننا لمسنا فيه تناقضات فيما يخص أحقية علي بالخلافة من غيره ففي الوقت الذي احتج فيه بأحقيتها لأبي بكر يعود ليحتج بأسبقية علي بالإسلام و يؤكد أولوية السابقة الدينية وغيرهما فمؤلفات الجاحظ تبدوا أكثر قربا من الموضوعية وهو كغيره من مؤرخين عصره يعتمد على الرواية الشفوية والشعر منها خصوصا.

ثم يأتي كتاب الإمامة والسياسة المنسوب إلى ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) ورغم الشكوك التي تدور حول نسبته إليه إلا أننا تعمدنا التركيز عليه لمقارنة رواياته مع باقي روايات المؤرخين من جهة وكتاب المعارف لابن قتيبة من جهة ثانية، ولقد لمسنا في كتاب الإمامة التحيز لعلي وآل البيت كثيرا ما لاحظنا بصفة عامة ما يظهره بمظهر الرجل المظلوم البريء من كل ما تنسبه إليه روايات المؤرخين خاصة أيام الثورة على عثمان فتجده يذهب إلى القول بخروجه من المدينة عند وصوله خبر مقدم الثوار إليها تبرئه لموقفه من عثمان ،وبالمقابل كثيرا ما نجده يعمد إلى اتهام أطراف أخرى في مواقفها من الثورة على عثمان ،ولقد لا حظنا أنها مست الأطراف الخارجية على علي :طلحة والزبير ومعاوية وكذا عائشة التي صور القطيعة بينها وبين علي عقب واقعة الجمل ،بل ذهب إلى القول بدعائها عليه عند خروجها إلى المدينة وهذه الرواية لم نجدها عند غيره ،هذا فضلا عن التناقضات و الاضطرابات التي تبدو جلية في رواياته التي كثيرا ما يحاول طرح رأيه الذي غالبا ما يعارض مع ما جاء في كتاب المعارف هو ما جعلنا نشك في نسبه لأي مؤلف شيعي متطرف متحامل في التحيز لعلي ،فيما يبدو كتاب المعارف أكثر موضوعية مقارنة به.

وفي نفس الفترة الزمنية نجد أن يحي البلاذري (ت 279هـ) أكثر تفصيلا لمجريات الأهداف والذي يبدوا في مؤلفه أنساب الأشراف أكثر اقترابا من الموضوعية وأكثر المصادر اعتمادا على التسلسل الزمني والمنطقي للأحداث على الرغم من تفضيله وعلى نفس المناهج تقريبا جاء كتابه فتوح البلدان الذي يعتمد على التفصيل في الأحداث مركزا في طرحه على تسلسلها الزمني.

وبالمقابل نجد ابن داود الدينوري (ت 286هـ) يكتفي في كتابه الأخيار الطوال بعرض سريع لمجريات الأحداث أيام أبي بكر وعمر فيما أختصر الثورة على عثمان في أسبابها التي أرجعها إلى توليته أقاربه و استحداثه لأمور لم ترض عنها رعيته وتاريخ الحادثة ثم يخوض في تفاصيل الصراع بين علي والخارجين عليه سواء ثلاثي الجمل أو معاوية فضلا عن الخوارج من جيشه ولم نلمس فيه التحيز إلى طرف معين وغير بعيد عن زمن هؤلاء المؤرخين يأتي ابن إسماعيل الأشعري (ت 330هـ)، ليعرض الأحداث بطريقة نلمس فيها الميول الفقهية والتحيز بتبرير مواقف أصحاب الجمل من هذا الباب فيما يعرض آراءه في الأحداث دون الخوض في تفاصيل مجرياتها ولقد لاحظنا في مؤلفه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحامله على ما وصفه بمهزلة التحكيم.

وقريبا جدا من زمنه نجد أبن علي المسعودي (ت 346هـ) يطرح الحادثة بطريقة أقرب إلى المنهج التاريخي الذي عرفه عهده معتمدا في ذلك على عدد من الرواة في إخباره التي تلمسنا فيه الابتعاد عن الذاتية والتحيز لجهة أو طرف ما خاصة أيام الثورة على عثمان ،وعلى العكس من ذلك كثير ما يحاول اليعقوبي (ت) توجيه أصابع الاتهام إلى طلحة والزبير خصوصا منذ أيام الثورة على عثمان وكثيرا ما يحاول إظهار علي بصاحب الحق سواء أيام الثورة على عثمان أو الفتنة الكبرى مرورا بوقفة الجمل ،والغامض في هذا المصدر تجاوز التطرق إلى موقف علي من بيعة أبي بكر وعمر ثم يبدوا تحيزه إليه جليا في معركة الجمل بل أنفرد في عرضها بما يؤكد ذلك مثل إنكاره تفاوض الطرفين بشأن الصلح والذي تقربه جل المصادر وبالمقابل يذهب إلى جعل الفتنة

بين الطرفين من صنع جيش عائشة لكنه لم يخالف المصادر في عودة الاتفاق بين عائشة التي تحامل عليها وبين علي ،فيما يصور معاوية أيام صفيت على انه الرجل الضعيف أمام علي الذي وصف جيشه بصادق الثبات في القتال لذلك حاول تصوير اللجوء إلى التحكيم على أنها الخدعة والمكيدة و الإيقاع بعلي فيما طرح أبن العربي(ت 543هـ) في كتابه العواصم من القواصم الطرح الفقهي الهادف إلى تبرير ومحاولة تبرئة كل ما روي من أمر الصحابة أيام الفتنة زمن عثمان وبعدها فيما عرف بالصراع بين علي ومعاوية إذ كثيرا ما يفند ما نسبه إليهم وإلى بني أمية بطريقة تميل إلى الذين أكثر من التاريخ معتمدا في ذلك على أحاديث نبوية.

وإذا ما ابتعدنا أكثر عن زمن الحادثة فسنجد المصادر تقترب في غالبتها من الموضوعية و الابتعاد عن التحييز غير أنها لا تبعد عن فالذهب (ت 748 هـ) في كتابه تاريخ الإسلام وكذا ابن جهر العسقلاني (ت 773 هـ) في كتابه تذيب التهذيب وأبن كثير (ت 774هـ) والسيوطي (ت 911هـ) في كتابه تاريخ الخلفاء وطبقات الحفاظ ثم تأتي المؤلفات الأبعد عن زمن الحادثة من أمثال الذهبي (ت 748هـ) أبن حجر العسقلاني ثم السيوطي (ت 911 هـ) لتكون أكثر ابتعاد عن التحيز مكتفية بغرض الأحداث مأخوذة عن مؤلفي الجيل الذي سبقهم من أمثال الطبري (ت 310هـ) وابن قتيبة (276 هـ) ويبقى ابن كثير (ت 774هـ) ميالا في كتابه البداية والنهاية إلى الجاني الفقهي في طرحه للأحداث التي أخذها غالبا من سبقوه خاصة أبن عساكر (571هـ) والطبري ونلمس في مؤلفه نوعا من الذاتي في تبرير مواقف الصحابة ماعدا ما لاحظناه من تحامله على عمرو بن العاص الذي جعله إليه السبب المباشر للثورة على عثمان بتأليبه للمصريين.

وتبقى كتب التراجم مثل: ابن قدامة المقدسين(ت 620هـ) الأمصار في نسب الصحابة من الأنصار وكذا سير أعلام النبلاء للذهب وتراجم العمقلاني: تقريب التهذيب تهذيب التهذيب أكثر مصداقية في ذكر الأخبار وتختلف في طبيعة التصنيف المعتمد مثل

:الألف بأي وزمن الشخصيات أو الطبقات مثل: طبقات ابن سعد، أما معالم البلدان فيبقى ياقوت الحموري معجم البلدان أكثرها تحديدا للمواضع وتفصيلا، ولأن أبعاد الفتنة الكبرى لا تزال ممتدة في العالم الإسلامي المعاصر فقد حاول الكثير من المؤرخين المعاصرين دراستها بطرق أكثر اتجاها للمنهج التاريخي من أمثال لطيفة البكاي في كتابه حركة الخوارج إلى جانب عدد من الفلاسفة الذين خاضوا فيها مثل: محمد عابد الجابري ،نقد للعقل العربي وعلى سعد الله ،نظرية الدولة في الفكر الخلدوني لكن دراساتهم ركزت على إرجاع أسبابها إلى مثل العصبية القبلية حسب سعد الله والجابري فإلى أي مدى يمكن تقبل العصبية قبول هذا الطرح؟

تقديم الفصول:

ولكي تبدو الدراسة أكثر وضوحا ارتأينا تناولها في شكل خطة منهجية تتوافق وطبيعة طرحنا للموضوع مقسمين إياها إلى مدخل و ثلاثة فصول:

تطرقنا في المدخل إلى:

- التشكـــــل الأول للسلطـــة و انعكاساته على الاقتصاد والمجتمع.
- عرضنا في أولها الإرهاصات الأولى لظهور التذمر.
- فيما خصصنا ثانيها لدراسة مجريات الثورة على عثمان بأسبابها ومراحلها وكذا المواقف المختلفة منها.
- و تركنا الفصل الأخير لعرض كيفية حدوث انقسام الأمة وأسبابه الحقيقية.

ولقد فرضت علينا طبيعة دراسة الموضوع تناوله في هذه الخطة، إذ لا يمكن التعرف على كيفية قيام السلطة في الدولة الإسلامية إلا من خلال نظرة على شكلها عقب وفاة مؤسسها ثم دراستها من حيث كونها تعبر عن أول ميلاد للتوتر بعد قيام الدولة والذي تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام فيما عرف بأيام العرب، ثم أن تحتم علينا الدراسة المرور بعهد عمر للتعرف عن أسباب تحكمه في زمام الأمور وكبحه جماح الفتنة وكذا

علاقة التحولات التي شهدها عهده باختيار عثمان للخلافة من بعده ثم الثورة عليه لا حقا مرورا بمقتل عمر الذي يحمل في ثناياه مدلولات كثيرة ذات ارتباط وثيق باختيار عثمان والثورة عليه، ولأن الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية كان سببها الظاهر مقتل عثمان والمطالبة بدمه إذن فمن الضروري الوقوف عند الثورة عليه بشيء من التحليل لأسبابها ومواقف أطراف الفتنة الكبرى أيام الثورة عليه ،ولأن الخروج على علي يجمل في مدلولات كثيرة لعل أهمها رفض بعض الأطراف بيعته و اختلاف الروايات في عرضها للأحداث فإن هذا يجبرنا بالضرورة إلى تأجيل الحديث على أسباب الخروج عليه إلى حين فراغ من سرد أحداث المعركة لتكون الأمور أكثر وضوحا فالمجريات تمثل إجلاء للغموض على الأسباب.

الصعوبات:

و لقد اعترضتنا دراستنا للموضوع صعوبات جمة لعل أعظمها تلك التي كان يمكن أن تمثل عائقا لدراستنا والمتمثلة أساسا في التعقيد للموضع فهو متداخل الأحداث وشائك ويحتاج إلى تمحيص وتدقيق كبيرين خاصة أنه يعرف تناقضا و اختلاف في آراء المؤرخين و اضطرابا في روايات المصادر بل داخل المصدر الواحد أحيانا كثيرة فضلا عن تحكم النزعة المذهبية والظروف السياسية في روايات كثيرة من المصادر مما أوقعنا في مشكل الترجيح خاصة بين غلاة الشيعة وفقهاء السنة فضلا عن عدم توصلنا إلى تراجم كثيرة من الشخصيات الفاعلة.

مدخل: الجذور التاريخية لتكون السلطة في الدولة الإسلامية:

ابتليت الدولة الإسلامية أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان [1] بفتنة هوجاء هزت أركانها، و شكلت منعطفا حاسما في تاريخ الدولة الإسلامية نتيجة لأبعادها المتمثلة أساسا في الصراع السياسي الذي أسفر عن ظهور تشتت سياسي للأمة الإسلامية فيما عرف بالفرق الدينية التي ما لبثت حتى أعلنت عن نزعتها السياسية [2] و لكونها مثلت نقطة تحول في تاريخ الخلافة الإسلامية فقد أصطلح عليها المؤرخون الأوائل بالفتنة الكبرى، و نظرا لأهميتها المذكورة سلفا و كذا التعقيد المسيطر على مجرياتها فقد أثارت اهتمام المؤرخين القدامى منهم و المحدثين فدرسوها محاولين إيجاد تفسيرات مقنعة و على الرغم من تضارب تحليلاتهم و اختلاف تفاسيرهم إلا أن جلهم اتفقوا على أنها نتائج التحولات الاقتصادية و الاجتماعية التي عرفتها الدولة أواخر عهد عثمان بن عفان و انفجارها باسم العقيدة و الدين في إطار رفضها لسياسة الخليفة، لكن المتأمل في البنية الاجتماعية و الاقتصادية أيام ظهور الفتنة يدرك أنها لم تكن سوى ترسبات لأوضاع عرفتها الدولة قبل هذا العهد لذلك فإن التعرف على حقيقة العوامل التي فجرت الفتنة في عهد عثمان بن عفان دون غيره يدفعنا بالضرورة إلى تتبع جذورها من خلال تحليل ظروف الدولة الإسلامية عقب غياب مؤسسها النبي ﷺ لمعرفة العلاقة بين السلطة المركزية بالمدينة و المناطق الخاضعة لها تحت راية الإسلام وذالك من خلال تحليلنا لنظرة العرب للخلافة و كذا العلاقة بين الدين والدولة في نظر هؤلاء، و لعل ذلك يبدو جليا من خلال حدثين هامين يتجسدان في كل من بيعة السقيفة التي وضحت و جهة نظر

---

[1] عثمان بن عفان: الخليفة الراشدي الثالث، الأموي، من السابقين الأولين، و أحد العشرة المبشرين بالجنة، ينظر ترجمته: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، أفشادات، (د ب ت)، ص 150– 151، ابن الجوزي، صفة الصفوة، تح: ابراهيم رمضان و سعيد اللحام، ط1، مج (1– 2)، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989 ص 150 – 162، أحمد الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، تح:عيسى الحميري، دار العرب الإسلامي، بيروت، (د ت ن)، ص 280 – 319.

[2] ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل و النحل، ج1، (د د ت)، (د ب ن)، (د ت ن)، ابن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية بيروت 1990 (د ت ن)، ص 280 – 319.

كل من المهـــــاجرين و الأنصار [1] للخلافة و كذا ارتداد العرب عن الإسلام الذي يبين العلاقة بين السلطة في المدينة و العرب الخاضعين لها، و ليس هدفنا هنا سرد وقائع الحدثين بقدر ما يهمنا تحليل منطلقات الخلاف و أبعاده في انفجار الفتنة، فعلى الرغم من أن النبي ﷺ قد استطاع بناء دولته التي شملت جل الجزيرة العربية على أساس الدين كمقوم لتنظيم المسلمين داخل الدولة بغض النـــــــظر عن اختلافاتهم القبلية من مبدأ قوله ﷺ: **<<لا فرق بين عربي على أعجمي إلا بالتقوى>>** ، و لأن الجند و المال أهم العناصر التي ترتكز عليها الدول ، أو بعبارة أخرى يعتبران أساس نشأتهما كما يقر ابن خلدون[2] لذلك فإن الإسلام ركز في بناء دولته على الزكاة و الجهاد.

فقد انطوت مختلف بطون القبائل العربية تحت لوائه، ورغم توحدها تحت راية الإسلام إلا أن العصبية القبلية التي ميزت الطبيعة العربية منذ غابر عهودها كثيرا ما كانت تعبر عن حالها في مواقف عدة أيام الرسول ﷺ إلا أنها لم تبلغ حد الصراع، لكن بمجرد وفاته ﷺ كشفت العصبية القبلية عن حالها بحدة، و نلمسها في كل من بيعة السقيفة و حروب الردة[3] أين أعربت أطراف الصراع عن تمردها في إطار العصبية.

فأما بالنسبة لبيعة السقيفة [4] فبالرغم من كونها مجرد مشاورات لم تتجاوز حسب المؤرخين سوى فترة قصيرة من الزمن إلا أنها كانت ذات مدلولات كثيرة فقد عبرت عن وجهة نظر كل من المهاجرين و الأنصار في مسألة الخلافة من جهة ؛ومن جهة أخرى فقد حملت في طياتها صراع العصبيات القبلية بين المهاجرين و الأنصار من ناحية و بين قبائل كل طرف منهما من ناحية أخرى؛ ففيما يخص نظرة الطرفين للخلافة، فيبدو موقف

---

[1] المهاجرون: هم الأوائل الذين اسلموا وهاجروا مع الرسول إلى المدينة، و الأنصار: هم أهل يثرب من الأوس والخزرج الذين ناصروا الرسول ورحبوا به في بلداهم، ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية ط 4، دار الشهاب، باتنة 1987.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الفكر، بيروت، 2004، ص 288.

[3] ينظر الملحق: رقم 2، ص130.

[4] بيعة السقيفة: هي مشاورات حول الخلافة، كانت عقب وفاة الرسولﷺ، و سميت بذلك نسبة إلى سقيفة بني ساعدة التي حدثت فيها المشاورات: ينظر ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1949 م، ص 291 – 292، أبو المظفر الأسفرايني، التبصير في الدين، تح كمال يوسف الحوت، ط1، عالم الكتب، 1983 م، ص 20.

الأنصار واضحا من خلال مبادرتهم بالاجتما ع في سقيفة بني سَاعِدَة لانتخاب الخليفة [1]، و ينم موقفهم هذا عن خوفهم من ضياع الأمر من بين أيديهم إلى المهاجرين و ذلك على اعتبار أحقيتهم بالخلافة من منطلق تبنيهم للدعوة و إيوائهم للرسول ﷺ و أصحابه في وقت جاؤوا فيه مهاجرين فرار من اضطهاد قومهم [2]. و يتجلى ذلك في مقولة كبير الخزرج: **<<يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين و فضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب... ودانت بأسيافكم له العرب و توفاه الله تعالى و هو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به>>** [3]، هذا من جهة و من جهة أخرى فإنهم رأوا أحقيتهم في السيادة على مدينتهم و هدفهم حسب ابن خلدون التخلص من سيطرة قريش في إطار العصبية القبلية [4] من ناحية وتبنيهم الدعوة من جهة أخرى، و يتضح ذلك من خلال مخاطبتهم للمهاجرين بقولهم: **<<منا أمير ومنكم أمير>>** هذا بالنسبة لجانب الأنصار أما المهاجرين فقد رأوا أحقيتهم بها من باب أسبقيتهم في الدين و يتجلى ذالك في قول عمر بن الخطاب [5]:**<<إن الله بعث محمدا بالهدى فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما والناس لنا فيه تبع>>** [6] و من جهة أخرى فقد رأوا أولويتهم بالأمر من منطلق قرابتهم للرسول ﷺ إذ يروي في ذلك ابن عبد ربه أن عمر قال: **<<إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش>>** [7] فإذا ما عدنا إلى تحليل المواقف التي أسلفنا عرضها فسنجد أن موقف كلا من الطرفين ــ المهاجرين و الأنصار

---

[1] ابن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ط1،(د د ن)، القاهرة،(د ت ن)، ص 100.

[2] ابن إسماعيل النسائي، كتاب الوفاة، تح: أبو مهاجر، محمد السعيد زغلول، شكة الشهاب، الجزائر(د ت ن)، ص 19.

[3] ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيوت، 2009، ص 9.

[4] علي سعد الله، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، ط1، دار مجد لاوي، الأردن، 2003، ص 277.

[5] عمر بن الخطاب: بن نفيل القرشي، من بني عدي بن كعب، ثاني الخلفاء الراشدين، أسلم عام 6 هـ من النبوة و كان من المهاجرين إلى يثرب، أمه حنتمة بنت هاشم المخزومية: بنظر ترجمته: ابن برهان الدين الحلبي، ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د ت ن)، ص 323 – 324، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت ن)، ص 60، ابن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، 1989 ص 13.

[6] ابن الحسين الأصفهاني، الأغاني، تح، قصي الحسني، مكتبة الهلال، بيروت، 2002، ص، 221، و ابن قتيبة، نفس المصدر السابق، ج1، ص 10.

[7] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تص: أحمد أمين و آخرون، ج 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص 127.

ــ تحكمت فيه العصبية القبلية إلى جانب العقيدة في تحديد الأحقية في الخلافة، هذا فيما يخص الطرفين لكن الاختلاف عمقته العصبية ليكون داخل كل طرف فمن جانب الأنصار كان الاختلاف بين الأوس و الخزرج [1] قد عبر عن الصراع العصبي بينهما وهو ما يوضحه موقف البشير بن سعد [2] الذي نصح الأنصـــــار بالتنازل عن مبايعة سعد بن عبادة[3] قائلا: **<<فاتقوا الله و لا تنازعوهم – المهاجرين – ولا تخالفوهم>>،** و لعل موقف الأوس المؤيد للمهاجرين كان من منطلق خوفهم من تغلب الخزرج عليهم، و قد كانوا أندادا لهم قبل الإسلام، كذلك الأمر مع المهاجرين الذين مثل الصراع بينهم آل البيت من جهة وسائر قبائل قريش وحلفائها من جهة أخرى و ممثلهم أبو بكر،ولقد جاء موقفهم عقب اتفاق الأنصار على مبايعة أبي بكر مـــــع المهاجـــريـــن و يتجلى ذلك في اجماع المصادر على أن العباس بن عبد المطلب سارع إلى مبايعة علي و يروي ابن قتيبة في هذا الصدد أن العباس قال لعلي عقب وفاة الرسول ﷺ : **<<أبسط يدك أبايعك فيقال : "عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ﷺ و يبايعك أهل بيتـــك>>** . و على الرغم من إختلاف المصادر في سرد ردود أفعال علي إزاء طلب العباس إلا أن الراجح أنه رفض، لكن هذا لا يعني أن عليا قد سارع إلى مبايعة أبي بكر إذ اختلفت المصادر في موقفه من البيعة فمنهم من أورد أنه رفض مبايعته إلى حين وفاة فاطمة، فيما أكد البعـــض الآخـــر أنه تـــخلـــف عن البيعة الخاصة لكنه بايعه البيعة العامة في المسجد [4] بينما ذكر آخرون أن عليا سارع إلى مبايعة أبي بكر عقب فراغه من دفن الرسول ﷺ مباشرة إلا أن

---

[1] الأوس و الخزرج: و هم الأنصار، من بلد كهلان بن سبأ، من العرب القحطانية يلقبون بأبناء قيلة، كانوا قبل الإسلام في صراع دائم، ينظر: ابن سهل البلخي، البدء و التاريخ، ط 1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 62 – 63.

[2] البشير سعد: ابن ثعلبة من بني زيد مناة، يكنى بأبي النعمان، أنصاري، أوسي، شهد العقبة و بدرا، قتل مع خالد بن الوليد بعين التمر القريبة من الأنبار، غرب الكوفة، ينظر ترجمته: ابن قدامة المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار،تح: على نويهض، دار الذكر، (د ب ن)، (د ت ن)، ص 121.

[3] سعد بن عبادة: ابن ديلم كبير الخزرج من بني ساعدة، أحد النقباء العشرة، شهد بيعة العقبة الثانية، ينظر ترجمته: ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، ج 1، دار صادر بيوت، 1980، ص 90، نفس المصدر السابق، ص 118، و ابن قدامة المقدسي، نفسه، ص 100.

[4] ابن بكار: جمهرة نسب قريش واخبارها، شر: محمود محمد شاكر، مكتبة خياط، بيروت، (د ت ن)، ص 237.

الأكيد هو مشاركة علي في ذي القصة [1]، لكن من جهة أخرى ورد ما يثبت أن بيته كان معتزلا للهاشميين الذين رفضوا البيعة لأبي بكر وهو ما تصوره جل المصادر التاريخية من خلال ردود أفعال عمر كمهدد بحرق الدار ــ بيت علـــي ــ [2] و ربما قد حوت روايات تلك المصادر مبالغات في هذا الخصوص إلا أن الأكيد هو تفتيش أبي بكر لدار فاطمة إذ جاء في قوله: **<<ثلاث فعلتهن ليتني كنت تركتهن ...تمنيت أني لم أقرب بيت علي و إن كان أعلن علي الحرب>>** [3].هذا ولم يكن بنو هاشم و حدهم من أثار مسألة الخلافة في آل البيت بل أن بنو أمية [4] هم كذلك رأوا أحقيقتها في الهاشميين وقد رويت في ذلك مواقف عديدة و أحاديث كثيرة تعبر عن ذلك منها ما جاء من قول أبي سفيان [5]: **<<حمالنا و لأبي فصيل[6]، و الله أني لأرى عجاجتا لا يطفئها إلا دم>>** كذلك قال خالد بن سعيد بن العـــاص [7] الذي تخلف عن بيعة أبي بكر: **<<يا بني عبد مناف، لقد طبتم نفسا عن أمركم يليه غيركم>>** و لعل موقف الأمويين هذا نابع من تغلب الهاشميين في تلك الفترة، لأن قرابتهم للنبي ﷺ تؤهلهم للخلافة بذلك أكثر من غيرهم، و هنا سيفضل الأمويون مساندتهم من باب سيادة قريش على العرب، فيما أوردت المصادر روايات منها الضعيف ومنها الصحيح حول موقف آل البيت الذي تمثله فاطمة إلا أن الأكيد هو

---

[1] ذي القصة: وقعت بنواحي المدينة: ينظر ابن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، تح بشار غواد معروف ،ط1 ،ج1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 30.

[2] ابن قتيبة الدينوري، الامامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 21.

[3] آل البيت: هم قرابة الرسولﷺ و يقصد بهم هنا الهاشميين: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962، ص ص 3-5.

[4] و بنو أمية: نسبة إلى أمية، و هم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من زعماء قريش، و هم اغلبهم من الطلقاء الذين أسم جلهم عند فتح مكة، ينظر: ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، مصدر سابق، ج1، ص 85.

[5] أبو سفيان، صخر بن حرب الأموي، أحد الطلقاء و هو كبيرهم، اسلم يوم فتح مكة، ينظر ترجمته: ابن الاثير، الاصابة ،مصدر سابق، ج3، ص 434.

[6] أبو فصيل: الفصيل يعني لغة ، و لد الناقة إذا فصل عن أمه و فصيلة الرجل رهطه، يقال جاؤوا بفصيلتهم أي: بأجمعهم، ابن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص 505، و ربما قصد به في النص كناية عن انفصال أبي بكر عن الرسول ﷺ بسبب و فاته.

[7] خالد بن سعيد بن العاص: بن أمية، القرشي الأموي، كنيته أبو سعيد، أسلم قديما فقيل ثالث أو رابع او خامس المسلمين، هاجر الى الحبشة ،ولاه الرسول ﷺ، وروي انه قال في تخلفه عن بيعة ابي بكر مخاطبا بني هاشم: أنكم لطوال الشجر، طيبوا الثمر ونحن تبع لكم، قتل بمرج الصفر زمن ابي بكر، ينظر ترجمته :ابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق ج2، ص83-84، ابن إسحاق الأصفهاني معرفة الصحابة تح: عامر حسن صبري، ط 1 ،ج1، (د د ن)، (د ب ن)، 2005، ص 276.

مطالبة فاطمة بالخلافة لزوجها باعتبارها إرثا من أبيها و يؤكد ذلك ما يرويه أبو بكر الأموي من أن تلك الأخيرة أتت أبا بكر تسأله قائلة: <<أفي الله ترث أباك ولا أرث أبي فكان رده بقوله ﷺ: **<<إنما نحن الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة>>** [1]، و إذا كانت فاطمة قد رفضت البيعة لأبي بكر كونها رأتها إرثا من أبيها فلا شك أن قريشا قد رأتها ضياعا لمكانتها و انهزامها أمام قبيلة تيم [2] الضعيفة، و لعل خير ما يوضح ذلك قول ابن عائشة:

و أضحت قريش بعد عز ومنعة خضوعا لتيم لا بضرب القواضي.

لقد عبرت العصبية عن حالها من خلال بيعة السقيفة كما أسلفنا و لم تنته العصبية القبلية برضوخ جميع الأطراف في نهاية المطاف إلى بيعة أبي بكر بل سيزداد خطرها فيما عرف بحروب الردة التي اختلف المؤرخون في تفسير دوافعها و عموما فقد قسموها إلى ثلاثة أصناف: مثل أولها مدعي النبوة، أما الصنف الثاني فقد أعلن رفضه لسلطة قريش معلنا عن بناء ملك خاص به، أما آخر هذه الأصناف فهم مانعوا الزكاة. و نظرا لأهميتها ارتأينا دراستها انطلاقا من علاقة المرتدين بمركز الدولة بالمدينة في إطار في علاقة الدين بالدولة فإذا كان الاثنان قد اجتمعا في شخص النبي ﷺ أيام حياته فالأجدر بنا انطلاقا من هذا التعرض إلى الأساس الذي بني عليه خضوع العرب للنبي ﷺ و دفعهم الزكاة له هل كان خضوعا دينيا روحيا أم سياسيا؟ إن حل هذا الإشكال يتوقف حسب رأينا على تحليل أسباب ارتداد كل صنف على حدى، و تجدر الإشارة إلى أن هدفنا ليس دراسة حروب الردة في حد ذاتها بل دراستها من حيث كونها تمثل الجذور الأولى للفتنة فبالنسبة للصنف الأول نجد أن المصادر تأكد بروز ظاهرة النبوة أواخر أيـــام النبـــي ﷺ

[1] أبو بكر الأموي المروزي، مستند أبي بكر، تح: شعيب الأرنؤوط، ط 2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1390 هـــ، ص 32، وقيل ان ذلك طلبا لإرث ارض ابيها ورغم ذلك فقد طالبت بالخلافة لزوجها وتوفيت دون أن تبايع أبا بكر.

[2] قبيلة تيم: بنو مرة، بن كعب، أبناء عمومة قريش و حلفائها، ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ط 2، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1948، ص 34.

و من أمثال هؤلاء الأسود بن عنترة العنسي [1] باليمن و كذا طليحة بن خويلد الأسدي [2] من نبي أسد المزعوم إلى جانب مسيلمة الكذاب [3] من حنيفة و غيرهم [4]، و لعل هذه الظاهرة تندرج ضمن مفهوم الدولة لدى هؤلاء و مدى ارتباطها بالدين، كذلك تدخل نظرتهم للنبوة في حد ذاتها ضمن هذا الإطار فقد شهدت الجزيرة العربية أوضاعا دينية مثلتها المعتقدات المنتشرة و ثنية و سماوية فنجد اليمن مثلا قد عرفت الكهانة نتيجة انتشار الديانة اليهودية بها إلى جانب انتشار ظاهرة الحنفاء ــ أتباع ديانة إبراهيم [5] عليه السلام ــ لذلك يمكن تفسير ظاهرة النبوة على أنها نابعة من فهمهم لها على أنها ظاهرة عادية فقد عرفوا قبيل البعثة انتشار رجال صالحين من الحنفاء الذين جاؤوا بأقوال مشابهة لما جاء به الرسول ﷺ حسب رأيهم و من أمثلة هؤلاء خالد بن سنان العبسي [6] الذي يروى في شأنه أن ابنته أتت النبي ﷺ فسمعته يقرأ قوله تعالى: **<<**قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢**>>**

فقالت: **<< كان أبي يقول هذا>>** [7]، كذلك زيد بن عمرو بن نفيل [8] الذي كان يسجع قائلا

---

[1] الأسود بن عنترة: هو الأسود بن كعب بن عوف العنسي، تكهن و ادعى النبوة فاتبعه بنو عنس، و هو زيد بن مالك من بني كهلان بن سبأ، تلقب الأسود برحمان اليمن، كما لقبوه بذي الحمار لن له حمارا ادعى يسجد بأمره، و قيل أن الأسود كنية له لسواد لونه و اسمه عيلة، ينظر ابن يحي البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق ص 111.

[2] طليحة بن خويلد: إبن نوفل، ادعى النبوة ثم اسلم وشارك في وقعة القادسية ايام عمر ينظر ترجمته: ابن داود الدينوري، الأخبار الطوال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2001، ص 174.

[3] مسيلمة الكذاب: و هو الذي لقب برحمان اليمامة، و قد ظهر بها، التقى النبي(ﷺ) و سمع منه القرآن ثم عاد إلى قومه و أعلن ارتداده، البلابل، نفس المصدر السابق، ص 112.

[4] ابن جابر البلاذري، نفسه، ص 111.

[5] ابن أحمد الأزرقي، أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار، تح: رشيدي ملحس، ط2، ج1، دار الثقافة، مكة، 1965، ص 370 – 374، و قد تأثير هؤلاء بظهيرة الكهانة، التي عرفتها الجزيرة العربية قبل الإسلام مثل: سطيح الذي كان يقسم بالشفق، و اليل إذا غسق، و الطارق إذا طرق و التأمل فيها يجد أن فيها نوع. من العلاقة بالديانة السماوية، ابن علي المسعودي ،أخبار الزمان، ط3، دار الأندلس بيروت، 1978، ص 14.

[6] خالد بن سنان: أحد الكهان الحنفاء.

[7] ابن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تح ،: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 2، ج2،السعادة ن و ت، مصر 1384 هـــ، ص 68، وذكر بعضهم ان النبي قال عنه: نبي أضاعه قومه، وقيل انه أتى النبي فقال له(ﷺ): **<<**مرحبا بابني اخي **–>>**، اختلف فيه والراجح أنه رجل صالح لأن النبي أخبر أن ليس بينه وبين عيسى (ع) نبي، إبن كثير ، السيرة النبوية، تح: مصطفي عبد الواحد، ج 1، مطبعة عيسى الحلبي القاهرة، 1964، ص 105 –106.

[8] زيد بن عمرو بن نفيل: ابن عم عمر بن الخطاب، و هو حنفي، أدرك النبي(ﷺ) فبل بعثته، محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص 156.

عند دخوله الكعبة **<<لبيك حقا حقا تعبدا ورقا.. لبيك لا شريك لك ولا ند لك>>** [1] و لأنهم ألفوا الكهانة في وقت أشاع فيه أهل الكتاب أن موعد بعثة النبي الجديد قد أشرقت و فلعل هذا ما جعلهم يدعون النبوة من منطلق أنها في متناول الجميع [2] و من جانب آخر فقد فقد كان للعصبية القبلية دورا في تحريك و دفع هذه الظاهرة ممثلة في التنافس بين قبائل مضر و ربيعة على السيادة الدينية في الجزيرة، لأن قريشا تحكمت في الكعبة محج القبائل العربية منذ أزمان بعيدة متزعمة بذلك الجزيرة من الناحية الروحية [3]، و هو ما دعا اليمنيين إلى بناء الكعبة اليمنية [4]، و لعل ما يفسر رفض بنو ربيعة سيادة قريش على العرب، مقولة أشاعوها: **<<كذاب ربيعة ــ أي مسيلمة ــ أحب إلينا من صادق مضر – النبي ﷺ –>>**[5]، و يبدوا التنافس على الزعامة القبلية واضحا في قول مسيلمة للنبي ﷺ: **<<فإني أشركت في الأمر معك>>** [6]، كذلك تتجلى العصبية في دعوة الأسود العنسي اليمنيين إلى طرد الأبناء [7] كونهم استجابوا للدعوة المحمدية [8]، و قد مثلت معركتهم ضد الأبناء من ناحية أخرى صراع المرتدين مع الإسلام، و عموما فقد مثلت ادعاءات النبوة هذه ثورة العرب ضد قريش و هو ما عبرت عنه مقولة شاعت بين المسلمين القرشيين : **<<منذ أن بعث الله نبيه في مضر و ربيعة غاضبة على ربها>>** [9] و لعل اختلاط الأمور على القبائل كان سببا في تصديق نبوة هؤلاء المزيفين من باب بعدهم على النبي ﷺ و انتقال القرآن مشافهة. و لعل مرد ذلك تشبه هؤلاء الكفار بصفات النبي ﷺ ليبدو الواحد منهم في صورة مماثلة للـــــنبي القرشي، و هو ما يعبر عنه سجعهم الذي حاولوا فيه

---

[1] ابن أحمد الأزرقي، نفس المصدر السابق، ج1، ص 69– 74.
[2] محمد عابد الجابري، نفس المرجع السابق، ص 156.
[3] ابن أحمد الأزرقي، نفس المصدر السابق، ج1، ص 372 – 373 .
[4] ابن محمد الكلبي، كتاب الأصنام، تح: أحمد زكي، الدار القومية، ط و ن، القاهرة،(د ت ن)، ص 44 و ابن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق، مصر، (د ت ن)، ص 27.
[5] ابن جرير الطبري، تاريخ الامم و الملوك، ج2، دار القاموسين الحديث ط و ن، بيروت، (د ت ن)، ص 276.
[6] أبو القاسم الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ج 4، ض: طه عبد الرءوف دار الفكر(د ب ن) (د ت ن)، ص 214.
[7] الأبناء هم المولدون من آباء فرس و أمهات يمنيات، محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 114.
[8] نفس المرجع، ص 156.
[9] ابن جرير الطبري، نفس المصدر السابق، ج 3، ص 387.

تقليد القرآن الكريم؛ من ذلك ما جاء من سجع مسيلمة: **<<و المبذرات زرعا، و الحاصدات حصدا، و الذاريات قمحا، و الخابزات خبزا...>>** ، و قول طليحة: **<<أعدوا الركاب، و استعدوا للذهاب، و ثم غيروا على الرباب فليس دونهم حجاب>>** . أما سجاح التميمية[1] فمن سجعـــــــها: **<<عليكم باليمامة، و دفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة...>>** [2]، لكن أمر اختلاط القرآن عليهم يبعث على الاستغراب لأن النبي ﷺ كان كلما أسلمت منطقة إلا و بعث لهم من يعلمهم كلام الله و أركان الدين[3]، فهل عجزت العرب عن التفريق بين بلاغة القرآن وسجع مضحك مثل الذي أسلفنا؟ لذلك نرجح أنهم تبنوها على علم بزيفها، لكنهم قبلوها رفضا لسلطة قرشي عليهم –أبو بكر– و هو ما تؤكده المقولة السالفة الذكر: **<<كذاب بيعة خير من صادق مضر>>**، و لعل هذا ما عبر عنه ممثلو الصنف الثاني الذين قطعوا ولاءهم لقريش بمجرد وفاته ﷺ كما فعل بنو ربيعة في البحرين إذ ردوا النعمان بن منذر ملكا عليهم[4].

أما مانعوا الزكاة فيروي ابن كثير أنهم وفدوا على أبي بكر عقب خروج جيش أسامة بن زيد[5] طالبين منه إعفاءهم من دفع الزكاة [6] و حجتهم من ذلك قولـــه تعالى:

<< خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ

---

[1] سجاح التميمية: امرأة تنبأت باليمامة و تبعها بنو أسد، أبن يحي البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص 111.

[2] محمد بن حسن ياسين نصوص الردة في تاريخ الطبري المكتب العالمي ط و ن، بيروت، 1973، ص ص 14–16.

[3] ابن هشام السيرة النبوية، تح: محمد السقا وآخرون، ج2، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، 1355 هـ ،ص 92.

[4] النعمان بن المنذر: من ولد ساطور ملك الحضر والحضر حصن عظيم على شاطئ الفرات نفس المصدر السابق ج1 ص 73.

[5] أسامة بن زيد: بن حارثة، صحابي أرسله الرسول للفتح و عمره 13 سنة، أمه أم أيمن مولاة النبي ﷺ، ينظر ابن الأثير، الإصابة مصدر سابق ج 1، ص 99.

[6] ابن كثير، البداية و النهاية، تح: أحمد جاد، مج3، ج2، دار الحديث، القاهرة، 2006م ص 311، ابن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق في مواقف الصحابة بعد وفات النبي، ط 4، تح: محب الدين الخطيب، دار الكتب العلمي، 2007م، ص 39، ابن إسماعيل الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تح: فوقية حسين محمود، ط1، ج2، دار الأنصار، 1977، ص 251 – 254.

سَكَنٌ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ >>[1] و قالوا: **<<فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا>>** [2]. و لعل موقفهم هذا نابع من رفضهم لسلطة قريش من منطلق العصبية حسب ابن خلدون و يمكن تفسير ذلك بأن العرب لم يعرفوا الدولة من أساسها فهم لم يعرفوا نظامها قبل الإسلام بل عاشوا في شكل قبائل و عشائر تخضع الضعيفة منها لسلطة القوية التي تفرض عليها دفع إتاوة كعربون لولائها و خضوعها مقابل عدم التعدي عليها و حمايتها لها عند الخطر [3]،ربما رأو ا في الزكاة عربون ولاء لدولة الإسلام، لكن امتناعهم عند دفعها لغير النبي ﷺ يمكن تفسيره بأن ولاءهم كان لشخص النبي ﷺ لا للدولة و هو ما يوضحه قولهم، **<<فلسنا ندفع زكاتنا ...>>** ــ الحديث السالف الذكرــ أي أن ولاءهم للنبي ﷺ خضوعا دينيا لا سياسيا، و بتفسير آخر كان خضوعهم للنبي ﷺ كنبي لا كزعيم دولة، لأنه قرشي و هذا ما يرفضونه حتما، فلو كان خضوعهم بمعنى الولاء للدولة الإسلامية لواصلوا دفعها، لكن لأنه ديني فإنهم راو في أبي بكر الشخص غير المناسب لدفعها له.

و عموما يمكن القول بأن خروج مانعي الزكاة كان على الدولة لا عن الإسلام ــ حسب رأيهم ــ لكن موقف أبي بكر و على الرغم من محاولة الصحابة ثنيه عن قتالهم قائلين: **<<إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم>>** ، إلا أنه رأى غير ذلك اذا قال: **<<والله لا اقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة>>** [4]،و لعل موقفه نابع من نظرته للدولة و الدين على أساس الارتباط الوثيق بينهما من جهة و من جهة أخرى فقد رأى أن تساهله معهم في شأن الزكاة قد يؤدي إلى إنكارهم للصلاة في وقت لاحق. و لأن الرسول ﷺ

---

[1] التوبة: 103.

[2] ابن العربي، نفس المصدر السابق، ص، 39، ابن كثير، نفس المصدر السابق، مج3، ج2، ص311.

[3] ابن احمد الأزرقي، مصدر سابق، ج1، ص 242، ابن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2 ج1 1965، ص 72، ابن احمد الازرقي نفس المصدر السابق، ج1، ص 242.

[4] ابن الحسين، غاية الاماني في اخبار القطر اليماني، ج 1 تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة 1968، ابن عربي الطائي، الفتوحات المكية، مج 1، دار صادر، بيروت، (د ت ن)، ص 551 –552.

قال: **<<من بدل دينه فاقتلوه>>** [1]، فقد بعث أبو بكر الجيوش لردهم إلى الدين بالنسبة لمدعي النبوة و أخذ الزكاة من مانعيها ، يقول ابن الخطيب في ذلك:

و رضيت به النفوس بعده اعتبرت وعيده و وعده – يقصد أبا بكر ــ

و خلط اللين ببعض الشدة ورد الإسلام أهل الردة. [2]

و على الرغم من أن حروب الردة انطفأت شرارتها إلا أن أبعادها امتدت في عمق الدولة الإسلامية إذا كانت نقطة هامة في تاريخها و يمكن اعتبارها منطلق الجذور الأولى للفتنة الكبرى و ذلك لما نتج عنها من تحولات.

إذا ما حاولنا تفسير ذلك فسنجد أن كون القبائل المرتدة تمثل: بنو ربيعة من تميم وأسد وغطفان و غيرهما و هم من قبائل اليمن عموما، و من جهة أخرى نجـد قريـشا و حلفائها لم يرتدوا على الدين و يمثلها بنو هاشم و أمية و حلفائها من ثقيف و تيّم [3] يدخل في إطار ثورة العرب على قريش [4] التي ستخضعهم بالقوة إلى نفوذها تحت راية الإسلام، و هو ما سيولد لدى هؤلاء العرب شعورا بالحقد عليها هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن انتهاج أبي بكر سياسة منع القبائل المرتدة من المشاركة في الفتوح سيؤدي من ناحية إلى ثراء قريش نتيجة الغنائم فيما ستبقى القبائل المرتدة المنهكة من جراء حروب الردة في ضيق اقتصادي مما سينجر عنه شعورها بالظلم والتهميش في وقت حسن فيه إسلامها خاصة بالنسبة لمانعي الزكاة ،الأمر الذي سيدفعها إلى تحين الفرصة للتخلص من سلطة قريش و لعل أبا بكر تفطن إلى ذلك و هو ما يفسر اختياره لعمر خليفة بعده لكن سياسة هذا الأخير زادت من تكريس العصبية نتيجة لسياسة التوطين التي انتهجها على الرغم من إشراكه للقبائل المرتدة للفتح و هذا ما سنأتي على تفصيله لاحقا من خلال الفصل الموالي، و ما تجدر الإشارة إليه هو أن ما انجر عن حروب الردة التي مثلت رفض العرب لسلطة

---

[1] ابن يحي الماوردي، الاحكام السلطانية الولايات الدينية، المحمودية، مصر، (د ت ن)، ص 51.

[2] ابن الخطيب السلماني، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، (د ب ن) ، 1316 هـ ، ص 5.

[3] ينظر: ابن إياس، مختصر بدائع الزهور في وقائع الدهور، دار الفجر الجديد، (د ب ن)، (د ت ن)، ص 75، ابن خياط، تاريخ خليفة، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، 1985، ص 100.

[4] علي سعد الله، مرجع سابق، ص 177.

قريش و كذا ما انبثق عن سياسة الخليفتين أبي بكر وعمر التي أنتجت واقعا جديدا أهم ما ميزه ازدياد نفوذ قريش كانعكاس لثرائها من جراء ما غنمته من الفتوح، الأمر الذي سيجعل القبائل التي كانت قد ارتدت تتحين الفرصة لتحطيم ذلك النفوذ. و لعل التحولات الاقتصادية المنبثقة عن سياسة عثمان أدت إلى انفجار الفتنة التي ستأخذ منحى ثورة العرب على قريش، و لأن بني أمية قد تغلبوا عن أبناء عمومتهم بنو هاشم نتيجة قيادتهم للفتوح منذ عهد الرسول بحكم مهارتهم الحربية فسيؤدي ذلك إلى رفض سلطتهم و الميل إلى بني هاشم و هو ما سنتطرق إليه بأكثر تفصيل من خلال الفصل الثاني.

الفصل الأول

إرهاصات الفتنة

دراسة في جذورها التاريخية

- ❖ العهد العمري سياساته
  - السياسة الإدارية .
  - السياسة الاقتصادية .
- ❖ إفرازات السياسة العمرية
  - على المستوى الاجتماعي .
  - على المستوى الاقتصادي .
  - مآلات السياسة العمرية.
- ❖ نهاية العهد العمري
  - مقتل عمر دلالاته و أبعاده.
  - اختيار عثمان آلياته و حيثياته.

1 العهد العمري و سياساته:

انتهت حروب الردة التي مثلت ثورة العرب على قريش معبرة عن رفضها لسلطة تلك الأخيرة فأسفرت بذلك عن واقع ينبئ بالاضطراب في أي لحظة، فعلى الرغم من أن أبا بكر استطاع إخمادها، إلا أن انتهاجه سياسة منع المتمردين من المشاركة في الفتح الذي ستقوده قريش و حلفاؤها. بما أنهم لم يرتدوا سيزيد الوضع توترا نتيجة لتزايد نقمة هؤلاء العرب على قريش. و نظرا لهشاشة الدولة و إمكانية انفجار اضطرابا ت أخرى قد تقضي عليها نهائيا فقد حرص أبو بكر على الاجتهاد في اختيار الأنسب لقيادتها بعده ولأن عمر كان كما يصفه المغيرة بن شعبة: **<<ما رأيت أحدا هو أحزم من عمر، كـــــان و الله له فضل يمنعه أن يَخدع و عقل يمنعه أن يُخدع>>**[1] فقد رأى فيه أبو بكر الأقدر على تحمل تبعات الدولة لاسيما و أن العرب لا يزالون حديثي عهد بالإسلام ،خاصة الذين ارتدوا من قبل فلا يؤتمن جانبهم في أي وقت لأنه كما ثم أن النبي ﷺ وصفه قائـــــلا: **﴿أرحم أمتي أبو بكر و أشدها في دين الله عمر﴾**[2].

و عموما يمكن الذهاب إلى القول بوجود توتر داخل الدولة في إطار رفض العرب لسلطة قريش وتزايد تململها من هيمنتها، وهو ما يفسر اختيار عمر الذي قال عنه خالد بن الوليد عندما أخبر بأن الفتن قد ظهرت: **<<أما و ابن الخطاب حي فلا، إنما تكون بعده>>**[3]. و بذلك دخلت الدولة مرحلة هامة من تاريخها لأنها ستكون آخر مراحل الاستقرار لدولة صدر الإسلام [4]، ولأن الدولة الإسلامية الناشئة كانت بحاجة إلى تأمين

---

[1] ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص 44.

[2] ابن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ص 143، الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت ،(د ت ن)، ص 126.

[3] ابن أبي بكر السيوطي، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت ،(د ت ن)، ص 135.

[4] إذ ستدخل الدولة بعد هذا العهد في مرحلة الفتن بداية بالثورة على عثمان و قتله و نهاية بتنازل الحسن عن الخلافة عام 41 هـــ لمعاوية ابن أبي سفيان، ينظر: ابن عمر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، ط: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط1، دار الكتاب العربي، (د ب ن)، 1986 م، ص 82، و عبد الكريم الشهرستاني، الفصل في الملل و النحل، دار ابن حزم، بيروت، 1990 م، ص 19 – 20.

حدودها من هجمات الفرس و الروم من جهة، و من جهة أخرى فإن اعتماد الإسلام في بناء دولته على الصلاة و الزكاة و الجهاد[1].

و امتثالا لقوله تعالى:﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] فقد انطلقت الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر صوب بلاد الشام بناء على رغبة الرسول ﷺ ولم يغفل أبو بكر عن جبهة العراق باعتبارها قاعدة لفتح فارس خاصة بعدما قدم عليه المثنى بن حارثة الشيباني [3] قائلا: **<< يا خليفة رسول الله! استعملني على من أسلم من قومي فأقاتل هذه الأعاجم من فارس>>** [4]، وكان له ذلك إذ انتدبه إلى العراق بقيادة خالد بن الوليد [5]، و بهذا انتدب أبو بكر الجيوش إلى الشام [6] و العراق [7] و فارس [8] وعقد لهم الألوية بقيادة خالد بن الوليد، عكرمة بن أبي جهل [9] عمرو بن

---

[1] ابن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار صادر، بيروت، 2007م، ص 166.

[2] التوبة، الآية: 41.

[3] المثنى بن حارثة: بن سلمة من بن مرة بن ذهل، أول من حارب الفرس في عهد أبي بكر، و هو قاتل مهران، ينظر ترجمته: ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ج2، ص 324.

[4] و ذكر ابن الجوزي أن ذلك كان قبيل صلاة الفجر من الليلة التي توفي فيها أبو بكرو قيل انتدب عمر الناس ثلاثا فلم يجبه أحد ثم أجابه ابن مسعود . ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب ط 1، الزهراء، الجزائر، 1990ه ـ ص 85 – 86.

[5] خالد بن الوليد: بن المغيرة، القرشي المخزومي، من أشراف قريش في الجاهلية، من أشراف قريش في الجاهلية أختلف في هجرته، فقيل كانت بعد الحديبية أو خيبر، أسلم عام 8 للبعثة، ينظر ترجمته: ابن الأثير الجوزي، أسد الغابة مصدر سابق، ج2، ص 93 – 94 ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدر سابق، ج2،ص 45، ابن عثمان الذهبي العبر في خبر من غبر، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيوت، 1985 م، ص 21.

[6] الشام: وهي الأرض التي نزل بها سام ابن نوح عليه السلام وجعلت السين شين، و كان اسمها الأول سورية، حدها من الفرات الى العريش طولا وعرضها من جبل طيء الى بحر الروم، و يقصد بها المنطقة التي تضم فلسطين، سورية حاليا، لبنان، و غالبا ما يشار بها إلى سوريا حاليا، ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح:علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1،ج 2،1954، ص 775–776.

[7] العراق: غالبا ما تطلق على الكوفة وبصرة وما جاورهما في ذلك العهد، و العراق ما بين مدينة الموصل و عبادان طولا وعذيب القادسية الى حلوان عرضا، نفس المصدر السابق، ج3،ص926.

[8] فارس: ولاية واسعة و اقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق ارجان، من جهة كرمان السيرجان، ومن ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند نكران ،قصبها الأن شيراز ،وكورها خمسة اوسعها اصطخر، نفس المصدر السابق ج3،ص 10 –10.

[9] عكرمة بن ابي جهل: بن هشام بن المغيرة، القرشي المخزومي، كنيته أبو الحكم، فارس مشهور، فر الى اليمن عند فتح مكة، و لما امر بقتله مع ابن ابي سرح وعبد الله ابن خطل ومقيس بن صبابة، ثم اسلم بعد ركوبه البحر، قتل يوم فحل ينظر ترجمته: ابن الاثير الجزري، نفس المصدر السابق ج4، ص 5 –6.

العـــــاص[1]، شرحبيل بن حسنة [2]، علاوة عن يزيد بـــن أبي سفـــيان [3]وسعد بن أبي وقاص[4].

و تجـــدر الإشارة إلى أن أبا بكر لم يستعمل القبائل المرتدة في الفتح، ولقد استطاع الأخير تحقيق نجاحات باهرة أسفرت عن افتتاح بعض المناطق مثل هرمز جرد[5]، ــ جبهة العراق ــ و بصرى [6]ــ على جبهة الشـــــام ــ و عقد صلح مع أخرى أخرى مثل: البلقاء[7] على ألف ألف درهم [8].

و استمرارا لسياسة أبي بكر افتتح عمر عهده بتوجيه الجيوش صوب بلاد فارس و إذا كان خالد بن الوليد قد توج الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الأول فإن عمر قد استبدله بأبي عبيدة بن الجراح [9] صاحب أول لواء عقده الخليفة الثاني للفتح [10]، و لعل أهم ما ميز سياسة الفتوح في عهد عمر بن الخطاب عن سابقه يكمن في انتدابه أهل الردة لفتح

---

[1] عمرو بن العاص: بن وائل، القرشي السهمي أصله مكي أسلم مع خالد ابن الوليد، هو أحد دهاة العرب، وواحد من كبار قريش، توفي في خلافة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان عام 61 أو 62 هــ، ينظر ترجمته: ابن ابراهيم البخاري التاريخ الكبير، مج6، ج3 ،ق2، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت ن)، ص 303 –304، ابن الآبار، الحلة السيراء، تح :حسين مؤنس ،ط1،ج1،الشركة العربية ط و ن ،1963،ص 10.

[2] شرحبيل بن حسنة: ابن عبد الله بن المطاح ابن عمر ابن كندة، حليف بني زهرة ،كنيته أبو عبد الله، من مهاجرة الحبشة الثانية، من علية أصحاب النبي، توفي في طاعون عمواس بالشام عام 18 هــ، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج4، ص127–128.

[3] يزيد بن ابي سفيان: اخو معاوية ابن ابي سفيان، القرشي الأموي، أسلم يوم الفتح وقيل قبله وكتم إسلامه، من أفاضل الصحابة ينظر ترجمته: اين عثمان الذهبي، العبر، نفس المصدر السابق، ج2، ص 10.

[4] سعد بن أبي وقاص: الزهري من بني وهيب بن عبد منال، اسلم على يد ابي بكر احد كبار الصحابة المبشرين بالجنة، توفي في خلفة معاوية، ينظر ترجمته: ابن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون ج1، (د د ن) (د ب ن)، (د ت ن)، ص 295، ابن سهل البلخي مصدر سابق، ج2، ص: 152 –153.

[5] هرمز جرد: ناحية بأطراف العراق، ابن سهل البلخي، نفس المصدر السابق، ج 2، ص 198.

[6] بصرى: في موضعين بالضم و القصر، إحداهما بالشام من أعمال دمشق، و هي التي وصل إليها النبـــي ﷺ و الأخرى من قرى بغداد، ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص 201.

[7] البلقاء: من أعمال دمشق بين الشام و وادي القرى، ابن كثير البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4 ، ج1،ص 109.

[8] ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ط1، دار الأضواء، بيروت 1991 م، ص 2 – 313.

[9] أبو عبيدة ابن الجراح: هو عامر بن عبد الله بن الجراح، الملقب بأمين الأمة، صحابي مبشر بالجنة، أسلم قديما، و هو الذي قتل أباه لسبه الرسولﷺ، و قيل في المعركة، توفي في طاعون عمواس أيام عمر، ابن سهل البلخي، مصدر سابق ج2، ص 154 – 155، ابن علي الشهرستاني، الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، شركة مصطفى الحلب، (د ب ن)، (د ت ن)، ص 101.

[10] ابن بحر الجاحظ، البيان و التبين و أهم الرسائل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،(د ت ن)، ص 35.

جبهتي الشام و العراق و كذا فارس قائلا: << **إنه ليقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا و قد منّ الله و فتح الأعاجم**>> واستشار في فداء سبايا العـــرب في الجاهـــليـــة و الإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها>>، و قال: <<**لا ملك على عربي**>>[1].

و بذلك اندفعت قبائل المرتدين صوب جبهات الفتوح و جاء إجراء رد سبايا المرتدين إلى قبائلهم [2] ضمن سياسة تسهيل عملية استنفار الجند للفتح القائمة على تجنيد القبائل لا الأفراد من جهة، و تشجيع الهجرة نحو السوادن [3] الذي سيكون قاعدة لانطلاق الفتوح صوب بلاد فارس مقابل الشام التي ستكون منطلقا لفتح مصر [4] فيما بعد. غير أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو إتباع عمر لنظام التجنيد القائم على الزمر و القبائل [5] في السواد و نظام الأجناد [6] في بلاد الشام.

هذا و عقب فراغه من جبهتي الشام و العراق بعدما كسر شوكتي الفرس و الروم إثر معركة القادسية [7] ونهاوند [8] وغيرها، عمد عمر إلى الاتجاه صوب مصر بإشارة من عمرو بن العاص الذي أقنعه بفتحها قائلا: << **يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير إلى مصر إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين و عونا لهم، وهي أكثر الأراضي أمـــوالا و أعجز عن القتال و الحرب** >>[9]، و بفضل نجاعة السياسة العمرية تمكنت

---

[1] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 37.
[2] ابن علي المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج2، ص 90.
[3] السواد: يقصد به بلد العراق.
[4] مصر: هي بوابة افريقية.
[5] نظام الزمر: هو نظام يقوم على أن كل قبيلة تؤلف عشرا، ترجع إلى أصل واحد و ينسب الجند إلى قبائله، محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 118.
[6] نظام الأجناد: نظام تجنيد يقوم على توزيع الجيوش أجنادا تعسكر قرب مدن الشام الرئيسة و ينسب الجند إلى مكان إقامته، نفس المرجع السابق، ص 118.
[7] القادسية: قرية قرب الكوفة من جهة البحر بينها و بين الكوفة 15 فرسخا و تبعد عن العذيب ب 4 اميال، ابن عبد الحق البغدادي، ج 3، ص 1054.
[8] نهاوند: مدينة في قبلة همدان، بينهما ثلاثة أيام، ابن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مج 1، دار صادق، بيروت، (د ت ن)، ص 489.
[9] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة، ج 1، المؤسسة المصرية العامة ن و ط، (د ب ن) (د ت ن)، ص 6.

الجيوش الإسلامية من التوغل داخل أراضي الإمبراطوريتين الساسانية [1] والبيزنطية[2] مسفرة بذلك عن توسيع نفوذ الدولة الإسلامية التي دخلت تحت حوزتها كل من الشام و مصر الجزيرة[3] والعراق، الجبل[4] أرمينية[5] الأهواز[6] و فارس، اصطخر[7] الري و كذا كذا أذربيجان[8] و أصبهان[9]، فيما باتت هذه المناطق تحت إمرة فاتحيها مثل سعد بن أبي أبي وقاص.

1 1 ـ السياسة الاقتصادية:

هذا و قد انتهج عمر في البلاد المفتوحة سياسة تقوم على منع الجند من امتلاك الأراضي هناك قائلا: << **منعت العراق درهمها و قفيزها و منعت مصر.** .>> [10] وذلك لضمان انصرافهم إلى العمل الحربي و حده، و من جهة أخرى عمد باجتهاد منه إلى اتخاذ إجراء يقضي بعدم تقسيم البلاد المفتوحة بين فاتحيها و يبدوا ذلك جليا في رفضه لطلب بعض الصحابة تقسيم السواد بينهم رغم إصرارهم قائلين: <<**إنا فتحناه عنوة**>>

---

[1] الدولة الساسانية: آخر إمبراطورية فارسية.
[2] الإمبراطورية البيزنطية: وريثة الإمبراطورية الرومانية بالشرق.
[3] الجزيرة: موقعه على ضفة البحر بين افريقية و المغرب، ابن كثير البداية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 74.
[4] الجبل: كورة بحمص، و الجبل اسم لكور الجبال و يسمى عراق العجم، ابن عبد الحق البغدادي، نفس المصدر السابق، ج1، ص 312.
[5] أرمينية: اسم منطقة في شمال آسيا الصغرى، ابن كثير، نفس المصدر السابق، مج4، ج1، ص 119.
[6] الأهواز: منطقة كانت تلي أعمال السواد من جهة الشرق، و تتبع الأهواز بفارس، ابن خرداذبة، المسالك و الممالك، دار الصادر، بيروت، 1889 م، ص 322.
[7] اصطخر: كورة من كور فارس (كورة: تعني بلدة)، من الإقليم الثالث، بها سكن ملك الفرس،ابن خرداذبة، ابن سهل البلخي، مصدر سابق، ج2، ص 200 .
[8] أذربيجان: صقع حده من بردعة مشرقا إلى زنجان مغربا، يتصل شمالا ببلاد الديلم، ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص 47.
[9] أصبهان: لفظ معرب من ساباهان بمعنى الجيش و اللفظ معناه: مدينة الجيش، فأصبهان اسم للإقليم، و المدينة اسمها أولاجي، و هي بنواحي الجبل، ابن عبد الحق البغدادي، نفسه، ج1، ص 87.
[10] الحديث: <<**منعت العراق درهمها و قفيزها، و منعت مصر دينارها وارد بها، و منعت الشام دينارها و مديها، و عدتم كما بدأتم** >>، أحمد بن نصر الداوودي، الأموال، تح: محمد سراج و آخرون، ط 2، ج1، (د د ت)، القاهرة، 2006، ص 143.

و هؤلاء: الزبير بن العوام [1]، بلال بن رباح [2] و عبد الرحمان بن عوف[3] و احتج في ذلك بقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ إلى غاية: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾[4]، إذ قال: <<**ما بقي أحد من أهل الإسلا م إلا و قد دخل في ذلك**>> أما موقفه فهو نابع من خوفه وقوع الفتنة حيث يقول: <<**فإني أخاف أن تشاحنوا فيها وفي شربها فيقتل بعضكم بعضا** >>، لذلك فكما يروي أبو يوسف " أبقى سواد العراق و مصر و ما ظهر عليه من الشام ليكون في أعطيات المقاتلة والحشود و الذراري"[5]. وعموما فقد فرض الخليفة على أهالي البلاد المفتوحة الجزية والخراج مقابل إقرارهم على أراضيهم، على هذا و لقد أسفرت الفتوح عن تدفق أموال طائلة ولتسهيل عملية تقسيم العطاء الذي فرضه اعتبارا بالأسبقية في الإسلام فقد استشار الصحابة عند مقدم أبي هريرة[6] عليه من البحرين بخمسمائة ألف دهم في طريقة تسمح له بذلك فأشار عليه خالد بن الوليد قائلا: <<**رأيت ملوك الشام يدونون**>> فقبل رأيه[7] وكلف كتاب قريش

---

[1] الزبيربن العوام: حواري رسول الله ﷺ، القريش، كنيته أبو عبد الله، و هو ابن عمة الرسول ﷺ، أسلم و عمره ثمانية سنوات و قيل 16عاما، من المهاجرين إلى الحبشة، أول من سل سيفه في سبيل الله يوم بدر، و لم يتخلف عن غزوة، توفي يوم الجمل عام 36 هـ، بنظر ترجمته: ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدر سابق، مج (1 – 2)، ج1، ص 180 – 182، ابن علي الشهر ساتني، مصدر سابق، ج 1. ص 21، احمد الطبري، الرياض، النضرة، مصدر سابق، ص 454– 486، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4،ج1، ص 243، 244.

[2] بلال بن رباح: الحبشي، من أوائل المسلمين و مؤذن الرسول ﷺ، توفي بدمشق عام 20 هـ، بنظر ترجمته: ابن سهل البلقي، نفس المصدر السابق، ج2، ص 162، ابن كثير نفسه، مج4، ج1، ص 99–100.

[3] عبد الرحمن بن عوف: بن عبد عوف، ابو محمد القرشي الزهري، أسلم قديما على يد أبي بكر،هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، بدري و أحد المبشرين بالجنة، توفي عام 2هـ ، ينظر ترجمة: ابن كثير، نفس المصدر السابق، مج 4، ج1، ص 155 –156، ابن علي الشهرستاني، نفس المصدر السابق ،ج 1، ص 21–22، ابن عثمان الذهبي الكاشف في معرفة من له ر واية من الكتب الستة، تح: غر ت علي عبد عطية وآخرون ،ط1، ج2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1972، ص 1979.

[4] الحشر: الآية 8 – 10.

[5] ابن إبراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة، ط و ن، بيروت، 1979 م، ص 28 – 38، و روى نحوه ابن الجوزي، تاريخ عمر، مصدر سابق ص 86.

[6] أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، اليماني، من السابقين الأولين، بدري، توفي زمن معاوية، أسلم عام 07 هـ ينظر ترجمة: ابن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر سابق، ص 17، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج1، 151.

[4] ابن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتاب، ط1، مطبعة احمد حنفي، مصر 1938 ص 11.

قريش ونسابوها؛ كلا من جبير بن مطعم [1] و عقيل بن أبي طالب [2] و مخزمة بن نوفل [3] بتدوين القبائل حسب مراتب عطائهم قائلا: << **أكتبوا الناس على منازلهم** >> و قال: <<**ابدؤوا بعم رسول الله** ﷺ>> فبدئ بالعباس ثم الأقرب فالأقرب و قال بعلي، ورتبهم على أساس القرابة من رسول الله ﷺ أولا ثم السابقة في الدين ثانيا [4] لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ ﴾[5]، تليهما مرتبة السوابق بالتقدم في الشجاعة والبلاء و الجهاد، [6] و بذلك كتب لعلي خمسة آلاف، و ابنيه الحسن و الحسين على ثلاثة آلاف لكل منهما، و قيل بدأ بالعباس على ثلاثة آلاف، و لمن شهد بدرا من قريش كمعاوية بن أبي سفيان ووالده خمسة آلاف ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدرا و أمهات المؤمنين ستة آلاف لكل واحد منهم، و فرض لعائشة [7] و أم حبيبة [8] و حفصة [9] اثنا عشر ألفا، أما صفية [10] و جويرية [11]

---

[1] جبير بن مطعم: بن عدي بن نوفل، القرشي النوفلي، من حلماء قريش و سادتها، يؤخذ عن النسب لقريش و العرب قاطبة رباه أبو بكر، أسلم عام الفتح و توفي قبل بدر ب 7 أشهر، ينظر ترجمته: ابن الأثير أسد الغابة، مصدر سابق، ج1، ص 271، ابن بحر الجاحظ، العثمانية، العثمانية، تح عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991 م، ص 24 – 25.

[2] عقيل بن ابي طالب: اسمه عبد مناف، القرشي الهاشمي، أسلم قبل الحديبية و هاجر عام 8 للبعثة، توفي عيقب غزوة مؤتة، أعلم قريش بأنسابها، ينظر ترجمته: ابن الأثير، نفس المصدر السابق، ج3، ص 423 – 424.

[3] مخزمة بن نوفل: بن أهيب، ابن عم سعد ابن أبي وقاص، القرشي الزهري، من مسلمة الفتح، نسابة كبير لقريش خاصة و العرب عامة، ينظر ترجمته: نفس المصدر السابق ، ج4، ص 336 – 337.

[4] شهاب الدين السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م، ص 2، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2 دار صادر، بيروت، 1983 م ، ص 153.

[5] الحديد: الآية 10.

[6] ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية، تق: عبد السميع جباري، موفم ن، (د ب ن)، (د ت ن) ص 123.

[7] عائشة: أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق.

[8] أم حبيبة: أم المؤمنين بنت أبي سفيان، هاجرت إلى الحبشة، ينظر ترجمتها: ابن الأثير أسد الغابة، مصدر سابق، ج5، ص 423.

[9] حفصة: أم المؤمنين بنت عمر،كانت ممن شهد بدرا، نفسه، ج5، ص 150 – 151.

[10] صفية: أم المؤمنين بنت حيي بن اخطب من سبط هارون،سباها النبي يوم خيبر فأسلمت و اعتقها وتزوجها،توفيت عام50 أو52 ،وقيل 36 هـ ،ينظر ترجمتها: ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدر سابق،مج (1–2)،ج2، ص29.

فخمسة آلاف أو ستة لكل منهما، فيما جعل لنفسه أربعة آلاف و لعبد الله بن عمر [2] خمسة آلاف، و لأهل مكة من غير المهاجرين ستمائة أو سبعمائة و أهل اليمن أربعمائة، و مصر ثلاثمائة أما ربيعة فمائتا ن، كذلك الحال بالنسبة للأمصار التي مثل العطاء الأرفع فيها أهل الأيام في العراق بثلاثة آلاف درهم، ثم تليهم فئة أهل القادسية و اليرموك[3] بألفي درهم ثم المهاجرة بألف و خمسمائة درهم [4] و هكذا حتى نصل إلى أدنى أدنى درجة في سلم العطاء العمري. و لأن الأموال المتدفقة إلى المدينة كثيرة فقد رأى عمر أن يجعل بيت مال لحفظ الأموال المتبقية من العطاء[5]، و لقد تنوعت موارد بيت

المال العمري بين : الزكاة [6] و الخراج [7] وكذا الجزية [8] و العشور [9]، فضلا عن الغنائم[10].

1 2 السياسة الاجتماعية:

و كنتيجة لديوان العطاء في الأمصار فقد تم توطين القبائل المهاجرة إليها من الجزيرة التي، كان جلها من الأعراب الذين نزحوا نتيجة لسياسة عمر الذي قال: << **من**

---

[1] جوبرية بنت الحارث الخزاعية سباها النبي في غزوة المريسع عام 5هـ ، ثم أعتقها و تزوجها، ينظر ترجمتها: ابن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج2، تح: محمد أسعد طلس، ج3، دار المعارف، القاهرة، (د ت ن)، ص 150.

[2] عبد الله بن عمر: بن الخطاب من السابقين الأولين، ينظر ترجمته: ابن خلكان،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: حسان عباس، مج3، دار الثقافة، بيروت، د ت ن، ص 28 – 31.

[3] اليرموك: معركة بالشام وقعت عام 13هـ.

[4] ابن سعد، العشرة المبشرين بالجنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت ن)، ص 91 – 92، ابن نصر الداوودي، مصدر سابق، ج1، ص 122.

[5] ابن الجوزي، تاريخ عمر، مصدر سابق، ص 94.

[6] الزكاة: حق الفقير في مال الغني إذا بلغ النصاب، محمد الغزالي، أسرار الزكاة، تح: عبد العال أحمد محمد، ط 1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا 1982، ص 12.

[7] الخراج: ما يؤخذ من ارض الصلح، ضربه عمر على الأرض سواء في حالة الإسلام أو الكفر، ينظر: ابن يحيى الماوردي، مصدر سابق، ص 137، ابن أحمد الخوارزمي، مصدر سابق مج1، ص 39.

[8] الجزية لفظة فارسية معرب كزيت: بمعنى الخراج: و هي ضريبة تفرض على رقاب أهل الذمة القاطنين بالبلاد المفتوحة كل سنة هلالية و ابن محمد الماوردي، نفس المصدر السابق، ص 143، بن أحمد الخوارزمي، نفس المصدر السابق، ص 39.

[9] العشور: ضريبة شرعها عمر على أموال التجار بإشارة من ابي موسى الأشعري، ابن ابراهيم، مصدر سابق، ص 143 – 146.

[10] الغنائم: حصيلة الحرب التي تؤخذ بالقوة.

سارع إلى الهجرة سارع العطاء إليه >>[1] و ذلك عقب اختطاط الأمصار و تمصيرها و قال في هذا: << **الأمصار سبعة، فالمدينة مصر، و الشام مصر، و الكوفة مصر و البصرة مصر** >>[2] و بهذا استطاع تنظيم القبائل داخل ديوان العطاء حسب الأولويات التي أسلفنا ذكرها، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو قيام توطين القبائل على أساس رابطة القرابة و النسب ، و يذكر محمد عابد الجابري أنه قد روعي في توطينها انقسامها إلى أصلها النزاري و اليمني، و استند فيما ذهب إليه على ذكره المسعودي من أن سعدا بن أبي وقاص عندما اختط الكوفة عام 14هـ جعل سهم نزار على الجانب الغربي و أهل اليمن على الجانب الشرقي [3]،أما عن أهم قبائل كل من الأمصار الثلاثة صاحبة الدور الكبير في تاريخ الدولة الإسلامية، فنجد أن قبائل ربيعة التي كانت تقطن شرق الجزيرة و كذا شمال السواد قد نزحت صوبه مشكلة تكتلا قبليا ضخما يمثل فيه العنصر اليمني أقلية ضئيلة كانعكاس لقرارها من مواجهة الفرس و تفضيلها لهيمنة الشام، و لذلك فقد هيمنت على السواد كل من ربيعة و تميم، فيما طغى على بلاد الشام العنصر اليمني الذي ساهم في فتحها، إضافة إلى العناصر اليمنية التي قطنت المنطقة قبل مجيء الإسلام و على رأسها كلب [4]، أما بالنسبة لمصر التي انطلق فتحها من بلاد الشام فيذكر المقريزي أن قبائل بلىّ التي كانت تؤلف ثلث المجموعة القضاعية التي كانت تقطن الشام قد نقلت كلها بأمر من عمر إلى مصر و تفرقت بها [5]، فيما يورد ابن عبد الحكم "أن عمر بن الخطاب أرسل إلى عامله عمرو بن العاص و هو بالإسكندرية [6] و كذا سعد بن أبي

---

[1] القاسم بن السلام، الأموال، تح: محد حامد الفقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1335 هـ، ص 223.
[2] ابن إسحاق اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 154.
[3] محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 117 – 118، ابن علي المسعودي، مصدر سابق، ج2، ص 314.
[4] ابن على القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج1، مطابع كوستاسوماس، القاهرة د ت ن، ص 316.
[5] ابن علي المقريزي، الخطط المقريزية – المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج 1، تح: محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1997، ص 29.
[6] الإسكندرية: مدينة على ضفة النيل ببلاد مصر، بناها الاسكندر المقدوني و سميت باسمه ، ابن عبد الحق البغدادي مصدر سابق، ج 2، ص 847.

وقاص بالمدائن[1]، و عامله على البصرة [2]، قائلا: << **لا تجعلوا بيني و بينكم ماء، متى أردت أن أركب إليكم راحلتي من أقدم عليكم قدمت** >>"، فتحول سعد إلى الكوفة [3]، و صاحب البصرة إليها فيما نزل عمرو الفسطاط [4]و كان ممن حفظ من الذين شهدوا فتح مصر إضافة إلى عمرو، خارجة بن حذافة السهمي [5] و غيرهم، أما مواضع التوطين فيروى أنه عقب اختطاط عمـــرو للمسجـــــد سكنـــــت قـــــريـــــش و الأنصار و أسلم، و غفار، و جهينة وثقيف في ركنه الشرقي فيما نزلت باقي القبائل و أغلبهم من السبئية[6] الجانب الغربي منه[7].

أدت سياسة الفتوح التي انتهجه ا الخليفة إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية لتضم تحت نفوذها عناصر جديدة كالقبط[8] و الفرس ...الخ، و ديانات شتى كالمجـــوس [9] و أهل أهل الكتاب، و نافع عبد الرحمان الخزاعي [10] على الطائف[11] و لقد حرص الخليفة على محاسبة هؤلاء الولاة، فطلب منهم ألا يجعلوا بينه و بينهم ماء كما أسلفنا آنفا كي يتمكن من الركوب إليهم متى اقتضى الأمر ذلك، كما نجده يدقق في محاسبتهم على الأموال

---

[1] المدائن : ج مدينة وهي مجموعة من المدن إلى جانب بعضها البعض، أولها مدينة العتيقة، وهي حاليا بلدة صغيرة في الجانب الغربي من دجلة ، ابن عبد الحق البغدادي ، مصدر سابق، ج3، ص 1344.

[2] البصرة: أرض بالإقليم الثالث من العراق، ابن أبي عبد الله الحموي، مصدر سابق، مج1، ص 430.

[3] الكوفة: المصر المشهورة بأرض بابل من سواد العراق نفسه، مج1، ص 490.

[4] الفسطاط: مدينة بريف مصر، بناها عمر بن العاص، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج 4، مج1، ص 56.

[5] خارجة بن حذافة السهمي: بن غانم من بني عدي بن كعب صحبي جليل كان قاضي لعمر بمصر قتل على أنه عمرو ينظر: ابن إسحاق، مصدر سابق، ج1، ص311.

[6] السبيئة: بقايا مملكة سبأ الذين فروا بعد انهيار سد مأرب، ق 5 ق م، ولقد قيل أن عدد عظيم منهم فرو إلى مصر بعد انفجار السيل العرم، وسموا بالتبابعة ج تبع، ملوكهم يلبسون التيجان، ابن كثير السيرة النبوية ، مصدر سابق ج 1، ص13–14، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تح:إحسان عباس، دار الشروق، ط 1، س1،القاهرة 1985، ص 524– 525.

[7] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص 110 – 115.

[8] القبط: أهل مصر و هم بنكها أي أصلها، ابن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، مج1، ص 519.

[9] المجوس: هم عبدة النار.

[10] نافع بن عبد الرحمان الخزاعي: وهو مولى نافع بن عبد الحارث، كان نافع مولاه استنابه على مكة حين تلقى عمر بن الخطاب إلى عسفان، فقال له: من استخلفت على أهل الوادي؟ يعني مكة، قال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى ؟ قال: إنه عالم بالفرائض، قارئ لكتاب الله، عاش إلى سنة نيف وسبعين.

[11] الطائف: هي ناحية ذات نخيل و أعناب و مزارع، تقع على ظهر جبل غزوان، بها عقبة مسيرة يوم للطالع من مكة و نصف يوم للهابط إلى مكة، ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص 877.

خاصة الخراج و الجزية، و كان حريصا على ألا يثرى ولاته من جراء الإمارة [1]، لذلك نجده يشاطره م أموالهم كلما وصله خبر ازدياد مال أحدهم،ومن ذلك مقاسمته لكل من النعمان بن بشير [2] ــ عامله على حمص ــ [3] و أبو هريرة عامله على البحرين نصف أموالهما اثر وصول شعر كتبة له أحدهم قال فيه:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأنت ولي الله في المال والأمر

فلا تدعن أهل الرساتيق و الجزى[4] يسيغون مال الله في الأدم الوفر

فأرسل إلى النعمان فاعلم حسابـــه و أرسل إلى جزء و أرسل إلى بئر

و لا تنسين النافعين[5] كليهما و صهر بني غزوان [6] عندك ذا وفر وفر

فقاسمهم نفسي فداؤك إنهم سيرضون إن قاسمتهم بالشطر[7]

هكذا كانت سياسة عمر في محاسبة ولاته على الأموال و لم تقتصر عليها فقط بل كان يعزلهم رعاية لشؤون الرعية الذين سوى بينهم، مسلمهم و ذميهم فنجده يقوم بعزل عمار بن ياسر بطلب من الرعـيـــة و يـــولي بدلـــــه بمشـــــورة منهـــم و اجتهـــاد منـــه.

---

[1] ابن تيمة، الخلافة و الملك، تح: حماد سلامة، شركة الشهاب ن و ت، الجزائر، د ت ن، ص 23.

[2] النعمان بن البشير: بن بشير بن سعد، أبو محمد الأنصاري، صحابي و إبن صحابي، ولد عام 2 هـــ ،توفي عام 64 هـــ، بنظر تجمة: ابن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج 3، ص 411 – 412، ابن قدامة المقدسي، الاستبصار مصدر سابق، ص220.

[3] حمص: بالكسر و السكون و الصاد مهملة، بلد مشهور في طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبير بين دمشق و حلب في نصف الطريق، ابن عبد الحق البغدادي، نفس المصدر السابق، ج 2، ص 465.

[4] أهل الرساتيق و الجزى: يقصد بهم معاوية و عمرو.

[5] النافعين: يقصد بهما عاملاه: نافع بن عبد الرحمن الخزاعي، نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارىء المدنى.

[6] صهر بن غزوان: يقصد به الشاعـــر؛ أبو هريرة.

[7] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص 187.

أبو موسى الأشعري [1] على الكوفة [2] تطبيقا لوعده << **فمن فعل شيئا سوى ذلك فيرفع إلي فوالّذي نفس عمر بيده لأقتصن منه** >> فضلا عن حرصه في تطبيق ولاته للقضاء العادل فنجده يعاتب عمروا لإقامته حد شارب الخمر على ابنه عبد الرحمن داخل داره، بالمقابل عمد عمر إلى ردع الرعية و هيبتها لصرفها عن الفتن قائلا: << **كما تكونوا يولى عليكم** >>[3]، و لأنه كما قال الحكماء: << **بالراعـــي تصلـــح الرعيـــــة و بالعدل تملك البرية** >> فقد استطاع عمر إلى حد ما حكم البلاد الإسلامية التي ترامت أطرفها شرقا و غربا و الحول دون وقوع الفتن التي كانت توحي بها التركيبة الاجتماعية و الاقتصادية للدولة فكان كما قال عنه خالد بن الوليد عندما أخبر عن ظهور الفتن و: <<**أما وابن الخطاب حي فلا، إنما تكون بعده** >>، لذلك كانت الدولة بحاجة إلى تنظيم دقيق و سياسة حازمة للحول دون الفتن و التذمر خاصة بالأمصار التي خضعت لسياسة التوطين نتيجة الفتوح، و لأن السياسة هيبة الخاصة مع صدق مثبتها، و استمالة قلوب العامة بالإنصـــــاف لهـــــا و احتمال هفوات الصنائع لأن شكرها أقرب الأيدي لها [4] فقد فقد سار عمر بسياسته على هذا النهج إذ ساس رعيته بالعدل و الحزم [5]. فسهر على حراسة المدينة بنفسه.

---

[1] أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس، اليماني. عالم من كبار القراء و أحد دهاة العرب، استعمله النبي ﷺعلى اليمن مع معاذ، توفي في ذي الحجة عام 44 هـ .ابن عبد الله الأصباهني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط 3 مج 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980، ص 91، ابن ابي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر سابق، ص 17.

[2] ابن الأثير الجرزي، الكامل في التاريخ، ج3، دار بيروت ط و ن، بيروت، 1982 م، ص 30 – 31.

[3] شهاب الدين بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب، س 3، الباب 1، مج 1، ج 1، مطابع كوستاسوماس، القاهرة، (د ت ن)، ص 256 – 257.

[4] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، مج1، المؤسسة المصرية العامة ن و ت، مصر، (د ت ن)، ص 10.

[5] ابن بحر الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك، تح: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية ن و ت، بيروت، (د ت ن)، ص 257.

2 - إفرازات السياسة العمرية:

2 1 - على المستوى الاجتماعي:

أدت سياسة الفتوح التي انتهجها عمر، و ما انبثق عنها من فتح باب الهجرة العربية نحو الأمصار [1] من جهة، و كذا نظام تجنيد القبائل القائم على نظام الزمر و القبائل في السواد، و نظام الأجناد بالشام من جهة أخرى إضافة إلى نظام الدواوين الذي طبقه الخليفة لتسهيل قسمة العطاء المفروض لكل قبيلة [2] إلى ظهور تحولات اجتماعية خاصة بالأمصار التي ستلعب دورا فعالا في تاريخ صدر الإسلام ، فبعدما ما كان المجتمع الإسلامي الذي مثلته دولة المدينة يعرف تركيبة بسيطة مكونة من ثلاثة طبقات أو تكتلات كبرى تتمثل في: المهاجرين و الأنصار إلى جانب اليهود بطوائفهم الثلاث: بنو النضير [3]، قريظـــة [4] و بنو قينقاع [5]، و هذا حسب ما أشارت إليه صحيفة الرسول ﷺ ثم انضم إلى هذه التركيبة فئة القبائل المرتدة زمن أبي بكر [6]، و نظرا لسياسة عمر و اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي ضمت عناصر جديدة من جهة أخرى: كالفرس و القبط فضلا عن الديانات المتعددة من: مجوسية و كتابية و غيرها فقد شهدت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الثاني تركيبة جديدة مثلتها من الناحية العامة بروز طبقتان تتمثلان في: المسلمين: الحضر [7] و على رأسهم قريش يقطنون المدينة غالبا و البدو أو الأعراب [8] النازحين نحو الأمصار في إطار إطار سياسة التجنيد و العطاء بناءا على قول عمر: << **من سارع الهجرة سارع العطاء إليه**>> إضافة إلى أهالي البلاد المفتوحة، و ضمن هذه التكتلات الكبرى تندرج الطبقية

---

[1] خاصة أهل اليمن الذين استنفروا لفتح الشام و العراق، فاستقروا بعد ذلك بالبصرة و الكوفة خصوصا، و هم أهل الأيام الذين سيقودون تحولات تاريخ صدر الإسلام، ابن يحيى البلاذري، مصدر سابق، ص 256.

[2] ابن عربي، محاضر الأبرار و مسامرة الأخيار في الأدبيات و الـــنوادر و الأخبار، مج 1، دار اليقظة العربية، 1968 ص 199.

[3] بنو النضير: يهود منازلهم بناحية الغرس و ما والاها ؛ مقبرة بني خطمة اليوم، حلفاء بني عامر، ابن سعد، الطبقات الكبرى: مصدر سابق، ج 2، ص 57.

[4] يهود قريظة: يهود منازلهم قرب المدينة، غزاهم النبي ﷺ في ذي القعدة 5 هـــ، نفسه.

[5] بنو قينقاع: يهود حلفاء لعبد الله بن أبّي بن سلول، نفسه، ج 2، ص 29.

[6] ينظر: صحيفة الرسول ﷺ ، ابن هشام، مصدر سابق، ج1،ص 495.

[7] الحضر: أهل المدن.

[8] البدو و الأعراب: هم أهل البادية.

المنبثقة أساسا عن سياستي التوطين و التدوين إذ هيمنت على العراق قبائل ربيعة و تميم مقابل أقلية يمنية كما سبق و أن عرفنا فيما هيمنة اليمنية على بلاد الشام [1]، و لا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة إلى مصر، و بما سياسية التوطين بالأمصار قد كرست العصبية القبلية من خلال استقرار القبائل في المناطق التي قام بفتحها على شكل تكتلات قبلية فكما سبق و أن اشرنا من خلال سياسة عمر نجد مثلا أن مصر نزلت فيها قريش و حلفاؤها من الجهة الشرقية لمسجد عمرو بن العاص بينما استوطنت غريمتها تميم و حلفائها من الجهة الغربية[2]، فقد جاءت سياسة عمر الاقتصادية في تنظيم فرض العطاء من خلال تدوين الدواوين[3] لتزيد من تكريس العصبية نتيجة لظهور الطبقة الاقتصادية، و تجدر الإشارة إلى التركيبة الاجتماعية التي شهدها المجتمع نتيجة للسياسة العمرية في تطبيق نظام العطاء على أساس السابقة الإسلامية والمكونة من:

ـ الأعيان: و يمثلهم كبار الصحابة و رجال الدولة، إضافة إلى الأمراء و الولاة و كذا القادة.

-الأشراف: و يمثلون ذوو العطاء الأرفع في الأمصار [4]، و يمثلهم: أهل الشرف و البيوتات ومن جهة ثانية ذوو السابقة الإسلامية.

-القراء[5]: و هم يمثلهم أهل السابقة من جهة و المقاتلة من جهة أخرى.

-أهل الأيام[6] و القادسية و أهل السابقة: و يشبهون قدماء المحاربين في العصر الحديث[7].

-الجند أو الجيش: و هم المقاتلة المجندون لخوض الفتوح.

---

[1] ينظر: محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 117 – 118، هشام جعيط، مرجع سابق، ص 57.

[2] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص 155، 166، ابن علي المقريزي، الخطط المقريزية، مصدر سابق، ج 1، ص 96 – 100.

[3] الدواوين: ج: ديوان: كلمة فارسية تعني التدوين، ابن عمر الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق.

[4] علي سعد الله، مرجع سابق، ص 186.

[5] القراء، هم مرتلو القرآن، و قارئوه، يقال قرأ القرآن، فهو قارئو هم قراء، نفسه، ص 187.

[6] أهل الأيام: و هم الذين شاركوا في فتح الفتوح الأولى و استقروا بالسواد ، نفسه.

[7] هشام جعيط، مرجع سابق، ص 145.

-الأعراب: و هم عرب البوادي المهاجرين إلى الأمصار.

-الموالي: أهل البلاد المفتوحة و هم من العجم.

-أهل الذمة: وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى من سكان البلاد المفتوحة و قد يضاف إليهم أهل الأوثان[1].

-و أخيرا طبقة العبيد أو ما يسمونه بالرقيق[2].

2 2 -على المستوى الإقتصادي:

أما عن العطاء المفروض فيمثل أهل الأيام و القادسية العطاء الأرفع في الأمصار [3] الأمصار[3] و يتناقص العطاء حسب الترتيب السالف الذكر. و إذا ما حاولنا تحليل أبعاد السياسة العمرية و كذا التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي شهدها عهد الخليفة الراشدي الثاني فسنجد أنها خلقت و ضعا ينبئ عن اشتداد التوتر الفتنة ذلك أن سياسة الفتوح التي انتهجها و المبنية على جعل القيادة من نصيب أبناء القبائل التي لم ترتد عن الإسلام، و لكونها هذه الأخيرة تمثلت أساسا في القبائل المضريـــة التي تنضوي تحـــتها قريـــش و حلفـــاؤها [4] و بالتالي كانت القيادة في عهد عمر امتدادا لعهد أبي بكر فهي لقريش و حلفائها من بني مخزوم و ثقيف و بني أمية [5] الذين أثبتوا تغلبهم بفضل حنكتهم الحربية على أندادهم بني هاشم، فإذا ما راجعنا قائمة قادة الفتح الإسلامي في عهد كل من أبي بكر و عمر فسنجد أن كلاهما اعتمد على بنو أمية كممثلين لقريش إلى جانب حلفاء تلك الأخيرة، فالأول مثله استعمل على افتح: خالد بن الوليد المخزومي، و أبو عبيدة بن الجراح، شرحبيل بن حسنة، يزيد بن أبي سفيان من بني أمية، و عمرو بن العاص السهمي، هؤلاء هم قادة أبو بكر و إذا ما ألقينا نظرة على أنسابهم فسنجدهم من بني مضر

---

[1] أهل الأوثان: هم عبدة الأصنام: ابن علي المسعودي، أخبار الزمان، مصدر سابق، ص 140.

[2] هشام جعيط، نفس المرجع السابق، ص 186 – 187.

[3] هشام جعيط، نفسه، ص 56.

[4] محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 91.

[5] ينظر فتوح أبو بكر و عمر: ابن خياط، مصدر سابق، ص 100– 153 .

أنداد ربيعة[1]، ولا يختلف الأمر مع عمر الذي لم يرسلهم قادة الفتح فحسب بل أمرهم على البلاد المفتوحة التي باتت تضم غالبية عربية في كل من: مصر، الكوفة، و البصرة تتجه لسياسة الهجرة و التوطيد كما أسلفنا فإذا ما ألقينا نظرة على هؤلاء الولاة فسنجد نافع بن عبد الرحمان الخزاعي على الطائف عمر بن العاص السهمي [2] على مصر، و سفيان بن عبد الله على مكة و المغيرة بن شعبة على الكوفة و هما من بني ثقيف، و عمار بن ياسر على البصرة و هو من مخزوم فإذا ما عدنا إلى أنسابهم فسنجدهم بين قريش و حلفاءها بنو مخزوم و ثقيف و خزاعة و لعل ما يوضح العصبية القبلية بتلك الأمصار رفض البصريين الذين قسمت بلادهم إلى أخماس، تضم تميم، عبد القيس، بكر و الأزد، و تلك البطون إنما هي يمنية الأصل [3] لذلك نجدهم يطالبون عمر بعزل عمار بن ياسر [4] بحجج واهية وهو مخزومي، و لما خيرهم اختاروا أبا موسى الأشعري اليمني. هنا تبرز العصبية اليمنية واضحة إذ عبرت عن نفسها بذالك هذا فضلا عن ثراء قريش و حلفائها نتيجة غنائم الفتوح منذ عهد أبي بكر فلما جاء عمر و على الرغم من اشراكه القبائل المرتدة في عملية الفتح[5] إلا أنه جعل القيادة و الولاية من بعدها لهؤلاء قد يكون له أثر في في تزايد الحقد على قريش التي مثلها هذه المرة بنو أمية [6] لأنهم من قادة الفتوح كزيد بن بن أبي سفيان و أخوه معاوية و كذا خالد بن سعيد بن العاص هؤلاء هم من مثل بنو أمية في هذه المرحلة، و المعلوم أن بنوا أمية معروفون بثرائهم منذ الجاهلية فزادهم الفتح ثراء مما سيجعلهم يشكلون طبقة ثرية في المجتمع و سيرتفع شأنهم و يستفحل أمرهم بمجيء عثمان بن عفان الذي سيرسلهم هو الآخر إلى الفتح ثم يوليهم الولايات مما سيقهر التذمر

---

[1] أبو الفداء، مصدر سابق، ج1، ص 105 – 107.

[2] و هؤلاء القادة كلهم من قريش: بين هاشميين و مخزوميين و أمويين.

[3] هشام جعيط، مرجع سابق، ص 57، و أبي الفداء، نفس المصدر السابق، ص 101.

[4] عماربن ياسر: بن مالك، كنيته، أبو اليقظان، من المسلمين الأولين بمكة ، حليف بني مخزوم ، من أوائل المهاجرين ، بدري ، شهد المشاهد ، من المعذبين أيام الاسلام الأولى، انظر ترجمته: ابن علي البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى عام 463 هـ، ج1، دار الفكر، القاهرة، (د ت ن)، ص 150– 153.

[5] أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال ، تتح : عبد المنعم عامر، دار الميسرة، بيروت ، د ت ن، ص 113 – 124.

[6] بنو أمية: أبناء أمية بن حرب أحد كبار قريش. ينظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج1. دار صادر، بيروت 1980، ص 85.

في إطار الحقد على قريش ضمن العصبية العربية الرافضة لسلطة تلك الأخيرة خصوصا و أن جزءا من أموالها ــ بنو أمية و مخزوم ــ كان من غنائم حروب الردة ، و لعل الأعراب و مانعوا الزكاة منهم على وجه التحديد قد رأوا تظلم قريش عليهم إثر حروب الردة و قيادة الفتح و كذا الولايات[1] في وقت لاحق بينما يتراجع مع نفوذ تلك القبائل مقابل ارتفاع مكانة قريش، ومن ناحية أخرى فإن سياسة عمر في تنظيم العطاء في شكل سلم تنازلي بداية بالسابقة الدينية و المشاركة في الأيام كبدر و أحد ..و غيرها، و صولا إلى العبيد، فلو حللنا مضمون أو أبعاد هذه السياسة فسنجد أن أهل السابقة الإسلامية هم غالبا من قريش و حلفائها المكيين عموما، و يمثلهم المهاجرون ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم و بالتالي سيكون العطاء الأوفر لقريش و حلفائها و هذا ما ترفضه الأعراب، كما أنه من جهة أخرى و حسب ما تورده بعض المصادر فإن عمر فرق في العطاء بين المهاجرين و الأنصار فجعل لكبار قريش الذين يمثلهم أبو سفيان و ابنه معاوية خمسة آلاف للواحد منهما [2] فيما لم تذكر المصادر أنه جعل مثله لكبار الأنصا ر، لكن بالمقابل نجده يفرض للبدري من الأنصار أربعة آلاف فيما فرض للمهاجر البـــدري ثلاثة آلاف.

2 3 مآلات السياسة العمرية:

إذا ما عدنا إلى تحليل الأعطيات فسنجد أن بني أمية يمثلون أصحاب العطاء الأرفع في المدينة .خمسة آلاف[3] ــ

و هذا ما سيعبر العرب عن رفضه بعدما تتفاقم ثروتهم في عهد عثمان باسم رفض الظلم الأموي، كذلك نجده قد ميز بين القبائل على أساس سابقتها في الدين ففرض لأهل اليمن أربعمائة و لمضر ثلاثمائة بينما فرض لربيعة مائتي ن[4]، و لعل هذا ما سيحز في

---

[1] ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، مج (1–2)، ج1، ص 27 – 33.
[2] اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 153.
[3] اليعقوبي، نفس المصدر السابق، ج2، ص153.
[4] اليعقوبي، نفسه .

نفوس بني ربيعة الذين قيل في شأنهم: << **مند أن بعــث الله نبيه في مضر و ربيعة غاضبة على ربها**>>[1] فلهذه المقولة دلائلها لأن ربيعة كما لاحظنا أنها لم ترض يوما عن سلطة قريش المضرية منذ أيام الرسول ﷺ فيما عرف بادعاءات النبوة و لعل مقولة: <<**كذاب ربيعة خير من صادق مضر** >>[2] قد عبرت بكل وضوح عن العصبية بين هاتين القبيلتين هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هيمنة البــدو على الأمصـــــار و اصطدامهم بالحضر هناك سيخلق صراعــا من نـــــوع آخـــــر: صــــراع البـــــدو و أصحاب النزعة القبلية الذين لم يعرفوا الخضوع للسلطة ، مع الحضر الذين عاشوا الخضوع لسلطة الفرس، و ربما الروم لعقود من الزمن أو ربما لحلفاء هاتيتن الأخيرتيْن: الغساسنة و المناذرة، هذا سيجعل الصراع يمتد داخل تلك الأمصار، و الذي سيقوده مشاغبو البصرة و مثيري الفتن بالكوفة و هم يمنيون [3] ،عبروا بذلك عن رفضهم لسلطة قريش[4] كما سنرى من خلال الفصل الثاني، فضلا عن كل هذا فهناك محرك اقتصادي آخر للعصبية القبليــة. و الذي عــبر عنه ابن خلـــــدون بـــ : صراع التيارين القبــلي و الإسلامي[5] في إطار الصراع بين أهل السابقة الإسلامية الممثلين في القراء و رؤساء القبائل التي جندت للفتح في شكل زمر بالسواد كما أن القراء من جهة أخرى اعتبروا الصوافي[6] ملكا لهم فيما كان أهل الأيام و القادسية يمثلون أصحاب العطاء الأرفع في السواد ولعل هذا ما خلق صراعا بين هاتين الطبقتين خاصة في الكوفة و البصرة عموما فقد خلقت سياسة تنظيم العطاء التي جعلها عمر على أساس السابقة توترا داخل الأمصار فأهل الأيام اعتبروا أنفسهم مالكو السواد بحكم فتحهم له بينها من يسيرة هــم القرشيــون و هذا ما ترفضه الأعراب بلا نقاش، ومن جانب آخر فإن أهل السابقة هم من المهاجرين

---

[1] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج2. ص 387.

[2] ينظر: ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، ج 2، دار القاموسين الحديث، ط و ن، بيروت، (د ت ن)، . ص 276.

[3] ابن عمر الضبي،الفتنة و وقعة الجمل، تص: أحمد راتب عرموش، ط 6، (د د ن)، (د ب ن)، 1986، ص 65.

[4] حسب رأي ابن خلدون، ينظر: علي سعد الله، مرجع سابق، ص 189.

[5] علي سعد الله ، نفسه، ص 187.

[6] الصوافي: البلاد المفتوحة خاصة السواد.

و الأنصار عموما و يتقاضون عطاء أوفر من أهل الأيام الذين اعتبروا أنفسهم الفاتحون الحقيقيون و بالتالي المالكون لهذه الأراضي، و لأن عمر من جهة أخرى قد منع تقسيم السواد[1] فقد خلق ذلك الصراع حوله و على الرغم من أنه فعل ذلك قصد سد باب الفتنة إلا أنه كرس العصبية القبلية عن غير قصد لأنه ولد شعورا بالظلم لدى أصحاب الأراضي الأصليين إزاء فرض الخراج عليهم مقابل بقائهم في أراضيهم، لقد خلقت هذه التركيبة الاجتماعية والاقتصادية حالة من التوتر داخل الأمصار . ومن ذلك اختصام أهل الكوفة والبصرة أيام ولاية عمار بن ياسر حول بعض القرى تدعي الثانية أنها افتتحتها و تنفي الأولى على أساس أنهم كانوا مجرد مدد هذه لهم من قبل الخليفة على فتحها [2]، لكن عمر استطاع كبح جموح الفتنة لدى القبائل المتعصبة بسياسته الحازمة و حرص على ذلك كل الحرص إذ حاول في إطار تلك السياسة منع كل ما رأى أن من شأنه إحداث الفتنة [3] مركزا على عدم تضخم الأموال في يد فئة دون أخرى، و لعله تفطن للصراع بين قريش التي مثلت السلطة و الأعراب التي ترفض الخضوع لسلطة تلك الأخيرة، و يعبر عن ذلك عمر بن عبد العزيز الدوري في كتابه: << **مقدمة في صدر الإسلام و الدولة الأموية** >> بقوله: <<**فالقبائل بنزعتها البدوية المعارضة للحكم المركزي، لم ترض يوما عن سيادة قريش**>>[4]، كما تجدر الإشارة إلى أبعاد سياسة عمر في منع خروج قريش إلى الأمصار خوفا من الفتنة و يمكن تفسير خوفه من ثراءها في قوله: << **إني آخذ بحلاقيم قريش...**>> نابع من تفوق مما قد ينجر عن تزايد نقمة العرب عليها و هو ما سيحدث في عهد عثمان إذ تشور العرب ضد قريش بمجرد ثرائها، لكن هذه الأخيرة أيضا رأت ظلمها في منعها من الخروج حتى قبل: << **لم يمت عمر من ملته قريش** >>إن كان

---

[1] تتفق المصادر أنه مع تقسيمه، إلا أن ابن رجب ذكر: أن عمر بن الخطاب رد على سعد بن أبي وقاص، عندما أرسل إليه يخبره بفتح السواد قائلا: << **إنا أخذنا أرضا لم يقاتلنا أهلها فرد عليه إن شئتم فقسموها، و إن شئتم فلتدعوها فيعمرها أهلها**>>، و الراجح أنه مع تقسيمها ــ ابن رجب الحنبلي، الاستخراج في أحكام الخراج، تح: مركز الدراسات الفقهية و الاقتصادية، (د ب ن). 1997 م، ص 134.

[2] ابن الأثير، الكامل مصدر سابق، ج3، ص 30، 31.

[3] بنظر: ابن يزيد المبـرد، الكامل، ع: محمد أبو الفضل إبراهيم و غيره، ج 1، دار نهضة مصر ،القاهرة، (د ت ن)، ص 380.

[4] عبد العزيز الدوري، مقدمة في صدر الإسلام و الدولة الأموية، دار صادر ، بيروت، 1955 هـــ، ص 41.

يخاطبها بقوله: << **إني سننت الإسلام سن البعيـــر ألا و إن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات، دون العباد ألا فأما و ابن المطلب حي فلا ، إنما تكون بعده** >>[1] و سيتضح أثره في اختيار عـــثمان للخلافـــة دون غيـــره و لقد كان موقفه نابع من تخوفه الفتنة بخروج قـــريـــش و امتلاكها المال و الديار بالأمصار و هو ما كان يقول فيه ﷺ: ــ الثراء ــ << **إنما أخاف عليكم من بعدي زهرة الدنيا وزينتها، إنه لا يأتي الخير بالشر و إن مما ينبت الربيع يقتـــــل حبطا....** >>[2] و بالفعل فإن ما حذر منه الرسول ﷺ واتبعه عمر كان في صالح الأمة إذ أن خروج قريش سيقود إلى مشاكل سنتعرف عليها من خلال الفصل الموالي.

[1] ابن أبي بكر السيوطي، الخصائص الكبرى، مصدر سابق، ج 2، ص 122.
[2] ابن أبي بكر السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت ب)، ص 434.

3 – نهاية العهد العمري محدداته و تجلياته:

3 1 مقتل عمر دلالاته و أبعاده:

تناولت المصادر التاريخية المؤرخة لتاريخ صدر الإسلام كلا من حادثة مقتل الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب و كذا اختيار عثمان بن عفان للخلافة من بعده، أحدهما بمعزل عن الأخرى، لكن المتمحص لمجريات الشورى يمكنه ملاحظة مدى الارتباط الوثيق بين اختيار عثمان للخلافة و مخلفات سياسة عمر ــ و المتمثلة في المواقف المختلفة منها– قريش، العجم –، لذا سنحاول التعرض لحادثتي مقتل عمر و اختيار عثمان للخلافة من بعده بشيء من التحليل هادفين إلى دراسة حقيقة ظروف كل من الحادثتين.

فإذا ما تناولنا مقتل عمر بن الخطاب فسنجد أن المصادر التاريخية المؤرخة للحدث تجمع على أنه لم يكن بيد عربية و لا مسلمة، في حين اتفقت على أن مقتله كان على يد علج مجوسي [1] يدعى أبو لؤلؤ ة[2]، و تورد في شأنه أنه غلام للمغيرة بن شعبة عامل الخليفة على البحرين، أما عن دخوله المدينة فيذكر السيوطي أنه كان إثر استئذان مولاه في دخوله إليها خدمة لأهلها و انتفاعا بخبرته في صناعات عـــــدة ــ فهو نجـــار و حـــداد و نقـــاش ــ [3]، في حين لم تعرض لنا الأسباب التي كانت وراء فعلته الشنيعة غير ما جاء من قدومه على الخليفة طالبا منه التوسط له لدى مولاه من أجل تخفيف خراجه بمائـــة ومائتي درهم شهريا، و لأن عمر رد عليه قائلا: <<**ما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال** >>[4]، لقد اعتبرت المصادر أن هذا الرد كان سببا لحقد الغلام على الخليفة ومن ثمة التدبير لقتله و ذهبت في إلى اعتبار رد العلج على مطلب الخليفة

---

[1] مجوسي: أي من المجوس: عبدة النار و هي ديانة سادت بلاد الفرس قبل الإسلام.

[2] أبو لؤلؤة: غلام إسمه فيروز، صاحب حرف متعددة، ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص 272.

[3] ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، الفجالة الجديدة، القاهرة، 1969 م، ص 133.

[4] ابن الجوزي، تاريخ عمر، مصدر سابق، ص 190.

بصنع الرحى التي تحدث عنها: << **لأصنعنّ لك رحى يتحدث الناس بها** >>[1]، توعدا منه بقتله و استدلوا في ذلك بمقولة عمر بن الخطاب: <<**توعدني العبد آنفا**>>[2].

و على الرغم من أن المصادر اكتفت بعرض ما ذكرناه آنفا إلا أن المتأمل في الحادثة لا يمكنه الاكتفاء بما عرضته المؤلفات في ذكر سبب مقتل الخليفة، لذا لا يمكن دراسة الحادثة بمعزل عن الظروف المحيطة بها، و لأن هذه الأخيرة ذات ارتباط و ثيق بسياسة الخليفة فإن ما يبعث على التساؤل هنا هو سكوت المصادر عن ما إذا كان اغتيال الخليفة بدافع شخصي وراء أبي لؤلؤة أم كان ذلك نتيجة لمؤامرة حبكت ضده و نفذها الغلام، في حين نجد بعضها يشير إلى إمكانية وجود يد للهرمزان[3] في الأمر. إن ما أورده ابن العربي من أن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق [4] قال غداة طعن عمر: << **مررت على أبي لؤلؤة عشية أمس، و معه جفينة و الهرمزان، و هم نجي، فلما رهقتهم ثاروا و سقط منهم خنجر لهم رأسان نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل** >>، فلما جيء بالخنجر الذي قتل به الخليفة و جدوا أنه يتوافق مع وصف عبد الرحمان له [5]، له مدلولات كثيرة يمكن تفسيرها بموقف العجم من سياسة عمر بن الخطاب من جهة و كذا موقف العرب المسلمين من جهة أخرى .إذا ما حاولنا تفسير العلاقة بين مقتل عمر و المواقف المختلفة من سياسته فسنجد أنفسنا أمام تساؤل يطرح نفسه علينا بالضرورة يتمحور حول: مدى الاستقرار الذي شهدته الدولة أيام حكم الخليفة الثاني:

---

[1] ابن الأثير الكامل مصدر سابق، ج3، ص 49. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ج2، (د د ن)، (د ب ن)، (د ت ن) ص 124.

[2] نفسه .

[3] الهرمزان: من أهل فارس، من قادة يزدجرد، أسر في فتح تستر بعد هزيمته و جيء به إلى عمر فأسلم، بعد أن مكث مدة على دينه، و اسمه عرطفة، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص 89 – 90.

[4] عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق: يكنّى أبو محمد، صحب النبي ﷺ، و هو صاحب بن صاحب بن صاحب لأن جده أبو قحافة قد أسلم يوم الفتح و صحب النبي ﷺ، ينظر ترجمته: ابن محمد المالكي، رياض النفوس، تح: بشير البكوش، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص 70 – 71. ابن بكار ، مصدر سابق ، ص 276–277.

[5] ابن العربي، مصدر سابق، ص 77.

ــ فهل كانت الدولة تعرف أيام حكمه رضا تام عن سياسته أم أن هناك تذمرا خفي من سياسة عمر الحازمة فعبّر عن نفسه من خلال خنجر أبي لؤلؤة؟. لعل ما يبعث على الشك هنا إخباره ﷺ عن وجود فتنة يحول عمر دون انفجارها فجواب حذيفة [1] عن سؤال الخليفة عنها بقوله: << **ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك و بينها بابا مغلقا** >>، و يضيف عند سؤاله عن الباب: << **أيفتح أم يكسر؟** >> << **قائلا: لا بل يكسر**>>[2]. إن لهذا الحديث مدلولات عدة فهو يعبر في طياته عن وجود فتنة أو لنقل تذمرا كان عمر وراء قمعه و كبته، و لذلك ستغتنم الفرصة من أجل و ضع حد لسياسة القمع إن صح التعبير، فإذا ما تتبعنا مجريات الأحداث بالعودة إلى الوراء قليلا فسنجد لأن حروب الردة و سياسة أبي بكر تجاه القبائل المرتدة عقب إخضاعه ا إلى الدين بالقوة [3] قد خلقت جوا ينبئ بانفجار اضطراب أو فتنة داخل الدولة خاصة إذا ما فقدت مخضعها ــ أبو بكر ــ و لم تجد من يقف لها بالمرصاد، لذا جاء اختيار عمر من باب قمع و ردع القبائل التي قد تفكر في خلع الطاعة في أي وقت تسنح فيه الفرصة، و قد سبق و أن عرضنا ذلك آنفا، فيمكننا إذا الذهاب إلى تفسير تشبيه عمر بالباب كونه انتهج سياسة منعت الفتنة في حين يمكن أن تكون قد فتحت بابا للتذمر لدى بعض الأطراف ،فسياسته مع العجم من أهالي البلاد المفتوحة خاصة السواد لقاضية بفــرض الجزيـــــة و الخراج عليهم مقابل إقرارهم على أراضيهم [4] قد يبعث على التذمر لدى هؤلاء خاصة وأن عائدات الخراج تقسم بين فاتحي الأراضي الذين هم غالبا من قريش و حلفائـــها [5] و لعل ذلك كان مصدر التذمر من قريش و هو ليس وليد عهد عمر كما سبق و أن عرفنا سلفا، هذا من جهة و من جهة أخرى فإن منع الع جم من دخول المدينة [6] قد يكون له أثر في نقمتهم على

---

[1] حذيفة بن اليمان: أبو عبد الله الأشهل، شهد أحدا و ما بعدها، حليف الأنصار، و مهاجر من كبار الصحابة و فضلائهم، ينظر ترجمته: ابن قدامة المقدسي، الاستبصار، مصدر سابق، ص 223.

[2] ابن أبي بكر السيوطي، الخصائص الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص 135.

[3] ابن يزيد المبرد، الكامل، مصدر سابق، ج1، ص 390.

[4] ينظر: ابن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية، مصدر سابق، ص 137، ابن إبراهيم ، مصدر سابق، ج1، ص 121.

[5] ابن نصر الداوودي، مصدر سابق، ج1. ص 121 .

[6] ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج3، ص 49.

قريش التي تمثل السلطة، فهم بهذه السياسة لن يشعروا باندماجهم مع العرب المسلمين و بالتالي فان خضوعهم سيبقى فيه إكراه لأنهم لم يعرفوا الإسلام عن حقيقته، فحتى و إن أسلموا فإن إسلامهم أجوف، و لعل هذا ما سيعبر عنه تبنيهم وتقليدهم للمذاهب المتطرفة ذات الأفكار المنتقاة من أصول الديانات الفارسية القديمة أيام الخلافة العباسية فيما بعد، فإن أسلمنا بأن للهرمزان يد في مقتل عمر فلعل ذلك يقبل الصحة إلى حد ما، و يمكننا العودة في تفسير ذلك إلى محاورته الخليفة طلبا للصلح عقب انهزامه بالأهواز [1]، وعلى الرغم من أنه أسلم[2] لكن لا يمكننا الطعن في إسلامه، إلا أن فرض عمر الخاص بالعجم و الذي جعل مثله للهرمزان الذي كان يملك من أموال الفرس الكثير قد يبعث على الشك في تذمره من فرض الخليفة له. و إذا كانت العرب ترفض سلطة قريش عليها من باب العصبية القبلية ــ الصراع القبلي الموروث ــ فإن الفرس الذين أخضعوا العرب لنفوذهم حقبة من الزمن، و ملكوا قوة لم تشهد مثلها العرب لن يكون من السهل تقبلها الخضوع لسلطة العرب الذين رأت فيهم الضعف و الانقياد لها يوما ما بغض النظر عن انتماءاته م القبلية، و يمكن التعبير عن ذلك بتجدد الصراع العربي الفارسي الغابر [3] في شكل مخضع بالقوة ــ العرب ــ و رافض للخضوع ــ الفرس ــ، فإن أسلمنا بتآمر الهرمزان ضد الخليفة فلابد أن يكون في هذا الإطار.

و من جهة أخرى فإن سياسة عمر المتشددة تجاه قريش خاصة، التي منعها (عمر) الخروج من المدينة خوفا من الفتنة[4]، لأن خروجهم سيزيد من حقد الأعراب على قريش قريش و بالتالي قد ينجر عن ذلك انفجار الفتنة و هو ما عبر عنه بقوله: << **إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد ــ يقصد كبار قريش ــ** >>[5]، لكن قد يذهب البعض إلى التساؤل عن حقيقة منع الخليفة خروج قريش و قد كان عماله من عامة قريش

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تص: محمد بن إسماعيل الصاوي، ط2، دار الكتب المصرية، 1970.
[2] ابن سهل البلخي، مصدر سابق، ج2، ص 206.
[3] ابن أبي بكر، كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر 1979، ص 28 – 29.
[4] ابن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيان المشاهير و الإعلام، مصدر سابق، ج2، ص 149.
[5] محمد عبادة الجابري، مرجع سابق، ص 137.

أساسا و لابد من الإشارة إلى أن الذين منعهم كبار قريش وأثريائها مثل عثمان بن عفان و الزبير بن العوام و غيرهما فيما كان عماله من عامة قريش أو من ذوي الطبقات الفقيرة و المتوسطة الثراء مثل عمار بن ياسر و أمثاله ومن ناحية أخرى فقد استعمل هؤلاء النفر الذين استعملهم الرسول ﷺ وأبو بكر من بعده و قد راعى في استعمالهم المهارة و الخبرة الحربية مثل أبي عبيدة و خالد بن الوليد و كذا الدهاة كعمرو بن العاص و عموما فقد كانت سياسته تجاه قريش تنبئ عن تذمر نلمسه في مقولة شاعت: <<**لم يمت عمر حتى ملته قريش** >>[1]، و إذا كان الجابري قد افترض وجود يد قرشية وراء خنجر أبي لؤلؤة فإننا لا نستطيع مساندته في افتراضه على الرغ م من اقتناعنا بإمكانية وجود تذمر قرشي من سياسته الاقتصادية قد يكون مصيبا في افتراضه إلى درجة ما بالنظر إلى تفضيل عثمان بن عفان للخلافة من بعده و هو المعروف بلينه مع قريش و بنو أمية خصوصا فتكون تلك الأخيرة قد تخلصت من شدة عمر، و لعل في ذلك جانب من صحة افتراضه، لكن من جانب آخر هذا لا يعني أن يكون هناك يد قرشية وراء مقتل عمر لأن الذين منعهم هذا الأمير من الخروج و التملك إنما هم كبار الصحابة وأعيان قريش خوفا من إقبالهم على الدنيا فقد سبق وان رأينا أنه سمح لبعض القرشيين بالخروج للفتح بل و ولاّهم على الأمصار مثل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص [2]، ثم أن احتمال اشتراكهم في مؤامرة قتله ضعيفة بالنظر على أن إمكانية خروجها من بين أيديهم خاصة و أن العرب يرفضون سلطتها عليهم فاحتمال وقوعها في يد قرشي آخر لم يكن أمرا مؤكدا، حتى و لو كان كذلك من باب اتفاقهم على أنها لا تكون إلا فيهم فإن احتمال وقوعها في يد خليفة يوافق رغبات قريش غير مؤكد فكان يمكن أن يختار لها عبد الرحمن بن عوف و هو الذي قال عنه عمر: مسلم ضعيف [3] فلن يقدر إذن على توفير الأمن للأمة، أو الزبير بن العوام الذي وصفه بأنه: مؤمن الرضا، كافر الغضب [4] و

---

[1] محمد عابد الجابري، المصدر السابق، ص 140.
[2] ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص 79.
[3] ابن سهل البلخي، مصدر سابق، ج2، ص 215.
[4] ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص

بالتالي صعوبة مسايرته، أو سعد بن أبي وقاص الذي عرف بشدته وغلظته، كذلك الحال بالنسبة لعثمان بن عفان المحابي لبني أمية [1]، و بالتالي لن يكون في صالح قريش بقدر ما سيكون في صالح بني أمية ــ أقاربه ــ هذا من جهة و من جهة أخرى فيمكننا الإقرار إلى ضعف افتراض الجابري من باب كون من اختاروا عثمان هم من كبار الصحابة – من العشرة المبشرين بالجنة – [2]، و بالطبع لن يتجرأ أحدهم عن تدبير مؤامرة كهذه و هم الذين قال عنهم النبي ﷺ: <<**أصحابي كالنجوم بأيهم افتديتم اهتديتم** >>[3] و يصفهم بأنهم خير أبناء هذه الأمة << **خير القرون قرني' ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**>>[4] ثم أن أحدا منهم لن يستطع الجزم بأن الأمر سيكون له بعد ذلك، فما ذهب إليه الجابري أضعف ما يكون ــ حسب رأينا ــ من خلال ما استعرضنا من مبررات و عموما فإننا نستبعد وجود يد عربية قرشية وراء مقتله خاصة و أن قريشا تهابه لشدته فحتى و لو افترضنا تذمرها من سياسته تجاهها إلا أننا نستبعد اجتراءها عليه و كبارها يهابونه [5]، ثم أننا نستبعد يد العرب من غير قريش و قد وفر لهم الأمن و حرص على فحصه أسرار رعيته و هو سبب نجاح الحكام، ثم أنه حقق لأبناء القبائل التي كانت قد ارتدت رغبتهم في المشاركة في الفتح لكن رغم ذلك لا يمكننا نفي مخلفات سياسة التفاضل في تقسيم العطاء التي انتهجها عمر [6]، إذن لم يبق غير الذهاب إلى كونها تعبير عن تذمر عجمي فارسي على وجه التحديد، و حسب ما توصلنا إليه فالأرجح و الأقرب إلى الصواب مؤامرة تندرج ضمن ما يمكن أن نصطلح عليه بإحياء الصراع العربي الفارسي[7] كنتيجة لسياسة عمر تجاه العجم.

---

[1] ابن علي الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج6، 823.
[2] ابن سعد، العشرة المبشرين بالجنة، ص 20.
[3] ابن أبي بكر السيوطي، الرسائل التسع، ط 2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1988، لبنان، ص 10.
[4] نفسه.
[5] إبراهيم محمد البيهقي، المحاسن و المساوئ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، نهضة مصر و مطبعتها، القاهرة، (د ت ن)، ص 60.
[6] ينظر: ابن الخطيب السلماني، مصدر سابق، ص 6.
[7] ابن يحيى البلاذري، مصدر سابق، ص 28 – 29.

3 2 -اختيار عثمان: آلياته و حيثياته:

أما فيما يخص اختيار عثمان بن عفان للخلافة فالمتفق عليه بين المصادر المؤرخة للحادثة هو أن اختيار عمر لهؤلاء النفر ــ أصحاب الشورى ــ كان بإلحاح من المهاجرين على الرغم من أن رده كان: << **و الله لا أملك حيا و ميتا** >>[1]، لذلك رأى أن يجعلها شورى بين من توفى الرسول ﷺ و هو راض عنهم وهم: عبد الرحمن بن عوف، طلحة بن عبيد الله [2]، سعد بن أبي وقاص، عثمان بن عفان علي بن أبي طالب[3]، الزبير العوام، و على الرغم من إشارتهم عليه بتولية ابنه عبد الله بقولهم: <<**يا أمير المؤمنين إن فيه للخلافة فاستخلفه، فإنا راضون به** >>[4]، و قولهم هذا هو من جهة أخرى دليل آخر على استبعاد وجود يد لقريش في مقتله، و المهم هو رفضه طلبهم و لعلّ موقف عمر من عدم تحديد أحد هؤلاء الستة من بعده نابع من خوفه من وقوع فتنة يكون مسؤولا عنها، أما عن أسباب تقديم عثمان على علي بن أبي طالب فقد سبقت إشارتنا إلى اعتبار كثير من المؤرخين وعلى رأسهم الجابري و هشام جعيط أنه نابع من سأم قريش سياسة عمر [5]، لكن إذا ما حاولنا تحليل مجريات الشورى فسنجد أن مؤهلات كل من هؤلاء لتولي الخلافة كانت تشير إلى عثمان، فسعد كان غليظا شديدا الزبير مؤمن الرضا كافر الغضب، طلحة بن عبد الله امتاز بقوته و كبره و لو وليها لوضع خاتمه في يد امرأته ــ حسب وصف عمر له ــ أما عبد الرحمان بن عوف و علي بن أبي طالب فحريصين عليها– حسب ما ورد من وصف

---

[1] ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 25.

[2] طلحة بن عبيد الله: بن عثمان، القرشي التيمي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، كنيته أبو محمد، ثامن المسلمين، ينظر ترجمته: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت ن)، ص 348.

[3] علي بن أبي طالب: الخليفة الرابع، القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ و صهره، أسلم صبيا، كنيته أبو الحسن، و كنّاه النبي ﷺ بأبي تراب، عالم عابد، و أحد المبشرين بالجنة، ينظر ترجمته: ابن علي الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ط2، الشريف الرضا، ن، (د ب ن)، 1374 هـ، ص 11. ابن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر سابق ص 14.

[4] ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدر سابق، مج(1– 2)، ج2، ص 155. و تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج 3، ص 125.

[5] الجابري، مرجع سابق، ص 140، و هشام جعيط، مرجع سابق ص 130.

عمر لهما–، و أما آخرهم ــ أي عثمان ــ المحابي لقومه و أهله فإذا ما عدنا إلى تفسير ذلك بطريقة أخرى فسنجد أولا أن هؤلاء ما عدا طلحة، كلهم قرشيون من جهة، و من جهة أخرى فإن ميل عثمان إلى أقاربه سيخلق موازنة ترجّح له الكفة، فعبد الرحمان يكون صهره و هو من ناحية أخرى ابن عم لسعد، أما علي فمن آل البيت و الزبير ابن عمة رسول الله ﷺ، و لأن عمر أوصاهم بجعل الأمر في مجموعة عبد الرحمن إن تساوت المجموعتان فقد كان الراجح كونها لعثمان منذ البداية فهو شيخ المجموعة المكونة من عبد الرحمن و سعد. لقد خلقت الشورى بل و كرّست الصراع بين الهاشميين و الأمويين، و هو ما ستظهر أبعاده في عهد عثمان و من بعده. فسرعانما خرج الأربعة منها ليبقى الاختيار بين علي ممثل بني هاشم و عثمان ممثل بني أمية، و هنا بدا الصراع جليا بين أنصار الطرفين و يمثله قول ابن أبي السرح: << **إن أردتم ألا تختلف قريشا، فولّوها عثمانا**>> و رد عمار بن ياسر بقوله: << **إن أردتم ألا يختلف الناس فولوها عليا** >>[1]. إن لهاتين المقولتين دلالات كثيرة فحصر ابن أبي سعد الاختلاف في قريش، فيما حددها عمار بعامة الناس له مدلوله فعثمان صاحب مكانة بين قريش فهو من بني أمية الذين أثبتوا تغلبهم على بني هاشم من أيام الرسو ل ﷺ، فهم قادة الفتح و أثرياء قريش و أسيادها، في حين أن علي ممثل بني هاشم عبد فقير ومن آل البيت لذلك سيلتف حوله الناس من الفقراء و الضعفاء خصوصا كما أن كونه ممثل آل البيت يعطيه حظوظا أكبر فلن يختلف اثنان في توليه إياها إن ذلك، و لأن قريشا هي صاحبة الرأي و الغالب فيها بنو أمية، فقد رجحت الكفة لصالح عثمان دون علي، هذا من جهة و من جهة أخرى فإن كون ابن عفان معروف بلينه و ميله إلى قريش عامة و بني أمية خاصة و كذا حيائه و سخائه[2]، كل ذلك سيجعل كفة الميزان لصالحه، فكما سبق و أن عرفنا فإن قريش قد منع كبارها في عهد عمر من الخروج و كسب الأموال [3] و بالتالي فإنها ترى في عثمان

---

[1] ابن سهل البلخي، مصدر سابق، ج2، ص 212.
[2] محمد البيهقي، المحاسن و المساوئ، مصدر سابق، ص 61.
[3] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج1، المؤسسة المصرية العامة ن و ت، مصر، (د ت ن)، ص 55.

الأجدر لإخراجها إلى حيث تريد الأمصار و كسب المال، وبالتالي فإن عثمان وبحكم تقديمه لهم لن يعارض في امتلاكهم الأموال ومنه فإنها سترى في عثمان الجدير بالحكم أما بالنسبة للزبير حليف علي و كذا طلحة فإنهما لن يمانعا في قبوله بحكم ثرائه و لينه.. و باختصار يمكن القول أن اختيار عثمان يمكن إدراجه ضمن رغبة قريش في التحرر من شدة سابقه.

الفصل الثاني

وقائع الفتنة في زمن عثمان

دوافعها و مجرياتها

- ❖ عثمان بن عفان سياساته و انعكاساتها.
  - سياساته: (أ- الإدارية . ب - الاقتصادية)
  - انعكاساتها : (أ - على الاقتصاد . ب – على المجتمع)
  - ظهور التذمر و دور سياسة عثمان فيه .
- ❖ الثورة على عثمان : أسبابها و مجرياتها
  - دراسة الأسباب
  - التمرد و فرض الحصار
- ❖ مختصر مواقف كبار الصحابة و بني أمية
  - مواقف كبار الصحابة : (أ- أصحب الشورى . ب- لمحة عن مواقف بعض الصحابة)
  - موقف بني أمية

1. عثمان بن عفان سياساته و انعكاساتها:

1.1. سياساته :

طوت الدولة الإسلامية عهد التشدد الذي عرفته على عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب لتدخل بذلك مرحلة حاسمة من تاريخها صنعتها سياسة الخليفة الثالث عثمان بن عفان (24 هـ، 35 هـ)، الذي انتهج سياسة مغايرة لتلك التي انتهجها سابقه.

لقد سار عثمان في رعيته باللين و الحلم [1] كما لم يغفل عن إقامة العدل إذ كان يرسل إلى عماله كل موسم حج و يكتب للرعية أن من كانت عند أحد العمال مظلمة: << **فليوافِ إلى الموسم فإني آخذ بحقه من عامله** >> [2]، في حين لم يتوان عن تفقد أحوال رعيته إذا كان يخرج إليهم كل جمعة قضاء لحوائجهم و تتبعا لأمورهم [3]، و إذا كان عثمان قد سار على نهج سابقه في مسؤوليته كخليفة للمسلمين من تفقد لأحوالهم....، فإنه قد خالفه في بعض الأمور، من ذلك لجوؤه إلى التكلف في معيشته فأتخذ بيتا فاخرا من الرخام [4] مخالفا بذلك تقشف عمر.

أ- سياسته الإدارية:

أما إداريا فقد سعى الخليفة إلى رسم سياسة لولاته سطرها لهم في رسالة جاء فيها : <<**أما بعد: فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة و لم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، و إن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة و لم يخلقوا جباة و ليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة و لا يكونوا رعاة، فإن عادوا كذلك انقطع الحياء و الأمانة و الوفاء، و إن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم و تأخذوهم بالذي**

---

[1] – ابن عثمان الذهبي، الخلفاء الراشدون، تح : حسام الدين القدسي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 482.
[2] – ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 211.
[3] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج3، ص 59.
[4] – و كان ذلك ــ أي بناء داره بالمدينة ــ عام 29 هـ، ابن الحسين، مصدر سابق، ج1، ص 88.

عليهم، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء >>[1]، هذا وقد أقر عمال عمر على ولاياتهم ما عدا المغيرة بن شعبة الذي استبدله بسعد بن أبي وقاص بعد عام من خلافته بناءا على وصية عمر التي جاء فيها: **<< أوصي الخليفة من بعدي أن يستعمل سعدا فإني لم أعزله عن سوء...** >>[2] و تجدر الإشارة هنا إلى أن عثمان كان لا يعزل أحدا إلا عن شكاية [3]. و عموما فقد بدأ بتغيير ولاته منذ عام 25 هـ بداية بعمرو بن العاص الذي ولى بدلا منه عبد الله بن سعد على مصر [4] و قيل أن ذلك كان عام سبعة و عشرين للهجرة ثم كان عزله لسعد الذي استبدله بالوليد بن عقبة[5] على الكوفة ليتوالى بعد ذلك استبدال الولاة فجعل على البصرة عبد الله بن عامر[6] مكان أبو موسى الأشعري.

و لعل أهم ما ميز سياسته الإدارية محاباته لعماله من بني أمية إذ نجده مثلا يعزل سعدا بن أبي وقاص لشجار بينه و بين أبي مسعود نتيجة لعجزه عن إرجاع ما استدانة من بيت المال[7] بينما نجده في موضع آخر يكتفي بتهديد و زجر ابن أبي سرح إثر وصول وصول شكاوي الرعية ضده لكنه لم يعزله [8]، أما في أمور الدين فنجده لا يتوانى في تطبيق حدود الشرع متى تجاوزوها، و مثال ذلك تطبيقه حد شارب الخمر على الوليد بن عقبة عامله على الكوفة بمجرد ثبوت التهمة عليه و عزله [9]، و على العكس من دقة عمر

---

[1] – ابن جرير الطبري، مصدر سابق ص 88 – 89.

[2] – ابن جرير الطبري، مصدر سابق ص 88.

[3] – ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افر يقيا و تونس، تح : محمد شام، ط3، مكتبة العتيقة، 1991، ص 26.

[4] – و سبب عزل عمر خلاف بينه و بين ابن أبي السرح، قام على إثره بن العاص بالقدوم على الخليفة طالبا منه عزل ابن أبي سرح الذي كان على صعيد مص من عهد عمر، فما كن من عثمان إلا أن عزله و أقر ابن سعد على كامل تراب مصر، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج1، ص 66.

[5] – الوليد بن عقبة : بن أبي معيط ، القرشي الأموي، أخو عثمان لأمه أروى بنت كريز حفيد البيضاء عمة رسول الله ﷺ، عامل أبو بكر و عمر على الصدقات، أسلم يوم الفتح مكة، بنظر ترجمته : ابن العربي، مصدر سابق، ص 63، ابن قتيبة الدينوري، المعارف، مصدر سابق، ص 180 .

[6] – عبد الله بن عامر : بن كريز. ابنه خال عثمان ﷺ ، هاشمي الخؤولة، و هو الذي قال فيه النبي عبد شمس : << هذا أشبه بنا منه بكم >> و قال ﷺ : << أرجو أن يكون مسبقا >> ينظر ترجمته : ابن العربي، العواصم من القواصم، مصدر سابق، ص 62، ابن قتيبة، المعارف مصدر سابق، ص 180 – 182 .

[7] – ابن كثير ، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 146.

[8] – ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص 288 – 289.

[9] – عزله و عوضه بسعد بن العاص الأموي، إبراهيم محمد البيهقي، السنن الكبرى، ج 8، تح : عبد القادر عطاء دار البـــــاز مكة، 1994، ص 318.

في محاسبة ولاته في أمور الخراج والأموال ...فإن عثمان قد غيب هذه السياسة إلى حد ما مع ولاته من بني أمية و كدليل على ذلك ما كان منه عندما اشتكاه عبد الله بن مسعود[1]عامل بيت المال على الوليد بن عقبة اثر امتناع الأخير عن تسديد ما اقترضه من بيت المال فما كان من عثمان إلا أن أجابه قائلا: << **إنما أنت خازن لنا فلا تتعرض للوليد فيما أخذ من ماله**>>[2].

أما على الصعيد الحربي و في إطار تأمين حدود الدولة من غارات الروم و تثبيتا لأقدامها في البلاد المفتوحة؛ و عملا بقوله تعالى: ﴿..وَقَـٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةً‌ۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾[3] فقد عمد الخليفة منذ أيام خلافته الأولى إلى توجيه الجيوش صوب المناطق التي انتقضت و نقضت صلحها بمجرد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب من ذلك إرساله عمرو بن العاص إلى الإسكندرية التي انتفضت عام 25هـ و كان فتحها على يده عنوة، و كذا أذربيجان و أرمينية اللتين نقضتا صلح عمر فغزاهما على يد الوليد بن عقبة انطلاقا من الكوفة عام 24 هـ و الذي تمكن من مصالحة أهلها على صلح حذيفة بن اليمان على ثلاثمائ ة ألف درهم كل عام [4] و عقب تثبيت أقدام الدولة في الأراضي المفتوحة و استعادة الصلح من بعضها عمد عثمان إلى إرسال الفتوح فكان له أن فتح العديد من المناطق مثل: افريقية [5]عام 29هـ على يد ابن

---

[1] – عبد الله بن مسعود، بن غافل، المصري، الهذلي، حليف بني زهرة، من أوائل المسلمين، صاحب الرسول ﷺ و خادمه بدري من كبار المقربين، توفي عام 32هـ ، ينظر ترجمته : ابن الجزري، مصدر سابق، ط 1، ج1، دار الكتب العلمية بيروت 1934، ص 458، ابن شعيب النسائي، كتاب الضعفاء، ص 128، ابن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ ،مصدر سابق، ص 14.

[2]– ابن يحي البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص 30.

[3]– التوبة: الآية 36.

[4]– ابن كثير، البداية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 146، ابن تغري بردي، مصدر السابق، ج5، ص 93 – 95.

[5]– افريقية: اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وتنتهي سواحلها غربا إلى قبلة شبه جزيرة ايبيريا– الأندلس– ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق ج1، ص 100.

أبي سرح، و سابور [1] التي صالح عثمان بن أبي العاص أهلها على ثلاثة آلاف وثلاث مائة ألف[2] إلى جانب قبرص[3] التي كان فتحها على يد معاوية بن أبي سفيان، لعل أهمها جميعا فتح سرخس[4] و كرمان[5] و كذا سجستان[6] من بلاد فارس على يد عبد الله بن عامر عام 30 هـ[7]، أما ولاته فقدوا أغدقوا الأعطيات على أهل الولايات و و خصوا بذلك طبقة الفقراء و الأشراف الذين شكلوا البلاط في الأمصار.

2.1. سياسته الاقتصادية: إن الحديث عن سياسة عثمان الاقتصادية يأخذنا بالضرورة إلى عرض مختصر لموارد بيت المال العثماني و المتمثلة في:

ـ **عائدات الفتوح:** من غنائم وفيء[8]، خاصة و أن عهد عثمان قد عرف حركة فتح نشطة اتخذت اتجاهها نحو مناطق عرفت بثرائها، و لعل أهمها فتوح بلاد فارس كاصطخر و مرو[9] و غيرهما إذ أورد اليعقوبي في هذا الصدد: <<**أنهم ...أخرجوا من من خزائن كسرى مائتي ألف بدرة في كل بدرة أربعة آلاف**>>[10].

---

[1]– سابور: مدينة بينها و بين شيراز 25 فرسخا و هي مدينة مشهورة ببلاد فارس، ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق ج2، ص 680– 681.

[2]- كانت غزوتها عام 27 هـ على أغلب الروايات، بن خياط، مصدر سابق، ص 92، اليعقوبي، مصدر سابق، ج 2، ص 165، ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج3، ص 88.

[3]- قبرص: أو قبرس و هي جزيرة في بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، ابن أبي عبد الله الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 346، و كان فتحها عام 28 هـ، بن خياط، نفس المصدر السابق، ج5، ص 92.

[4]- سرخس: مدينة بنواحي خراسان بين نيسابور و مرو في وسط الطريق، عام 31 هـ، ابن عبد الله الحموي، مصدر سابق، مج3، ص 235.

[5]- كرمان: ولاية مشهورة و ناحية كبيرة ذات بلاد و قرى و مدن واسعة، تقع بين خراسان و سجستان و مكران و فارس، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 122.

[6]- سجستان: اسم في أطراف خراسان، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج 4، ج1، ص 126، و كان فتحها عام 30هـ حسب ابن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر ،ج2، مصدر سابق، ص 13.

[7]– ابن يحي البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص 383.

[8]– الفيء : ما يؤخذ من الأرض المفتوحة عنوة(بالقوة) و هي أراضي طبقة الأرستقراطية و الملوك القارة أو المهزومة، ابن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، مج1، ص 39.

[9]– مرو: إحدى أكبر مدن خرسان و هي عاصمة لها.

[10]– اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 165.

ـ **عائدات الصلح المفروض على بعض المناطق:** كأذربيجان و أرمينية على ثلاثمائة ألف درهم عام 24 هـ و كذا صلح إفريقية الذي تم على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف ألف دينار[1].

ـ **الخراج:** مثل الخراج المجبى من البلاد المفتوحة موردا هاما لبيت المال و الذي تضاعفت عائداته على ما كانت عليه في عهد عمر من ذلك ما أورده ابن عبد الحكم من أن ابن أبي سرح عامل عثمان على مصر جباها بأربع عشرة ألف ألف و قد جباها عمرو بن العاص فقبله باثني عشرة ألف ألف حتى روي أن عثمانا خاطب عمرو في هذا الشأن قائلا: <<**يا أبا عبد الله ، درت اللقحة بأكثر من درها الأول** >> فما كان من الأخير إلا أن رد بقوله: <<**أضررتم بولدها**>>[2].

- **الجزية:** ساهمت عائدات الجزية المفروضة على أهل الذمة في سائر البلاد الإسلامية على اتساع رقعتها في مداخيل بيت المال .
- **الصدقات:** كذلك كانت صدقات الجزيرة العربية و ضرائب الماشية [3] مصدرا هاما للأموال و يضاف إلى كل ذلك ما خلفه كل من أبي بكر و عمر من أموال طائلة كانعكاس لسياسة الفتوح التي انتهجاها و كذا السياسة التقشفية العمرية في صرف الأموال[4].

و حيال تضخم بيت المال نتيجة لتعدد موارده، لجأ عثمان إلى انتهاج سياسة تنظم مجالات إنفاقها مدفوعا بما عرف عنه من الكرم و عدم التقتير في إنفاقه [5]، و تشير المصادر إلى أن تصرفه في بيت المال لم تحدده ضوابط إذ اعتبر نفسه المسؤول الأول و

---

[1]– ابن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، ص 12 – 13.
[2]– ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص 188، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج1، ص 81.
[3]- ضرائب الماشية: و تسمى أيضا صدقات الماشية، و هي زكاة السوائم من الإبل و البقر و الغنم دون العوامل و المعلوفة ابن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، مج1، ص 39 .
[4]– ابن عبد الوهاب النويري مصدر سابق، مج (3 – 4)، س 3، ب1، ص 7 .
[5]– ابن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، تح : محمود إبراهيم زايد، ق 1، دار الوعي، حلب، 1976 مـ، ص 27، ابن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر، ص 13.

الأخير عن التصرف فيه حسب وجهة نظره التي نلمسها في قوله: **<<مالي لا أفعل في الفضل ما أريد، فلما كنت إماما إذن >>**[1] إذ يفهم من قوله أنه يرى الخليفة حرا في تصرفاته و تسيير شؤون دولته إداريا و اقتصاديا ... [2]، و عموما فإن سياسته في صرف الأموال لا تختلف عن سياسة سابقه من حيث أوجه الإنفاق ما عدا ديوان العطاء الخاص بذي القربى.

أما ما تعلق منها بتقسيم الغنائم و أجور الجند و مثال ذلك ما روي عن تقسيمه غنائم افريقية التي جعلها على النحو التالي: سهم الراجل منها ألف دينار والفارس ثلاثة آلاف دينار في الوقت الذي بلغ فيه تعداد الجيش العربي عشرون ألفا[3]، أما مثال تقسيمه لعائدات الصلح فقد قسمها بافريقية على النحو التالي: جعل نصيب الفارس منها ثلاثة آلاف مثقالا فيما خصص لقائد فتحها ابن أبي سرح خمس غنائمها أي ما يعادل مائة ألف دينار حسب ما أورده الشهرستاني[4].

فيما كان تقسيمه لديوان العطاء حسب ما يتلاءم و طبيعة المجتمع : فبالنسبة لأمهات المسلمين فقد زادهن درهمين لكل واحدة منهن على فرض عمر [5]و يروي المسعودي في هذا الصدد أنه خصص لعائشة أم المؤمنين عشرة آلاف درهم سنويا فيما أقر فرض عمر للمسلمين كل ليلة درهما في شهر رمضان[6].

---

[1]– ابن قتيبة الدينوري : الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 28 .

[2]- و لقد بالغت بعض المصادر و صف سياسته بالإسراف في الإنفاق لتجعل ذلك من الأسباب المزعومة للثورة عليه، لكن رآها الخليفة تدخلا في صلاحياته كإمام ووجوب طاعته ما دام لا يخرج عن الشرع، و لعل وجهة نظره فيها كثير من الصحة لأن من مهامه كخليفة الاجتهاد في تسير دولته، ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ص 5 .

[3]– ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 26 – 27، ابن عثمان الذهبي، العبر خبر من غبر، مصدر سابق، ج2، ص 13 .

[4]- عبد الكريم الشهرستاني، الفصل في الملل و النحل، مصدر سابق، ص 19.

[5]- ابن جرير الطبري، ، مصدر سابق، ص 19.

[6]- ابن علي المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج5، ص 89.

و بالمقابل لم يغفل عثمان عن أهل الأيام و ذوي السابقة من أوائل الفاتحين إذ جعل لهم عطاء خاصا بهم بل ألحقهم خراجهم من السواد إلى حيث استوطنوا [1]و في إطار سياسته الاقتصادية و خلافا لما سنه عمر فقد سمح عثمان لكبار الصحابة و القرشيين منهم خصوصا بالخروج من عالم المدينة للاتجار بالأمصا ر بل و شجع التجارة و رفع عنها القيود، كذلك شجعهم على امتلاك الأموا ل بالسواد عند تخوفهم على خراجهم أيام إعلان أصحاب الفتنة عن تذمرهم قائلا: << **يا أهل المدينة إن الناس يمتحضــون عن الفتنــة و أني لأتخلصن لكم إذا رأيتم ذلك، هل ترونه؟ حتى يأتي من شهد من أرض العراق فيقيم معه في بلاده**>>[2] ومن ذلك الحين تهافت كبار الصحابة القاطنين بالمدينة على اتخاذ أملاك لهم بالأمصار خاصة الكوفة و البصرة حتى ملكوا هناك الضياع و الديار كما سوف نعرض ذلك لاحقا.

و لأن الشرع قد خصص لذوي القربى حقهم من العطاء و الصدقات إذ قـــال تعــالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[3]، فقد خصص الخليفة عثمان بن عفان عطاء خاصا بذويه من بني أمية، مسرفا فيه إذ أغدق عليهم العطـــايـــا

[1]- أهل الأيام هم الذين شاركوا في الفتح منذ أيام عمر، و كان كبار الصحابة ذوي السابقة الإسلامية و ربما شاركوا في الفتح ثم استقروا بالمدينة. و لأن عمر رفض تقسيم السواد فقد كان خراجهم يأتيهم هناك منذ عهده، ابن إبراهيم، الخراج، مصدر سابق، ص 28 – 38.

[2]– كان عمر قد منعهم من الخروج خوفا من انشغالهم بالدنيا، أما عثمان فقد سمح لهم بذلك ليكونوا قدوة يقتدى بهم في الأمصار، ثم لا ننسى لينه وحياءه الذي ربما ساهما في عدم منعه لخروجهم، و لقد جاءت إشارته عليهم بشراء الأملاك بالأمصار فكان لمنع الفتنة حيال إقدام بعضهم على بيع أملاكهم و هم من الفقراء.

[3]– البقرة : الآية 177.

و الهبات مفضلا إياهم على المسلمين و من ذلك ما أمر به لعمه الحكم [1] ــ مائة ألف دينار ــ فيما جعل خمس غنائم افريقية من نصيب ابنه مروان بن الحكم [2] المقدرة قيمتها بمائتي ألف دينار حسب ما أورده اليعقوبي [3]، أما المسعودي فقد روى أن عثمانا منح صدقات قضاعة البالغة ثلاث مائة ألف درهم لعمه الحكم [4] لعل هذا أهم ما ميز ديوان العطاء العثماني على ما كان عليه أيام عمر بن الخطاب .

هذا و قد عرف عن الخليفة الثالث سياسة الجود و إطلاق يده في صرف الأموال، و من مظاهر و من مظاهر ذلك ابتناؤه دارا فاخرة له بالمدينة لم يتخذ مثلها سابقوه[5]، كذلك توسيعه المسجد ــ مسجد الرسول ﷺ ــ من بيت المال بطريقة ميزها البذخ إذ يروى أنه بناه بالحجارة المنقوشة و القصة[6] و جعل عموده حجارة منقوشة بها عمد حديد ممزوجة بالرصاص، أما سقفه فساجن[7].و في إطار حملته لتوسيع المساجد المساجد قام بإتباع عدد من المنازل لتوسيع المسجد الحرام و على الرغم من معارضة بعضهم إلا أنه اتخذ إجراء صارما في شأنهم إذ زجّ بهم في السجن قائلا: << **ما جرأكم على إلا حلمي و قد فعل هذا عمر فلم تصيحوا**>>[8].

---

[1]– الحكم بن أمية : أسلم يوم فتح مكة، و سمي بطريد الرسول ﷺ لأنه طرده إلى الطائف أو اليمن على اختلاف الرواي ـــات و قيل سببه إفشاءه لسره ــ الرسول ﷺ ــ فقيل محاكاته النبي ﷺ في مشيته، عبد الك ـــريم الشهرستاني، الفص ـــل في الم ـــــلل و النحل، مصدر سابق، ص 19، ابن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر سابق، ص 14 .

[2]- مروان بن الحكم : ابن أمية ،يقول ابن العربي أنه رجل عدل، من كبار الأمة عند الصاحبة و التابعين، روى عنه سهيل بن سعد الساعدي و روايته في صحيح البخاري، و هو من الطلقاء (الذين أسلموا يوم فتح مكة فقال لهم ﷺ : أذهبوا فانتم الطلقاء)، ابن العربي، العواصم من القواصم، مصدر سابق، ص69.

[3]- اليعقوبي، مصدر سابق، ص 167 .

[4]- ابن علي المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج3، ص 66 – 67.

[5]- ابن الحسين، مصدر سابق، ج1، 90 .

[6]- القصة : الكلس، ابن الكثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 184.

[7]- ابن أحمد السمهوري، و فاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج 2و دار إحياء التراث، بيروت، (د ت ن) ، ص 507 .

[8]– اليعقوبي، نفس المصدر السابق، ج2، ص 165 .

2. انعكاساتها:

أ. **على المستوى الاقتصادي:** نتيجة لتعدد موارد بيت المال[1]، فقد شهد عهد ــ عثمان ــ ازدهارا اقتصاديا و رخاء معيشيا عبر عنه انتشار البذخ[2] الذي تجلت أهم مظاهره فيما فيما رواه الحسن البصري قائلا: **<<شهدت عثمان و هو يخطب فسمعته يقول : أيها الناس اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافية، أيها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقتسم بينهم ،حتى و الله سمعت أذناي : يا معشر المسلمين اغدوا على السمن و العسل فيغدون فيقسم بينهم السمن و العسل ...فلم يزل المال متوافرا حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقا، و بيع الفرس بعشرة آلاف دينار و بيع البعير بألف والنخلة الواحدة بألف.>>**[3]، و قد قاد ذلك إلى انتشار حالة من الترف حتى ظهرت المنكرات ، منها ما ذكره حكيم بن عباد : **<< أول منكر ظهر بالمدينة طيران الحمام و الرمي فأمر عثمان رجلا فقصها و كسر الجلاهقات >>**[4]، كذلك الحال بالنسبة للأمصار التي لم تخل هي الأخرى من مظهر الرخاء الاقتصادي و مثال ذلك الكوفة التي شهدت نوعا من الترف على يد الوليد بن عقبة إذ يروي الطبري أنه أغدق على أهلها العطاء حتى أنه جعل يقسم للولائد و العبيد و كذا المهاجرين الجدد المتوافدين على الكوفة أيام ولايته[5].

و من جهة أخرى فقد أفضت سياسة عثمان الاقتصادية إلى خلق اختلال في التوازن الاقتصادي بين مجتمع المدينة و مجتمعات الأمصار ذلك أن المدينة و بحكم احتضانها لمركز الخلافة إلى جانب كونها مقرا لأغلب الأمويين الذين شكلوا طبقة الأثرياء داخل المجتمع المدني [6] فقد شهدت حالة من الرفاهية مقرنة بالأمصار التي على الرغم من قيادتها لحركة الفتوح و احتضانها لفاتحي السواد إلا أنها كانت أقل ثراء مقارنة

---

[1]- موارد بيت المال العثماني، ص 51.
[2]- هشام جعيط، مرجع سابق، ج1، ص 28 .
[3]- ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 28 .
[4]– ابن عساكر، مصدر سابق، ج1، ص 221، و الجلاهقات: لفظ فارسي الأصل يعني البندق. و منه قوس الجلاهق، ابن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، مج2، ص 263.
[5]- لقد قدم على الكوفة أعداد كبيرة من المهاجرين الذين قدموا مع حملة الفتوح و لم يؤطروا في ديوان العطاء.
[6]- ينظر: التركيبة الاجتماعية على عهد عثمان 57.

بالمدينة التي باتت مقرا لكبار الصحابة الذين امتلكوا ثروات طائلة نتيجة لإجراء الخليفة القاضي بالسماح لهم بالخروج إلى الأمصار و من أمثلة ذلك امتلاك الزبير بن العوام ثروة قدرت بعد وفاته بخمسين ألف دينار كما خلف إبلا و خيلا كثيرة فضلا عن ألف فرس و مثله أمة [1] ، أما طلحة بن عبيد الله التميمي فقد كانت غلته من العراق ألف دينار كل يوم و أكثر من ذلك من ناحية السراة[2] كذلك امتلك عبد الرحمان بن عوف هو الآخر ألف فرس و مثله بعيرا إضافة إلى عشرة آلاف من الغنم، و لقد قدر ربع ما تركه بألف مثقال من الذهب ، فيما لم يفت بعضا من كبار الصحابة الذين عاشوا الفقر قبل هذا العهد أن يمتلكوا و يكونوا لأنفسهم ثروات من هذا النوع.

و مثال ذلك زيد بن ثابت [3] الذي وصف ما ملكه من الذهب و الفضة بأنه يكسر بالفؤوس ــ دلالة عن كثرتها ــ فيما امتلك الخباب بن الإرت [4] هو الآخر حوالي أربعين ألف دينار [5]، أما الخليفة المحسوب على بني أمية فقد وجد عند خازنه يوم مقتله ثروة مالية قدرت بمائة وخمسين ألف دينار و مليون درهم على رواية المسعــودي [6] فيما أورد ابن سعد أنها بلغت خمسة و ثلاثين مليونا و نصف المليون من الدراهــم [7] و لعل أهم مظهر لثراء المدينة إلى جانب ما ذكرنا آنفا اتخاذ أغنيائها مبان توحي بالترف و البذخ بدءا بدار الخليفة التي بناها بالحجر و الخشب الثمين و نهاية بدار

---

[1]- أمة : جارية ابن منظور، لسان العرب، الدار المصرية، (دب ت)، (د ت ن) ص 105.

[2]- السراة : ناحية بالعراق .وقيل تطلق على جبل الأزد، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان،تح: إحسان عباس ط1،س2، دار الشروق، القاهرة، 1985، ص 105 .

[3]- زيد ابن ثابت : بن الضحاك، أبو سعيد الأنصاري الخزرجي، كاتب الرسول ﷺ و أمين سره على الوحي، أحد جامعي القرآن من الأنصار و توفي عام 45 و قيل 48 هــ (أو 55 – أو 56 هــ) بنظر ترجمته : ابن قتيبة ،الإمامة ،مصدر سابق، ج1 ،ص396 ،ابن النديم الفهرست، تح : مصطفى الشويحي، الدار التونسية ، تونس، 1985، ص 138 – 139 .

[4]- الخباب بن الإرت: بن جندلة، أبو عبد الله، سادس المسلمين حسب ما رواه بعضهم ، و هو أحد المهاجرين الأولين، توفي عام 37 هــ بالكوفة، بنظر ترجمته : ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدر سابق، مج (1 – 2)، ج1، ص 223 – 224 ، ابن علي الشهرستاني، لواقح الأنوار، مصدر سابق، ص 23 .

[5]- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 277 .

[6]- ابن علي المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج3، ص 76 .

[7] ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج3، ص 76 .

المقداد بن الأسود[1] الذي جعل أعلاها شرفات كما جعلها محصصة الظاهر و الباطن [2]. أما الأمصار التي كانت أقل ثراء من المدينة فقد شكل طبقة الأثرياء فيها الـــــولاة و حاشيتهم خاصة القراء كذلك الصحابة الذين امتلكوا بها الأراضي و الديار و من أمثلتهم طلحة بن عبيد الله الذي امتلك ضيعة عظيمة بالسواد تعرف في المصادر التاريخية بالنشانج فضلا عن عائدات الخراج التي كانت تلحقهم من السواد إلى حيث استقروا ــ بالمدينة ــ[3] و عموما فقد خلقت سياسة عثمان الاقتصادية اتساعا للهوة بين طبقتي الأغنياء و الفقراء.

على المجتمع: أفضت سياسة عثمان الاقتصادية و ما انبثق عنها إلى خلق تحولات اجتماعية سواء في المدينة أو الأمصار الإسلامية.

فعلى الرغم من التركيبة الاجتماعية تكاد تكون مطابقة لما كانت عليه على العهد العمري إلا أن سياسة عثمان أدت إلى خلق تفاوت طبقي ففي المدينة مثلا اتسعت الهوة بين الأغنياء الذين مثلهم القرشيون غالبا و الأمويون منهم على وجه الخصوص

و بين الفقراء المنتمين إلى قبائل أخرى و على رأسها بنو هاشم [4]، أما بالأمصار فقد أفضت سياسته إلى خلق تفاوت طبقي شكل فيه الأمويون الممثلون بالولاة طبقة الأثريا ء فيما تراجعت مكانة أهل السابقة نوعا ما لصالح رؤساء القبائل أو ما يطلق عليهم بالأشراف و مرد ذلك تعيينهم قادة لفتح خراسان و أذربيجان فضلا عن استعمالهم على أعمال السواد [5]، و لقد أدى نزوح الروافد غير المؤطرين في ديوان العطاء نحو

---

[1]- المقداد بن الأسود : الكندي، صحابي من السابقين المهاجرين إلى الحبشة، توفي عام 33 هـــ و هو من فقراء الصحابة، ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، مج (2– 2)، ج1، ص 39.

[2]- محمد عابد الجابري ، مرجع سابق، ص 145.

[3]– ينظر سياسته عثمان الاقتصادية ، ص

[4]- و لقد كان ذلك ناتجا عن إرسال الأمويين و المخزوميين للفتح منذ عهد الرسول ﷺ، بينما لم يشارك بنو هاشم إلا نـــــادرا و هو ما أدى على اكتساب الأمويين للثروة نتيجة الغنائم و جاء عهد عثمان فزاد ثراؤهم نتيجة لقيادتهم فتوح بلاد فارس الثرية .

[5]– هشام جعيط، مرجع سابق، ص 97.

المدن خاصة بالسواد مشكلين هناك طبقة البدو المقابلة للحضر إلى تشكيل هؤلاء طبقة الفقراء.

و مجمل القول أن التركيبة الاجتماعية على عهد عثمان ميزها تراجع مكانة أهل الأيام مقابل بروز طبقتين متنافستين تمثلتا أساسا في:

* **القراء:** الذين التفوا حول الوالي خاصة بالكوفة و كانوا يعتبرون أنفسهم مالكي السواد[1].

و رؤساء القبائل: الذين أخذوا يمتلكون هناك، و تجدر الإشارة إلى أن عثمان ورث التركيبة الاجتماعية من عهد سابقه فطبقتا الفقراء و رؤساء القبائل كانتا موجودتان منذ عهد سابقه لكن سياسة عثمان أدت إلى تنافسهما.

3.1. ظهور التذمر و أثر سياسة عثمان فيه:

من داخل البنية الاجتماعية التي حملت في طياتها توترا مبعثه التفاوت الطبقي المنبثق عن التحولات الاقتصادية، انطلق التذمر معبرا عن رفض المجتمع للأوضاع التي شهدها عهد عثمان اقتصاديا و اجتماعيا فقد أفضى اتساع الهوة بين طبقتي الفقراء و الأغنياء إلى إعلان هذه الأخيرة عن رفضها لسلطة الأغنياء بصفة خاصة في شكل انتقادات لثراء هؤلاء.

إن اختلال التوازن بين عالم المدينة الثري الذي كان موطنا للقرشين و الأمويين منهم على وجه الخصوص و بين مجتمعات الأمصار التي كانت أقل ثراء و هي من ناحية أخرى موطن لعنصرين غير متجانسين مثلهما : الحضر مقابل البدو الذين تدفقوا عليها منذ أيام الفتوح[2] كل ذلك أدى إلى تطلع أهل الأمصار إلى ثراء المدينة و لأن نخبة منهم كانت تعتبر نفسها مالكة السواد بحكم مشاركتها في فتحه فقد ساد التنافس نتيجة الأوضاع الاقتصادية التي آل إليها عهد عثمان، و لأن جملة من زهاد الصحابة

---

[1]– وهم في غالبيتهم من اليمنيين مثل الأثير و سيقود هؤلاء التذمر ضد سياسة الخليفة و أمرائه نتيجة لشعورهم بالظلم وهم ينظرون إلى الأمويين كيف امتلكوا الثروة كما أنهم خافوا من ضياع مصالحهم لصالح رؤساء القبائل .

[2]– ينظر : التركيبة الاجتماعية ص 57.

لم يستوعبوا الأوضاع الجديدة ذلك أنهم لم يعيشوا الرفاهية قبل هذا العهد فقد انطلق هؤلاء يدعون إلى نبذ الترف و استنكار الثراء الفاحش في إطار تخوفهم من ابتعاد الناس عن الدين و انشغالهم بأمور الدنيا و التكسب [1]، و من أمثلة هؤلاء أبو ذر الغفاري[2]الذي استنكر احتكار الثروة من قبل الأغنياء و عدم إشراكهم لإخوانهم الفقراء، مستندا في ذلك على قوله تعالى: << **الذين يكنزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** >>[3]، و لقد دعا هؤلاء إلى مواساة الفقراء قائلا : << **يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم و جنوبهم وظهورهم**>>[4].

و من جانب الأنصار دعا عبادة بن الصامت [5] إلى مثل ذلك . و لأن هؤلاء كانو ا من ذوي الشأن لدى عامة المسلمين فقد حاول المتذمرون استغلالهم في الترويج لدعوتهم إلى انتقاد سياسة الخليفة و أمرائه و الطعن فيهم، و بما أن أبا ذر الذي اختصه النبي(ص) بقوله: <<**ما أقلت الغبراء و لا أظلت الحمراء أصدق لهجة من أبي ذر** >>[6] فإن خروجه إلى الربذة [7] وسواء كان خروجه إليها بإرادته أو بأمر من الخليفة فقد واتخذ ذلك سببا من أسباب الثورة عليه [8] و إذا كانت بلاد الشام قد احتضنت نفرا من

---

[1]– تجدر الإشارة على أن هؤلاء جلهم من طبقة الفقراء و المستضعفين الذين هم من ذوي السابقة الدينية، و لأن كثير منهم قد لاقى العذاب على يد زعماء قريش و الأمويين منهم على وجه الخصوص فلعل ذلك كان له أثر إذ لم يستطع هؤلاء ان يكونوا من الطلقاء مسيطرين على مال المسلمين هذا من جهة فقد كان لتشدد عمر أثر كبير إذ لم يعهد ثراء كهذا من قبل و قد كان عمر و حتى الرسول ﷺ يدعوا إلى نبذ زخارف الدنيا .

[2]– أبو ذر الغفاري : اسمه جندب بن جنادة من السابقين الأولين، كان رأسا في العلم و الزهد و الجهاد و صدق اللهجة، صاحب دعوة غفار إلى الإسلام، قام يشارك في بدر، توفي 30هـ ابن محمد المالكي، مصدر سابق، ج 1، ص 66، ابن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، مصدر سابقو 150 .

[3]- التوبة : 34 .

[4]– ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 112 .

[5]- عبادة بن الصامت : من الأنصار و احد أصحاب العقبة، عقب، بدري، أحدي، قيل هو آخر صحابي مات بالمدينة، ينظر: ابن سهل البلخي، مصدر سابق، ج2، ص 171، ابن تغري بردي، مصدر سابق ج1، ص 21 .

[6]- ابن كثير البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 160.

[7]- الربذة: موضع قرب المدينة على ثلاثة أميال من جهة الشمال، و قيل أنها أرض جدبا ء، ابن جري الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 113.

[8]- ينظر : أسباب الثورة، ص 67.

الداعين إلى إشراك الأغنياء للفقراء في مالهم فإن الكوفة قد عرفت ظهور انتقادات لسياسة الأمويين من قبل نخبة من قرائها، و كذلك الحال بالنسبة للبصرة ثم مصر.

و إذا ما عدنا إلى تفسير ظهور هذه الموجة من الانتقادات فسنجد أنها انعكاس لانبعاث العصبية القبلية التي أيقظها التفاوت الطبقي، و دليل ذلك ما عبر عنه مخالفو أهل الكوفة في مجلس سعيد بن العاص لما قال : **<<إن هذا السواد بستان لقريش >>** فرد عليه أحد زعماء اليمنيين بحدة قائلا: **<<هذا ما أفاء الله علينا بأسيافنا>>**[1].

و إذا كان هؤلاء اليمنيين قد نفوا أن يكون السواد لقريش في هذا الموضع فقد صرحوا لمعاوية برفضهم لسلط ة قريش نافين أن يكون لها نفوذ على العر ب منذ الجاهلية و نلمس ذلك في قولهم: **<<أما ما ذكرت من قريش، فإنها لم تكن أكثر العرب و لا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا... >>** و لقد جاء ذلك ردا على قول معاويـــــة : **<< ... و إن قريشا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم ...>>**[2].

لقد عبر هؤلاء عن رفضهم لسلطة قريش في إطار العصبية القبلية، ولم يكن هؤلاء وحدهم من عبروا عنها بل نلمسها في رفض عمال عثمان الأمويين في حد ذاته، فقد استعملهم من قبل أبو بكر و عمر و لم يرفضوهم [3]، ثم أن هؤلاء الذين طالبوا بهم كبدلاء نلمس في اختيارهم نوعا من العصبية، فأبو موسى الأشعري كان يمني الأصل بالمقابل نجد الثائرين على سعيد هم من جملة الأعراب من اليمنيين و حلفائهم [4]، و من جهة أخرى فإن هوية الثائرين على عثمان توضح مدى تحكم العصبية إذ أن اختيارهم من اليمنيين و حلفائهم كما سنوضح لاحقا [5]، ثم لقد اكتست ثورتهم طابع الصراع بين

---

[1]– ابن جرير، نفس المصدر السابق، ج5، ص 136.

[2]- لقد كان حوارهم هذا مع معاوية بالشام بعدما نفاهم أهل الكوفة إليه بأمر من الخليفة، سيف بن عمر، مصدر سابق، ص 36 – 37 .

[3]- ينظر : قادة الفتح في عهد أبي و عمرو و عمالهما، محمد بلغيث، مرجع سابق، ص ص 37، 57 – 58 .

[4]- فمنهم مثلا زعيمهم الأشتر النخعي، اليمني، و سودان بن حمران السكوني من قبائل مراد اليمنية، الغافقي بن حرب العكي من أبناء و جوه القبائل اليمينية، ينظر أصولهم: ابن العربي، مصدر سابق، ص 80 .

[5]- و على رأسهم هذه المجموعة.

البدو و الحضر، يقول ابن خلدون في هذا: << **فالقبائل بنزعتها البدوية التي تكره الحكم المركزي، لم ترض يوما عن سيادة قريش** >>[1]، و من ناحية أخرى فقد عبرت ثورتهم عن التعصب الديني حيث رفض هؤلاء سلطة بني أمية باعتبارهم الطلقـــاء [2] بينما المستضعفين من كبار الصحابة كعمار بن ياسر هم أسبق إسلاما منهم و سنأتي إلى تفسير ذلك لاحقا.

و مجمل القول أن التحولات الاجتماعية. المنبثقة عن الاقتصاد أدت إلى تذمر المستضعفين ثم تمردهم في إطار الانتقادات التي ستتطور و تنتهي بمقتل الخليفة بداية بغضب القبائل من سياسته تجاه المتذمرين خاصة بنو مخزوم و بنو غفار و غيرهما

وذلك في إطار التعصب القبلي.

[1]- إذ كثيرا ما عبر العرب عن رفضهم الخضوع لقريش و من أمثلة ذلك حروب الردة ، مطالبة الكوفيين عمر بعزل عمار بن ياسر و تولية أبي موسى عليهم، ينظر: ص52.

[2]- الطلقاء : الذين أسلموا يوم فتح مكة فقال له ﷺ :<< اذهبوا فأنتم الطلقاء>> ينظر : ابن عمر المغازي،تح: مارسدن جونس كتاب المغازي ،ج2، عالم الكتب، بيروت، 1984 ،ص 120.

2. الثورة على عثمان أسبابها و مجرياتها:

1.2. دراسة الأسباب:

تجمع اغلب المصادر و المراجع المتناولة لموضوع الفتنة الكبرى على أن هذه الأخيرة من ورائها أسباب ظهرت في الست الأواخر من خلافة عثمان كنتيجة لسياسته خلال المرحلة الثانية من خلافته، و يمكن تقسيم هذه الأخيرة إلى:

أ -**أسباب إدارية و سياسية:**

وتتلخص في:

تنحيته لكبار الصحابة من على رأس الولايات و تعويضهم بمن ليسوا أهلا لها من أقاربه الأمويين من أمثال: عبد الله بن عامر، و ممن هم مشكوك في دينهم كـــعبد الله بن سعد والي مصر الذي كان قد ارتد عن الإسلام[1]، و الوليد بن عقبة الذي قيل أنه المقصود في قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ ۝٦ ﴾[2]. أضف إلى ذلك سياسة هؤلاء الولاة الجائرة مع رعاياهم و كان معهم كما يصفه السيوطي: << **فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد ﷺ وكان عثمان يستعتب فيهم فلا يعزلهم**>>[3].

ب – **أسباب اقتصادية:** يدور محورها حول بسط يده في عطاء أقاربه الأمويين من بيت المال العام و من ذلك تخصيصه لصدقات قضاعة لعمه الحكم و غير ذلك من عطاياه التي مرت بنا[4].

---

[1]- كان كاتب الوحي النبي ﷺ قبل فتح مكة ثم ارتد و عاد إليها و قد سبق و أن ذكرنا ذلك في ترجمته، ص 49.
[2]- الحجرات : الآية 6 .
[3]– ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص 157.
[4]– ينظر سياسته الاقتصادية – عطاء ذي القربى ــ ص و ممن ذهب إلى هذا الرأي، محمد عابد الجابري مرجع سابق، ص 142 .

ج – أسباب أخرى تتعلق بسياسته العامة:

و تتلخص حسب زعم الثائرين عليه في:

-تأديبه لبعض من كبار الصحابة و مثال ذلك: ضربه لعمار بن ياسر و فتق أمعائه. و كذلك الحال بالنسبة لعبد الله بن مسعود الذي أوسعه ضربا [1]، فضلا عن نفيه لأبي ذر الغفاري إلى الربذة لا لشيء إلا لأنه أمر بالمعروف و نهى عن المنكر [2]، كما أوخذ عثمان على اتخاذه الدور الفاخرة بالمدينة المنورة مخالفا بذلك سياسة سابقيه كما عظموا عليه إحراقه المصاحف مخالفا بذلك بعد ما بعدما وحدها في مصحف واحد. نسخا لمصحف حفصة بنت عمر زوج رسول الله ﷺ و جعله بلسان قريش [3]، و عموما فقد اتهم من قبل الثائرين عليه بابتداعه أمورا لم يعمل بها صاحبيه من قبله مخالفا بذلك قوله ﷺ: <<**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**>>[4].

لقد أقر بعض المؤرخون أن هذه العوامل كانت وراء ظهور عوامل أخرى أفضت إلى الخروج عليه علنا، و تتلخص هذه الأخيرة حسب زعمهم في: تولي بعض كبار الصحابة الناقمين على سياسته التأليب عليه، و من أمثلة هؤلاء: عمار بن ياسر و أبو ذر الغفاري إضافة إلى عمرو بن العاص الذي يعتبره بعض المؤرخو ن السبب الأول في الثورة على الخليفة نتيجة لتحريضه للمصريين اثر عزله عن مصر [5]، و كذا بعض المنافسين له الطامعين علنا في الخلافة على حد وصف بعضهم و الممثلين أساس في علي و طلحة و الزبير بل ذهبت بعض المصادر إلى اتهامها بنشر الكتب بالأمصار دعوة إلى

---

[1]- ابن سهل البلخي، مصدر سابق، ج2، ص 218، ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص 289.

[2]- من أنصار هذا الرأي، الحاكم النيسابوري ، مصدر سابق، ج3، ص 387.

[3]– من بين المؤرخين الذين اعتبروا ذلك من أسباب الثورة عليه، محمد رضا، عثمان بن عفان ذو النورين، ط 1، المقطـــم ن و ت ، القاهرة، 2005، ص 66.

[4]– ابن تيمية، السياسة الشرعية، مصدر سابق، ص 43 . وكل هذه الأمور موجودة في سياسته، ينظر: سياسة عثمان، ص 52.

[5]- ذهب إلى هذا الرأي، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج 4، ج1، ص 162 .إذا قال<< و جعل عمرو بن العاص ــ يؤلب الناس على عثمان >>

الثورة،[1] فيما نجد بعض المؤرخين ينسبونها إلى شخصية عرفت في المصادر التاريخي ة بعبد الله بن سبأ[2] الذي أخذ يشيع حسب زعمهم أحقية علي بالخلافة قائلا: **<<إنه كان لكل نبي وصي، و علي وصي محمد فمن أظلم ممن لم يجز وصيـــة رســـــول الله ﷺ ؟>>** و تضيف أن حرضهم قائلا: << **فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، و ابدءوا بالطعن على أمرائكم و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تستميلوا الناس** >>[3] في حين طرح بعضهم العصبية القبلية كسبب محض للفتنة و على،رأسهم ابن خلدون[4].

إن التوصل إلى الأسباب الحقيقية للثورة على عثمان يبدوا أمرا غاية في الصعوبة إذ تتطلب دراستها تمحيصا و تحليلا، ذلك أن جملة العوامل التي طرحها المؤرخون كمحاولة منهم لتفسير الثورة التي انتهت بمقتل الخليفة في وقت لم تزل فيه الدولة فتية بعد كثرت في طرحها على جعل سياسة عثمان المسؤول عن ظهور التذمر و لقد احتج الثوار بأسباب جعلها المؤرخون دوافع للفتنة فإلى أي مدى كانت سببا للثورة على الخليفة؟.

إذا ما حاولنا تحليل الأسباب السالفة الذكر فإننا نج د أنه: فيما يخ ص توليته أقاربه الأمويين فعلى الرغم من تفضيله لهم في الولاية إلا أن ذلك لا يعني عدم أهليتهم لها كما زعم الثائرون عليه، فلقد استعملهم قبله أبو بكر وعمر بل أنهم قادوا أغلب الفتوحات الإسلامي منذ عهد النبي ﷺ[5] ثم أن الطعن فيهم سواء من باب الشك في دينهم كالوليد بن عقبة و أبي سرح يثير التساؤل فالأول مثلا وان صحت الروايات في أن الله قد وصفه بالفسق فإن ذلك لا يعني أنه عاش طول حياته فاسقا فلو بقي كذلك لما ولاه

---

[1]– ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 36.

[2]- عبد الله بن سبأ : حسبهم يهودي يمني صنعائي أسلم زمن عثمان و كان يبطن النفاق و اختلف في اسمه فقيل عبد الله بن سبأ و قيل ابن السوداء و غيرها، سيف بن عمر ،مصدر سابق، ص 59 ،ابن معين، تاريخ ابن معين، تح : أحمد نور الدين سيف، ج2، دار المأمون، دمشق، (د ت ن)، ص 25 .

[3]- ابن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين، مصدر سابق، ج1، ص11، ابن كثير البداية ونهاية، مج4، ج1 ،261.

[4]- علي سعد الله ، مرجع سابق، 196 .

[5]- ويؤكد المقريزي أن جل عمال الرسول ﷺ أمويين، ينظر : ابن محمد المقريزي ،الخطط المقريزية، مصدر سابق، ج2 ،ص280، وينظر سياسة أبو بكر وعمر، ص 26–29.

أبو بكر و عمر [1]، كذلك الحال مع ابن أبي سرح فعلى الرغم من أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه عندما ارتد إلا أن الرواية تؤكد أن النبي ﷺ قبل شفاعة عثمان فيه فحسن إسلامه[2] وإلا لما استعمله عمر على صعيد مصر[3] ثم أن المصادر تؤكد نجاعة سياستهم فالوليد مثلا كان قد أفاض على الناس خيرا كما سبق و أن عرضنا حتى قيل أن العامة كانت معه و الخاصة ضده(أهل الأيام) [4]. أما عن زعمهم بعدم عزله لهم عند استعتابه فيهم فتنفيه الأحداث إذ نجده يعزل الوليد بن عقبة لتهمة سبق الإشارة إليها كما يؤكد ذلك عزله لأبي سرح إثر تشكي المصريين منه[5]، ثم أنه لم يكن يعزل أحدا من عمال عمر إلا لشكوى صدرت ضده [6]، فيما يؤكد صاحب العواصم من القواصم أن ضربه لابن مسعود باطل، كذلك الحال بالنسبة لفتقه أمعاء عمار بن ياسر [7] فمن غير المنطق أن يعيش إنسان مفتوق الأمعاء أما عن نفيه لأبي ذر الغفاري فكما وردت روايات تؤكد ذلك وردت أخرى تنفيه إذ أورد ابن حبان عن ابن سيرين أن الخليفة اقترح عليه البقاء بالمدينة بعدما استقدمه من الشام لكنه أبى قائلا : << **لا حاجة لي في دنياكم** >> ثم قال له: <<**ائذن لي حتى أخرج إلى الربـــذة** >>[8] فكـــــان لـــه ذلك و يضيف بعضهم أنه زوده بما يحتاجه عقب إقدامه على الخروج[9] ثم أن رواية الطبري فيها تناقض إذ أن أبا أبا ذر رد على عثمان قائلا:

<<**و الله لتسمعن مني أو لأدخل عليك** >> عندما وعظه بالله أن يكف يده و لسانه عن كعب الأحبار ثم يورد أنه مطيع للخليفة [10] و لعل ما يرجع خروجه إليها باختياره

---

[1]- أبو بكر ولاه صدقات قضاعة و عمر صدقات بني ثعلب، ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج2، ص 75 .
[2]- ابن عثمان الذهبي، السير، ج3،(د د ن)، بيروت، د ت ن ، ص 234.
[3]- ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج1، ص 85.
[4]- ينظر : سياسته عثمان، ص 52.
[5]- ابن تغري بردي، نفس المصدر السابق، ج1، ص 92.
[6]- ينظر عزله لعمرو بن العاص و سعد بن أبي وقاص، من خلال سياسة عثمان، ص 52.
[7]- ابن العربي، ، مصدر سابق، 49 – 50 .
[8]- ابن حبان، صحيح ابن حبان ، تح : شعيب الأرناؤوط، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص 301 .
[9]- ابن أسعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج4، ص 232.
[10]- ينظر ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 112 – 113 .

خوفا من الفتنة ما أمره به الرسولﷺ قائلا: ﴿**إذا بلغ البناء سلعا فأخرج عنها ــ يقصد المدينة**﴾[1]، و منه يمكن الاعتداد برواية ابن عساكر التي جاء فيها: "**و لم يسير عثمان أبا ذر، و لكن خرج هو إلى الربذة لما تخوف الفتنة التي حذره النبي ﷺ منها، فلما خرج عقب ما جرى بينه و بين أمير المؤمنين عثمان ظن أنه هو من أخرجه** "[2] أما عن إحراقه المصاحف فقد كان بإشارة من حذيفة بن اليمان الذي طلب إليه ذلك قائلا: <<**أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى** >> و كان ذلك في وقت ادعى فيه كل مصر تميز قراءته للقرآن عن غيره و لقد جعله بلغة قريش لأنه كما قائلا :<<**نزل بلسانها**>>[3].

أما فيما يخص تأليب كبار الصحابة فهو الأكثر غموضا إذ يحتاج إلى دراسة معمقة لمواقف المتهمين منهم بالتحريض ضده سواء من سياسته الإدارية أو الاقتصادية و تجدر الإشارة إلى أن هذا الرأي فيه ضعف؛ فبالنسبة لعمار بن ياسر كان بالمدينة عندما قدم المتذمرون على الخليفة حتى أن المصادر تذكر أنه رفض طلب ذلك الأخير بالخروج إليهم كما أن إرسال الخليفة ضمن فرقة تقصي الحقائق[4] تؤكد أنه كان بالمدينة عند انطلاق انطلاق التذمر، غير أن هذا لا ينفي كونه من المنتقدين لسياسته.

و هو ما تبينه أحداث الثورة على الخليفة [5]، و بالمقابل لا يمكن نفي استنكار أبي ذر الغفاري لحالة الأوضاع الاقتصادية التي شهدها عهد عثمان لكن ذلك لا يعني أنه اخصص الأمويين فيما ذهب إليه من الدعوة إلى الزهد في الحياة الدنيا ثم أن دعوته كانت

---

[1]– ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تح : محمد رشاد، ط1، ج3، مؤسسة قرطبة، ص 268 .

[2]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج3، ص 202و لعله خرج إلى الربذة إما لعدم إصغاء الولاة إليه – و نقصد معاوية ــ أو شعوره بسريان أسباب فتنة فقد قيل أن المتذمرون اتصلوا به و هو بالشام و حالوا استمالته ففشلوا فلعله إذا أراد اعتزال الفتنة .

[3]- و كان ذلك في غزوة الباب التي شارك فيها الكوفيون و الشاميون معا فاختلفوا خلالها و نال بعضهم من بعض، فكان خوف حذيفة من تطور الوضع، محمد رضا، مرجع سابق، ص 67 .

[4]– ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص 68، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 164، ابن جرير الطبري، مصدر سابق ج3و ص 140.

[5]- لقد انطلق التذمر و هو بالمدينة، لكنه كان مستنكرا لسياسة الخليفة و لأنه كذلك فقد استميل بمصر فانضم من حينها إلى الثوار و ما يؤكد ذلك قوله : << **قتله الصالحون،المنكرون للعدوان...**>>،ابن أبي حديد، مصدر سابق، ج1، ص 504.

بالشام فيما انطلقت الفتنة من الكوفة [1]، كذلك الحال بالنسبة لعمرو بن العاص الذي تفند الأحداث التاريخية ما نسب إليه من أنه كان السبب في ظهور التذمر ذلك أن الفترة بين عزله و ظهور التذمر لم تكن وجيزة [2] ثم أنه لم يكن في مصر عقب عزله منها إذ ذكرت الروايات أن الخليفة استقدمه إلى المدينة عقب عزله عن الولاية ولأن المصادر لم تورد أنه استقدمه عندما دعاه لاستشارته في أمر المتذمرين ثم أنها كثيرا ما تبرزه في مسرح الأحداث بالمدينة دليل على إقامته بها و لو كان طمعه في ولاية مصر دافعا لتحريضه ضد الخليفة لاغتنم فرصة الثورة لإعلان نفسه واليا عليها كما فعل ابن أبي حذيفة لكنه فضل الاعتزال بفلسطين [3]، أما عن علي و طلحة و الزبير فإن الكتب المزعومة عنهم فهي مزورة كما ستؤكده ذلك أحداث الثورة على عثمان [4] و لا يمكن الذهاب إلى طمعهم في الخلافة فلو أنهم أرادوها لطلبوها بعد مقتله و لكنهم لم يفعلوا و سنرى ذلك بأكثر تفصيل في الفصل الموالي، فيما تدور شكوك حول شخصية عبد الله بن سبأ ثم لو كان وراء التأليب لا تطلق التذمر من مصر لكن هذه الأخيرة كانت آخر ولاية طعنت في واليها، و حسب ما توصلنا إليه أن هذه الشخصية خيالية و الراجح أن ما نادي به حقيقي، لكن ربما نادى به السبئيون الذين كانوا الأقدم و فودا على مصر ثم جاء الأمويون فباتوا من الفقراء واختاروا عليا لأنه من آل البيت، إذن ربما كان من منطلق هذه الدعوة من عند هؤلاء و كان ابن سبأ المزعوم غطاء لمشروعهم ثم يجب أن

---

[1]- استنكر أبو ذر العيش الرغد فكان يقول: << يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء ...>>، ابن جرير الطبري، نفس المصدر السابق، ج5، ص 112.

[2]– عزل عام 27 هـ حسب أغلب الروايات و التذمر عبر عن حاله حوالي عام 33 و ظهر بمصر و أواخر عام 34 هـ

و كان الأجدر أن يكون في فترة و جيزة لأن المصريين يميلون إلى عمرو بحكم أنه من خلصهم من ظلم الروم.

[3]- تؤكد الروايات أنه خرج من المدينة عندما قصد مكان عزلته ينظر : ابن يحي البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص 74، ابن جرير الطبري، نفس المصدر السابق، ج5، ص 291 .

[4]- رواها اليعقوبي و نسبها إلى عائشة و طلحة و الزبير و أخرج منها عليا، مصدر سابق، ج 2، ص 123، الإمامة و السياسة، مصدر سابق،ج 1ص 41 و أكدت روايات أخرى أنها مزعومة و مزورة، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مصدر سابق،ج4، ص 95، ابن العربي، مصدر سابق، ص 63 .

لا ننسى أن السبئيين ذووا أصول يمنية و اليمنيون معروفون بعداوتهم لقريش [1]. أما بالنسبة لإقرار ابن خلدون بأن العصبية القبلية هي التي كانت وراء الثورة على عثمان لأنها وجدت فرصة التعبير عن حالها، فربما كان لهذا الرأي كثير من الصحة إذ أكدت وقائع كثيرة، لكن لا يمكن الاعتداد بها كسبب محض للثورة إذ لعبت عوامل أخرى وعلى رأسها السابقة الإسلامية دورا فاعلا فيها، ولقد عبرت عن ذلك مواقف عدة منها ما دعا إليه أبو ذر الغفاري من التخلي عن البذخ و الثراء والعدالة في التوزيع العطاء والمساواة كما نلمس ذلك في رد طلحة بن عبيد الله على عثمان عندما سأله عن سب موقفه منه قائلا: <<**لأنك غيرت و بدلت**>>[2].

2.2. التمرد و حصر الخليفة:

ما إن انتهت سنة أربع و ثلاثين للهجرة حتى احتضنت الأمصار الإسلامية حركة تذمر اجتماعي[3] مبعثه الاستياء من سياسة الخليفة، الإدارية و الاقتصادية منها على وجه الخصوص، و تعتقد بعض المصادر أن الأمر من صنع أفكار السبئية [4] التي اتخذت من مصر قاعدة لانتشارها بالأمصار و الداعية إلى الثورة على الخليفة انطلاقا من مطالبته بعزل ولاته الأمويين [5]، و على الرغم من أن الكوفة قد احتضنت أولى حركات التذمر[6] إلا أن مصر و إن تأخرت عن إبداء موقفها فإنها كانت منطلقا لانتقادا ت أكثر جرأة، تمثلت في دعوة اثنين من أبناء كبار الصحابة إلى الثورة على الخليفة علنا و هما:

---

[1]- عبر عن تحرك العصبية القبلية فاليمنيون معروفون بعداوتهم لقريش و هذه الأخيرة يمثلها الأمويون و المخزوميون .أما بنو هاشم فهم على علاقة طيبة معهم و يبقى الصراع بينهم فيما عرف بالقيسية و المضرية إلى أواخر التاريخ الإسلامي.

[2]– ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 37 .

[3]- ابن العماد الحنبلي ، مصدر سابق، مج(1– 2)، ج1، ص 40، يحي ابن الحسين، مصدر سابق، ج1، ص 89 .

[4]- السبئية : هم أتباع شخصية عرفت بعبد الله بن سبأ و سنأتي للتفصيل حول هذه الشخصية لاحقا، ابن منظور، لسان العرب مصدر سابق، ج3،ص 50

[5]– ابن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، مصدر سابق، ج1، ص 11.

[6]– نقصد هنا تذمر الكوفيين من الوليد عقبة ثم سعيد بن العاص، ينظر، ص .

محمد بن أبي بكر [1] و محمد بن أبي حذيفة [2] الذي ردد عقب غزوة ذات الصواري << **لقد تركنا خلفنا الجهاد**>> فيقول الرجل: <<**و أي جهاد؟**>> فيرد قائلا: <<**عثمان بن عفان فعل كذا و كذا**>>[3].

و حيال وجود تململ وتذمر قد يقضي إلى الفتنة ارتأى عثمان أن يجمع عماله على الأمصار و ضم إليهم عمرو بن العاص لمشاورتهم في الأمر، فكان رأي معاوية أن يأمر أمراء أجناده فيكفيه كل من قبله فيما أشار عليه ابن سعد استرضاءهم بالمال، و رأى ابن عامر أن يصرفهم إلى الجهاد ليشغلهم عنه، أما عمرو فأشار عليه قائلا << **يا عثمان إنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية، فقلت و قالوا، و زغت و زاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزما و امض قدما** >> و برر موقفه قائلا: << **يا أمير المؤمنين لأنت أكرم علي من ذلك لكني قد علمت أن بالباب قوما قد علموا بجمعك لنا لاستشارتنا فأحببت أن يبلغهم قولي فأردت أن أقود لك خيرا أو أن أدفع عنك شرا** >>[4]، و لقد انتهى رأي الخليفة إلى رد عماله إلى ولايتهم آمرا إياهم بالتضييق على من قبلهم حتى أنه عزم على حرمانهم أعطياتهم ليطيعوه[5]، فما كان من أهل الكوفة إلا أن قرروا عزل واليه عليها عليها بالقوة إذ خرجت حركة المعارضة بزعامة يزيد بن قيس [6] الذي انضم إليه نفر من مخالفي الكوفة الذين كانوا لدى عبد الرحمن بن خالد [7] و فيهم الأشتر [1] الذي عمل على

---

[1]– محمد بن أبي بكر : الصديق تربى على يد علي بعدما تزوج أمه عقب وفاة أبيه أبي بكر و هو صغير، ينظر ابن العربي، مصدر سابق، ص 62 .

[2]– محمد بن أبي حذيفة : بن عتبة و اسم أبيه مهشم و هو صحابي، نفس المصدر سابق، ص 62، رباه عثمان بعد وفاة والده و لما كبر سأل عثمان توليته فلم يجبه لأنه ليس أهلا لها بعد، ينظر ترجمته، ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب مصدر سابق، ج1و ص 77 – 78 .

[3]– ذات الصواري : معركة قادها ابن أبي سرح ضد البيزنطيين بافريقية، عام 31هـ، ينظر الطبري، مصدر سابق ج5، ص 114 .

[4]- نفس المصدر السابق ، ج5، ص 115 – 117، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 160 – 161.

[5]- ابن جرير، نفسه ج5، ص150

[6]- يزيد بن قيس : الأرحبي،

[7]- بعدما وجه الخليفة مخالفي الكوفة إلى الشام، أرسلهم إلى عبد الرحمان بن خالد.، بن الوليد بن المغيرة، القرشي المخزومي، يكن أبو محمد، أدرك النبي ﷺ و له صحبة قيل أنه كان لا يفضل بني هاشم ، شهد الجمل، و صفين مع معاوية، ينظر ترجمته: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفته الصحابة، مصدر سابق، ج 3، ص 289 ابن قليط مغلطاي، مصدر سابق، ج2، ص12

تحريض الناس قائلا: <<**جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان و تركت سعيدا يريد على نقصان نسائكم مائة درهم و رد أولي البلاء منكم إلى ألفين و يزعم أن فيأكم بستان قريش...>>**، و قام هؤلاء باعترا ض سعيد عند الجرعة [2] أثناء عودته من عند أمير المؤمنين قائلين له: << **لا حاجة لنا بك** >> و منعوه من دخول الكوفة التي ولوا عليها أبا موسى الأشعري دون إذن من الخليفة الذي رد عند بلوغه الخبر قائلا: << **أثبتنا أبا موسى عليهم، و الله لا نجعل لأحد عذرا و لا نترك لهم حجة و لنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون** >>[3]، و لم ينتهي أمر الكوفيين عند هذا الحد بل عمدوا إلى إرسال عامر بن عبد الله التميمي [4] إلى الخليفة طالبين منه التوبة و الرجوع عما أقدم عليه من أعمال كانت محلا لنقمتهم عليه لكن الحوار بينهما أفضى إلى إغلاظ عامر القول للخليفة.

و أمام اشتداد المطاعن على هذا الأخير انطلقت من مصر مراسلات تدعو إلى الثورة عليه بدءا بعماله على الأمصار [5]، و ما أن بلغ الخبر مسامعه حتى بادر الخليفة إلى إرسال حملة استطلاع للأخبار، فبعث محمد بن مسلمة [6] إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبد الله بن عمر إلى الشام وعمار بن ياسر إلى مصر، فعادوا ماعدا هذا الأخير الذي تخلف بمصر، قائلين: << **أيها الناس ما أنكرنا شيئا و لا أنكره أعلام المسلمين و لا عوامهم، الأمر أمر المسلمين ،إلا أن أمراءهم يقسطون الأمر بينهم و يقومون عليهم** >>، أما عمار بن ياسر الذي ظن الناس أنه اغتيل فقد أرسل في شأنه ابن

---

[1]- الأشتر : هو مالك بن الحارث النخعي ، شهد اليرموك، مذحجي الأصول، ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 44، ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص 25،الأزهر، 1315هـ ، (مخطوط).

[2]- الجرعة : موضع قرب الكوفة و قيل بين النجفة و الجيزة، ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق، ج1، 326 .

[3]- ابن جرير الطبري، نفس المصدر السابق، ج5، ص 143 – 144.

[4]– عامر بن عبد الله التميمي، تابعي، يماني، كان ممن أرسلهم عثمان إلى الشام من الكوفيين، ينظر : محمد رضا، مرجع سابق، ص 101 – 102 .

[5]- الأسفراني، مصدر سابق، ص 20 فيما ذهب بعضهم إلى القول أن وراءها كنانة بن بشر احد مشايخي الكوفة الذي استقر بمصر و نشر دعوته بعد طرده من البصرة، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 39 .

[6]- محمد بن مسلمة : بن سلمة، أبو سعيد الأوسي الأنصاري، بدري، توفي عام 43 هـ ، ينظر ترجمته : ابن عثمان الذهبي سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ص ، 373 – 374 .

أبي سرح أنه قد استماله قوم بمصر و انقطعوا إليه و ذكر منهم: عبد الله بن السوداء،[1] وخالد بن ملجم[2]، و سودان بن حمران[3] وكنانة بن بشر[4].

لقد تأكد الخليفة إذن أن ثمة أمر يسري بالأمصار لا علم له به، و أمام تخوفه من تفاقم الوضع و حدوث ما لا يحمد عقباه ،عمد عثمان إلى إرسال كتب إلى الأمصار يدعوهم فيها إلى موافاة موسم الحج للاحتكام إلى الحوار وفيه يأخذ كل ذي حق حقه' و بالمقابل أرسل يستدعي عماله لمباحثتهم في الأمر قائلا: << **ويحكم ما هذه الشكاية و ما هذه الإذاعة؟ إني و الله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم، و ما يعصب هذا إلا بي**>> فما كان منهم إلا أن أنكروا علمهم بأي شيء يجري بأمصارهم، و أكد له سعيد بن العاص الذي استقر معه بالمدينة بعدما ما عزل عن ولايته، أن الأمر يصنع في السر فيتحدث به أصحابه في مجالسهم و أشار عليه قائلا: << **طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم** >> فيما أشار عليه ابن سعد بقوله: << **خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم** >>، كذلك أشار عليه عمرو العاص أن خذهم بالشدة قائلا: <<**أرى أنك قد لنت لهم، و تراخيت عنهم فأرى أن تلتزم طريقة صاحبيك فتشتد في موضع الشدة، و تلين في موضع اللين** >>، أما معاوية فقد أشار عليه بالخروج إلى الشام لكنه أبى[5]، و لقد أسفرت المرسلات بين ثوار الأمصار عن خروج نفر من كل مصر للاجتماع بالمدينة للنهي عن المنكر، غير أن الواقع يثبت غير ذلك فحسب ما أوردته كثير من المصادر أنهم ردوا على رسولي الخليفة قائلين: << **نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعهم لهم أنا قررناه بها، فلم يخرج منها و**

---

[1]– عبد الله بن السوداء: يذكر على أنه عبد الله بن سبأ .

[2]– خالد بن ملجم : يمني قدم على عمر للجهاد مع جيوش اليمن بقيادة حصين بن نمير و معاوية بن خديج فتش ـاءم منهما ابن العربي، مصدر سابق، ص 80 .

[3]- سودان بن حمران: السكوني من قبائل اليمنية النازلة بمصر، وهو زميل خالد بن ملجم و قدم معه على عمر للجهـاد نفسه، ص 80 .

[4]- كنانة بن بشر: التجيبي من أبناء القبائل استوطنوا مصر أيام عمر، من بين الدعاة إلى أفكار السبئية المتشيعة لعلي ينظر ترجمته، نفسه، ص 80.

[5] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 151، و ذكر نحوه ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 161 – 162 .

لم يتب ثم نخرج كأنا حجاجا حتى نقدم فنحيط به فنخلعه فإن أبى قتلناه و كانت إياها>>وعلى الرغم من إشارة كبار الصحابة عليه بقولهم: << **أقتلهم فإن رسول الله ﷺ قال: ﴿من دعا إلى نفسه أو إلى أحد و على الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه ﴾**، إلا أنه فضل العفو عنهم بعدما برر موقفه من كل ما آخذوه عليه [1]، و يروي الطبري في شأنهم أن أهل البصرة أتوا طلحة فيما أتى أهل الكوفة الزبير و اجتمع المصريون حول علي وقال كل فريق منهم: << **إنا بايعنا صاحبنا و إلا كدناهم و فرقنا جماعتهم** >>. أما الصحابة فقد ردوا على الموقف بطردهم و قال فيهم علي: << **لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة و ذي خشب ملعونو ن على لسان محمد** ﷺ>>، و عموما فقد عاد هؤلاء أدراجهم مظهرين الرضا إلا أنهم اتفقوا فيما بينهم على العودة قائلين: << **موعدكم ضواحي المدينة في شوال**>>[2].

و بالفعل فما أن حل شوال من العام خمسة و ثلاثين للهجرة حتى اجتمع هؤلاء حول المدينة و خرج المصريون في سبع مائة راكب بقيادة محمد بن أبي بكر في ثوب العمرة حتى إذا أتوا المدينة راحوا يكلمون كبار الصحابة فيما آخذوه على عثمان و يشتكون ظلم ابن سعد لهم طالبين عزله عنهم، و كان الخليفة قد تلقى من قبلهم شكوى ضده فأرسل يتهدده و يتوعده، و لقد زعم هؤلاء أنه قتل رجلا منهم و ضرب رسل الخليفة إليه أما كبار الصحابة فأشاروا على أمير المؤمنين بعزل ابن أبي سرح: قائلين: << **أنصفهم من عاملك**>>[3]، فما كان منه إلا أن خيرهم فيمن يرضونه واليا عليهم، وخرج القوم مظهرين الرضا حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة زعموا أنهم وجدوا غلاما لأمير المؤمنين و معه كتاب لابن أبي سرح: فيه أمر بقتل محمد و أصحابه و تولى حكم مصر

---

[1] لقد خرج هؤلاء في ثوب العمرة و ضربوا خيامهم حول المدينة فنزل المصريون ذا خشب فيما حط العراقيون رحالهم بذي المروة، ينظر أرسلوه إلى الخليفة لينوبهم، ينظر ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، مصدر سابق، ج5، ص 147 – 149، ابن كثير البداية و النهاية، مصدر سابق، مج 4، ج1، ص 162 – 163 ، ابن الجوزي المنتظم، مصدر سابق، ص 670 – 671.

[2] ابن جرير الطبيري، نفس المصدر السابق، ج5، ص 154، و روى نحوه ابن كثير، نفسه، ابن الجوزي نفسه.

[3]- قيل منسوبة لعائشة و قيل لعلي.

بدله[1]، و سواء كان أمر الكتاب صحيحا أو خطة منظمة، إلا أنهم عادوا إلى المدينة أين اجتمعوا حول علي و طلحة و الزبير يشكونهم أمر الكتاب[2]، و من جهة أخرى فقد زعموا أن كتبا نشرت بالأمصار مصدرها طلحة، الزبير، علي وعائشة تدعوهم إلى الاجتماع بالمدينة[3]، و أيا يكن فإن كبار الصحابة أنكروا على عثمان الكتاب ودخلوا عليه يحاورونه فأنكر كتابته و أقسم بالله انه ما فعل مؤكدا ذلك بقوله: << **هذا مفتعل**>> فقالوا : <<**من تظن؟** >>، قال:<<**أظن كاتبي غدر** >>[4]، و تبرأ لهم من كل ما آخذوه عليه محذرا إياهم من قتله قائلا: <<**إني أنزع عن كل شيء أنكرتموه، و أتوب إلى الله من كل قبيح عملته و أحذركم سفك دمي بغير حق** >> و كان ذلك عقب احتماله مغميا عليه بعدما قام إليه الجهجاه بن سنام الغفاري[5] و هو على المنبر من تناول القضيب من يده و كسرها، هـــذا و ما لبث حتى أقبل الثوار من أهل الكوفة في نحو ألف راكب مقسمين على أربع فرق بقيادة كل من زيد صوحان[6]، الأشتر النخعي، زياد بن النضر بن الحارث[7] و عبد الله بن الأصم[8]، و على الجميع عمرو بن الأصم[9]، أما أهل البصرة فقد نزلوا في أربع رايات

---

[1]- روى أن غلاما لأمير المؤمنين كان يسير أمامهم و تبدو عليه علامات غريبة فشكوا في أمره فلما أنكر فتشوه فوجدوا معه كتاب جاء فيه أمر مقتل محمد و من معه، ينظر محتواه : الملحق رقم :

[2]- ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص 290، ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص 159 و هذه الحادثة جل المصادر جل ذهب كثير منها إلى اعتبارها السبب المباشر لحصار الخليفة و قتله .

[3]- كتب أنكر كتابها الصحابة، نفسه، نفسه.

[4]- رواها ابن قتيبة ، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص50 ، و روى نحوها ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص 179، ابن طباطبا ، مصدر سابق، ص 75.

[5]- الجهجاه بن سنام الغفاري : لم نتمكن من ترجمته.

[6]- زيد بني صوحان :ابن حجر بن الحارث العبدي الكوفي، أخو صعصعة بن صوحان، كنيته زيد، أبو سليمان أو أبو عائشة من العلماء، ذكر في معرفة الصحابة ولا صحبة له غير أن إسلامه كان في عهد النبي ص، قتل يوم الجمل، ابن سعد الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج3، ص 351

[7]- زياد بن النضر: الحارثي كان من بيت مشاغبي الكوفة مع الأشتر النخعي، ابن داود الدينوري، مصدر سابق، ص209.

[8]- عبد الله بن الأصم : لم نتمكن من ترجمته.

[9]- عمرو بن الأصم : لم نعرف غير أنه أخو عبد الله بن الأصم .

عليها كل من: حكيم بن جبلة العبدي[1]، بشير بن شريح بن ضُبَيْعَة القيسي[2]، ذريح بن عباد عباد العبدي[3]، وعلى الجميع حرقوص بن زهير السعدي [4]، فيما قدم من مصر بين الستمائة و الألف راكب فيهم: عبد الرحمن بن عديس البلوي[5] و كنانة بن بشير الليثي الليثي و سودان بن حمران السكوني وعلى الجميع الغافقي من حرب الكعي[6] لقد ضرب ضرب هؤلاء الحصار على الخليفة ابتداء من يوم الجمعة من شوال للعام خمس و ثلاثين للهجرة، و دام حصارهم له أربعين يوما حسب اغلب الروايات و كان مخففا في البداية ثم شدد الحصار حتى منع عنه الماء[7]، و على الرغم من ذلك فضل عثمان الصبر على الاستجابة لمطالبهم، المتمثلة في ثلاث اختيارات: إما أن يدفع مروان أو أن يخلع نفسه، أو أن يستحل دمه، و على الرغم من استعطافه لهم إلا أنهم أصروا على مطالبهم [8]، هذا وترجع بعض المصادر طول زمن الحصار إلى عدم نيتهم في قتله، إلا أن الراجح أنه كان لأسباب أهمها: معرفة موقف كبار الصحابة و كذا بني أمية من مجريات الأحداث وهو ما يمكن أن نستصيغه من تشديد الحصار عليه و منعه الماء ثم الإقدام على القتل، لكن رغم ذلك فإن المحاصرين لم يكونوا على هدف واحد فمنهم من كان هدفه الضغط عليه لإخراج مروان و الراجح أن هؤلاء جاءوا مخدوعين بقصة الكتاب [9]، و منهم من

---

[1]- حكيم بن جبلة العبدي : يلقب بالأمير ،وهو احد أبطال الإشراف ، وكان ذو دين، أمره عثمان على الشد ثم البصرة التي عزله عنها، توفي يوم الجمل إثر نزيف أصابه من جراء قطع رجله، ينظر ترجمته، ابن سعد، نفس المصدر السابق، ج3 ص 348

[2]– بشير بن ذريح بن ضيعة القيسي : لم نعرف عنه غير أنه يماني من أبناء الأشراف .

[3]- ذريح بن عباد العبدي : لم نتمكن من ترجمته.

[4]– حرقوص بن زهير السعدي : أحد كبار الخوارج، شهد ضيقت مع علي ثم ناصبه العداء، قتل يوم 37هـ في معركة صفين ينظر ترجمته: ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج2، ص 388

[5]- عبد الرحمن بن عديس البلوي : بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان من بلي،و هو بلوي شهد الرضوان، بايع فيها أمير جيش حصار عثمان، ذكره ابن قانع في الصحابة، ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج3، ص 153.

[6]- الغافقي بن حرب العكي : من أبناء وجوه القبائل اليمنية التي نزلت مصر عن قممها أمير الجيش أيام الثورة على الخليفة ينظر ترجمته : ابن العربي، مصدر سابق، ص 80

[7]- ابن تغري بردي، مصدر سابق، مصدر سابق، ج 1، ص 92، ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج 3، ص 46 ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص 281.

[8]– أيام الحصار حول إمكانية خلع نفسه عن الخلافة و خير بين ثلاثة أمور تجملها في قول الأشتر مخاطبا عثمان: <<**يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فقلدوه من نشئتم، و إما أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فالقوم قاتلوك**>> ابن عبد ربه و المصدر السابق، ص 239 .

[9]- قصة الكتاب : يقصد بها الكتاب المزعوم في شأن أمر الخليفة بقتل محمد بن أبي بكر و أتباعه.

كانت له أهداف أخرى ككسر شوكة الأمويين مثلا إما بقتل الخليفة أو بعزله، و تجدر الإشارة إلى أن ثلة من الصحابة انضموا إلى محاصري الخليفة حسب ما تذهب إليه بعض الروايـــات و تثبته الوقائع التاريخية و على رأس هؤلاء عمار بن ياسر [1] أما باقي الصحابة فقد اختلفت موافقهم من مجريات الفتنة وهو ما سنعرضه في يأتي:

وعموما ما أن سمع المحاصرون بخروج مدد الشام إليه حتى تسوروا داره لتنفيذ قتله وتم على يد الغافقي الذي ضربه بحديد، ثم قام كل من سودان و كنانة بطعنه حتى القتل[2]، و كان ذلك لثمان خلت من ذي الحجة لعام خمس و ثلاثين للهجرة، و دفن بعد بعد ثلاثة أيام في حش كوكب[3].

3.مواقف كبار الصحابة و بني أمية من الفتنة زمن عثمان:

لقد اختلفت المصادر التاريخية في رصد مواقف كبار الصحابة من مجريات الفتنة التي ظهرت زمن عثمان، و مقتل الخليفة، و لغموضها فقد حضت باهتمام المؤرخين الذين راحوا يحاولون تحليلها كل من وجهة نظر خاصة، و لقد تباين ت مواقف الصحابة بين معتزل لها و خائض فيها، فيما انقسم الخائضون فيها إلى: واقف في صف عثمان، مدافع عنه مثل: أبو هريرة، و متذمر من سياسته منضم إلى صف الثوار مثل: عمار بن ياسر. أما عن دراسة مواقفهم من مجريات الفتنة فتتطلب تحليلا و تمحيصا.

---

[1]- ابن سعد ، مصدر سابق،ص 80.

[2]- في الرواية بعض الخلافات، ينظر : نفس المصدر السابق، ص 94، ابن تغري بردي، نفس المصدر السابق، ج 1، ص 92، أحمد الطبري، الرياض النضرة، مصدر سابق، ص 319 – 320 .

[3]- حش كوكب: موضع إلى جانب البقيع الفرق بالمدينة، ابن عبد الله الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 262.

1.3.موقف كبار الصحابة :

أ. موقف أصحاب الشورى:

تعتبر مواقف هؤلاء الأكثر غموضا من مجريات الفتنة و مقتل الخليفة، فأما سعد بن أبي وقاص فتجمع المصادر أنه اعتزل الحدث إذ لم تذكر اغلب الروايات له حضورا، و قد جاء في شأنه أن عثمانا نادى في محاصريه: بعدما منعوه الماء: << **أفيكم سعد؟** >> قالوا: <<**لا**>>، و من جهة أخرى تورد المصادر أن اسعدا كان من بين البدريين الذين دخلوا مع علي على عثمان لاستجوابه بشأن الكتاب [1] فيما نجد بعضها يورد أنه اعتزل في بيته طيلة أيام الفتنة [2]، و لعل ذلك ــ حسب رأينا ــ كان عقب قصة الكتاب، هذا و لم يتغير موقفه عقب مقتل الخليفة إذ كان رده على من خاطبه قائلا: << **ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى، و أنت أحق الناس من غيرك؟** >> بقوله: <<**لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان، و لسان و شفتان، يعرف الكافر من المؤمن، و قد جاهدت و أنا أعرف الجهاد و لا أبخل نفسي إن كان الرجل خيرا مني و قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إن الله عز و جل يحب الغني الخفي التقي﴾**>>[3].

فيها نجد المصادر تسكت عن موقف عبد الرحمن بن عوف ما عدا ما أورده بعضها من أنه أرسل إلى عثمان يعاتبه على ما بدر منه من حمل بني أمية على رقاب الناس و يروي ابن عبد ربه في هذا الصدد أن عبد الرحمن بن عوف دخل على الخليفة معاتبا

---

[1]- ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص 159، ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 34 .

[2]- ابن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج، ص 138، و أنه اعتزل بماء لبني سليم بالبادية، ابن كثير البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 274.

[3]- و قيل أنه انشغل عن الفتنة بغنمه فناشده أحد أبناءه ــ و اسمه عمر ــ : << **نزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك**>> ، فضرب على صدره قائلا : اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ **إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي** ﴾ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ط1، ج4، دار أحياء الكتب العربية،(د ب ن) ، 1955، ص 2277، ابن أبي حديد، مصدر سابق، ج1، ص 166 .و روي أنه عاتب عمار بن ياسر على خوضه في الفتنة قائلا : << **لقد كنت عندنا من أفاضل أصحاب محمد حتى إذ ا لم يبقى من عمرك خلا ظم ئ الحمار فعلت و فعلت، ــ يعرض له بمقتل عثمان** >>– فلما سأله: << **أي شيء أحب إليك مودة على دخل أو هجر جميل** >>، رد قائلا :<< **هجر جميل**>>، ابن عبد ربه، مصدر سابق ،مج 4 ،ص 280.

إياه بقوله: <<**إنما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر و عمر فخالفتها و حابيت أهل بيتك و أوطأتهم رقاب المسلمين**>>، فلما كان رده: <<**إن عمر كان يقطع قرابته في الله و أنا أصل قرابتي في الله** >> فما كان منه إلا أن رد عليه قائلا :<< **لله علي أن لا أكلمك أبدا**>>[1]، يقول ابن عبد ربه: "فلم يكلمه حتى مات"، و يضيف بأنه تحول عنه إلى الحائط و لم يكلمه عندما عاده في مرض موته[2]. و مما سبق يمكن القول بأن عبد الرحمن لم يدرك الثورة على عثمان لكن موقفه الذي عرضناه إنما كان أيام بداية التذمر[3].

أما طلحة و الزبير و علي فتدور حولهم استفهامات كثيرة و آراء متضاربة بل ذهبت بعض المصادر و المراجع إلى اتهامهم فيما آلت إليه مجريات الفتنة على عثمان.

فالنسبة لطلحة بن عبيد الله [4] فتورد في شأنه المصادر المؤرخة للحادثة روايات متناقضة و متضاربة؛ فقد روى صاحب "الإمامة و السياسة" أنه أشار على محاصري الخليفة بقيادة الأشتر النخعي، و ابن أبي حذيفة بأن يمنعوه الماء، وروى أن عثمانا نادى طلحة عندما أشرف من أعلى القصر فلما أتاه ذكره بشرائه بئر رومة و غيرها من فضائله فكان جوابه: <<**لأنك غيرت و بدلت**>>[5] فيما أورد ابن كثير أن عثمانا أشرف من الخوخة[6] التي تلي مقام جبريل يوم حصاره فقال: << **أيها الناس! أفيكم طلحة!** >> فسكت فلما أعادها ثلاث مرات رد عليه: << **ألا أراك هاهنا!**>> فعاقبه عثمان عن خذلانه له و سكوته عنه إلى الثالثة ثم ذكر له حديث النبي ﷺ: <<**يا طلحة إنه ليس من نبي خلا إلا و**

---

[1] ابن عبد ربه، نفس المصدر السابق ، مج4، ص 280، ابن أبي حديد، مصدر سابق،ج1، ص 166.

[2]- نفسه، نفسه.

[3]– توفي عبد الرحمن بن عوف عام 32 هـــ أي أنه لم يدرك حصار الخليفة و مقتله، ابن عثمان الذهبي،الكاشف، مصدر سابق، ج2، ص 179،احمد الطبري ، مصدر سابق، ص 476، و لقد كان أول من قدم عثمان في الشورى، ينظر : ص .

[4]– طلحة: يعتبر الوحيد الذي لم يحضر الشورى من أصحابها وكان غائب ، فلما حضر و جدهم قد بايعوا لعثمان سأل عما إذا كانت كل قريش قد رضيت فلما أجيب : " بنعم". قال : << **قد رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه و بايعه** >> ينظر: الشورى على الرغم من أن هذا يوحي بعدم اعتراضه إلا أن موقفه من توليتها لعثمان يبقى غامضا، فهل رضي به مرغما أم لا ؟.

[5]– ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج 1، ص 34. و هذا يوحي بأنه كان مع محاصري عثمان حسب الرواية .

[6]- الخوخة: الباب الصغير، ابن منظور، مصدر سابق، ج2، ص .180

معه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة، و إن هذا ــ يقصد عثمان ﷺ ــ رفيقي في الجنة >>، فما كان من طلحة إلا أن رد عليه قائلا :<< **اللهم نعم >>** ثم انصرف"[1] فيما ذكر الطبري أن طلحة مر بمحاصري عثمان، بينما هذا الأخير واقف مع عبد الله بن عياش خلف بابه فسمعوا الثوار يتشاورون في شانه فيقول أحدهم: << **ما تنظرون به؟!>>** و يقول آخر: << **انظروا عسى أن يراجع >>** فنادى طلحة على ابن عديس فلما أتاه ناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس قائلا لأصحابه: **<<لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل أو يخرج من عنده >>**[2]، و ذكر قوله ﷺ: **<<لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث >>**[3] هذا و قد أوردت جل المصادر أنه بعث بابنه للدفاع عن عثمان بعدما شدد عليه الحصار و منع عنه الماء [4] ، لقد ذهبت الكثير من المصادر و المراجع إلى حد اتهام طلحة بالاشتراك في قتل الخليفة[5] لكن لوعدنا إلى تناول الروايات بشيء من النقد والتحليل فسنجد أن ابن قتيبة الذي ذكر أن المحاصرين لعثمان كان فيهم ابن أبي حذيفة و الأشتر يورد في نفس الصفحة بأن طلحة أرسل إلى الأشتر عندما اشتد الحصار على الخليفة فلما عاد إليه حاملا رسالة عثمان التي جاء فيها: **<<قد بدا لي أن أنهم نفسي لهؤلاء، فات عليا و طلحة و الزبير فقل لهم : هذا أمركم تولوه و ضعوا فيه ما شئتم >>**فكان رد طلحة و قد دمعت عيناه : **<< قد و الله قضى ما عليه أمير المؤمنين >>**، و من جهة أخرى فقد أورد ابن قتيبة أن الأشتر لم يحضر مقتل عثمان ولا الحصار أيام تشديده[6]، فكيف يكون طلحة قد أمرهم أن يمنعوه الماء بعدما شدد عليه الحصار؟، ثم أن

---

[1]- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 170 .

[2]- ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، مصدر سابق ج5، ص 69

[3]- تكملة الحديث قوله ﷺ : << لا يحل دم امرئ لمسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمدا فعليه القتل، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل >>، ابن كثير نفس المصدر السابق، مج4، ج1، ص168 .

[4]– ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص 159، ابن أبي حديد مصدر سابق، ج 1، ص 272، و ذكر ابن عبد ربه أنه أرسله مكرها، ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج، ص 291.

[5]– و قد ذهب بعضهم إلى اعتبار مطالبته بدمه كان من أجل التكفير عن ذنبه في الممالأة على قتل الخليفة في إحدى روايات الطبري مصدر سابق ج5، ص 185.

[6]– لقد و ردت في كتاب " الإمامة و السياسة" تناقضات كثيرة، ففي الوقت الذي زعم فيه أن ابن أبي حذيفة كان على رأس المحاصرين يورد في نفس الصفحة أنه اغتنم الفرصة و أعلن نفسه واليا على مصر و هو بها، ثم أن هذا الكتاب

الأشتر لم يكن معهم آنذاك هذا من جهة و من جهة أخرى فإن أغلب المصادر اتفقت على أن طلحة بعث بابنه ليحول دون قتل عثمان بعدما شدد عليه الحصار و منع الماء [1] فكيف يمنع عنه الماء و يبعث بابنه للدفاع عنه، و الذي خضب أثناء ذلك إذ أن التناقض هنا يبدوا جليا و أبعد ما يكون عن المنطق فحتى إن إرسال ابنه عن إكراه كما ذكر ابن عبد به[2] فهذا ضعيف، فكيف يكره على إرسال ابنه للدفاع عنه و لا يكره على ترك الحصار؟![3]، ثم أنه من غير المنطق أن يكون الوالد محاصرا للخليفة و محرضا على قتله و في نفس الوقت مرسلا ابنه للدفاع عنه، كما أن البيت الذي أنشده محمد بن طلحة أثناء دفاعه عن الخليفة يبعث على التساؤل [4]، أما عن قضية تذكيره ببئر رومه و غيرها من فضائله فقد اختلف فيها، فقيل ذكر بها عثمان عندما ثاروا عليه قبل حصاره و كان ذلك على مجمع من الناس و فيهم طلحة و علي و الزبير...الخ [5]، هذا و قد أوردت المصادر أنه كان ممن طالبوا بإخراج مروان إليهم ، وعليه فالراجح هنا هو رواية ابن كثير المشار إليها سلفا القائلة: بأنه كان مع المحاصرين ثم انصرف عقب تذكير عثمان له بحديث النبي ﷺ وبالتالي فالراجح أن منعه الماء كان عقب انصراف طلحة لأن ابن قتيبة يروي النقيضين: أن محمد بن أبي بكر جاء بالكتاب إلى كبار الصحابة فلما أنكره عثمان ضرب عليه الحصار ثم منع عنه الماء، ثم يذكر أن محمد ابن أبي بكر اغتنم الفرصة وولى نفسه واليا على مصر التي كان بها، و أمر طلحة بمنعه الماء أما عن الرواية التي زعمت أن

له ميول شيعية إذ كثيرا مما نسب إليه اتهامات تنفيها المصادر قي شأن عدد من الصحابة خاصة طلحة و الزبير و عائشة كما سنرى لاحقا؛ ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 34.

[1]- اختلفت المصادر في مشاركة الأشتر في الحصار إلى أن الراجح أنه لم يكن معهم أيام منعه الماء إذ تورد له الروايات ذكرا قبل و أثناء مقتل الخليفة، ينظر ابن جرير الطبري نفسه، مصدر السابق ج5، ص 165.

[2]- ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص 291 ابن كثير نفس المصدر السابق، مج 4، ج1 ،ص167

[3]- إذا كان مكرها فكيف يكره على إرساله ابنه للدفاع عنه و هو محاصر له فهذا يتنافى مع المنطق إذ كان الأجدر أن يكره على التخلي عن حصاره أولا .

[4]- قال : "أنا ابن من حامى عليه يوم أحد *** و رد أحزابا على رغم معد "، ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، مصدر سابق، ج5، ص 78، و هذا البيت فيه غموض لأن طلحة دافع على الرسول يوم أحد وليس على عثمان.

[5]- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج 1، ج1، ص 170، ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلف ـاء، مصـــــدر سابـــق، ص 157.

ابن عديس منع دخول أو خروج أي أحد عليه بأمر من طلحة [1] فهذا يتناقض مع ما جاء في جل المصادر التي وقعت بين أيدينا من أن أبناء الصحابة كالحسن ابن الزبير والحسن وغيرهما دخلوا عليه بأمر من آبائهم لمنعه بعدما اشتد عليه الحصار و إلا فكيف و صله الماء؟، هذا باختصار موقف طلحة من حصار عثمان [2]، فالراجح أنه شارك فيه في أيامه الأولى ثم تراجع، و إن صدق ما روي من تواجده مع المحاصرين أيام حصار الخليفة فقبل منعه الماء فربما كان هدفه الضغط عليه لإخراج مروان، أما ما تورده بعض المصادر من أمر نشره الكتب للتحريض عليه فلا شك أنها مزيفة كتلك التي كتبت باسم علي و عائشة و الزبير واتخذت وسيلة لإقحام الصحابة في الفتنة إضفاء للشرعية على ما ذهبوا إليه[3]، أما موقفه من مقتل عثمان ففيه لبس و غموض إذ يذكر صاحب"العقد الفريد" أنه رد على علي لما ضرب ابنه وشتم محمد بن طلحة [4] على عدم حمايتهم للخليفة، بقوله: <<**لو دفع مروان ما قتل** >>[5]، فقد اعتبرت بعض المراجع رده هذا شماتة في الخليفة لكن ربما يكون قد أراد توضيح خطئه في عدم دفع مروان ثم أن هذه الرواية دليل آخر على صحة إرساله لابنه، كما يمكن اعتبارها برهانا آخر على أن هدفه من الحصار إن صح ــ مروان ــ و ليس قتل الخليفة، و لعل ما يوضح موقفه أكثر، ما جاء عنه عندما اتهم بقتله: <<**إنا و الله ما نقول اليوم إلا ما قلناه أمس، إن عثمان خلط الذنب بالتوبة،**

---

[1]- تناقضات أحرى لكتاب : " الإمامة و السياسة"، ابن قتيبة، الإمام ـــــة و السياســـــة، مصـــــدر سابـــق، ج1، ص 36 – 37، و الراجح أن احمد الطبري ابن أبي بكر كان من المحاصرين و ممن تسور عليه الدار حسب جل الروايات و منها" الإمامة و السياسة"نفسه، ص 40 – 41، ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص 674، ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص 85، عبد الله بن الزبير، مصدر سابق، 324.

[2]- ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 36 – 37، و الراجح أنه ابن أبي بكر كان من المحاصرين و ممن تسور عليه الدار حسب جل الروايات و منها" الإمامة و السياسة"نفسه، ص 40 – 41، ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص 674، ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص 85، ابن أحمد الطبري، نفس المصدر سابق، 24 .

[3]– أوردت بعض المصادر أن كلا من : طلحة، الزبير، عائشة، علي اجتمعوا و كتبوا كتابا و قيل ;كتبا أرسلوا بها إلى الأمصار، جاءت فيها استنكارات لسياسة عثمان و دعوة إلى الاجتماع بالمدين، لمناظرة و طلب التوبة و ذك أنها كتب بعد إقرار الخليفة لمحمد أبي بكر على مصر، و لقد أنكر الصحابة كتابهم لها، ينظر ابن العربي، العواصم من القواصم، مصدر سابق، ص 89.

[4]- محمد بن مسلمة : بن عبيد الله التميمي، أمه حنة بنت جمس من بني عبد المطلب بن هاشم، كنيته أبو سليمان، يلقب بالسجادة لعبادته وفضله، قتل يوم الجمل ابن سعد، الطبقات الكبرى مصدر سابق ج5، ص 52–55

[5]– ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج 4، ص 219، ابن قتيبة، الإمام والسياسة ،مصدر سابق، ج 1، ص 41 وذكرتها مصادر أخرى .

حتى كرهنا ولايته و كرهنا أن نقتله، و سرنا أن نكفاه... >>. و مجمل القول أن موقف طلحة من أعقد المواقف أثناء الفتنة و هو الأكثر غموضا، و لقد حاولنا تحليله انطلاقا من دراسة التناقض في الروايات التي ،عرضتها المصادر.

أما موقف الزبير بن العوام فهو أقل غموضا من سابقه، فقد أجمعت المصادر التي وقعت بين أيدينا أنه التزم بيته بعدما أنكر على عثمان حادثة الكتاب واعتزل الفتنة، و هذا ما آخذه عليه بعض المؤرخين لأنه ممن طالب بدمه فيما بعد [1]، في حين ذهب بعضهم إلى اتهامه بالطمع في الخلافة محتجين في ذلك بمشاركته في التأليب عليه تم المطالبة بدمه بعد مقتله، و في هذا الشأن أورد صاحب" الإمامة و السياسة << أنه قام بذلك عقب رفض علي استعماله على الكوفة قائلا: << **هذا جزاؤنا من علي، قمنا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب و بيتنا له القتل،و هو جالس في بيته ...** >>[2]، لكن هذه الرواية ضعيفة إذ أجمعت جل المصادر على القول باعتزاله الفتنة، [3] ثم أن الروايات لم تورد له ذكرا أيام حصار الخليفة على الخليفة غير ما تقدم ذكره من قصة الكتاب، ثم أنه ممن أرسلوا أبناءهم للدفاع عنه الخليفة[4].

و إذا كان موقف الزبير أكثر وضوحا فإن موقف علي أكثر غموضا، فعلى الرغم من مكانته لدى الناس و إصغائهم لرأيه خاصة أهل الأمصار و ذووا الأصول اليمنية منهم

---

[1]– ذكر أنه خرج إلى مكة عند اشتداد الحصار على ﷺ اعتزالا للفتنة فجاءه خبر مقتله في الطريق فترجم عليه و قيل أن عثمان ﷺ أوصاه الصلاة عليه في حال قتله و سواء فعل أولم يفعل فهذا دليل على حسن علاوة به، ابن جرير الطبري مصدر سابق، ج5، ص 181.

[2]– ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص47 و هذه الرواية ضعيفة لأن هذا الكتاب مشوك في نسبته لابن قتيبة ، و يبدوا أن له ميولا شيعية ثم أن ابن قتيبة لم يورد ذكره الرواية في كتابه المعارف، ينظر : الخروج على علي، المعارف، مصدر سابق، ص90.

[3]– ابن كثير ، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج 4، ج1، ص 182، ابن جرير، تاريخ الرسل و الملوك، مصدر سابق، ج5، ص 181 .

[4]– ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص291، ابن طياطيا، مصدر سابق، ص 70 .

على وجه الخصوص وكذا منزلته من الرسول ﷺ [1]، إضافة إلى العلاقة الطيبة بين بني هاشم و اليمنيين[2]، إلا أنه رفض مطلب عثمان في الخروج إلى الثوار ليكلمهم، قائلا: <<**ما أنا بفاعل** >>، و طالبه بالاعتذار إليهم و إعلان توبته مما قد يوحي بإقتناعه بما أوخذ عليه و هو ما يفسر تذكيره إياه بقوله النبي ﷺ: <<**إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق**>>[3]، و على الرغم من طول مدة الحصار إلا أنه اعتزل بيته بعدما أنكر على عثمان الكتاب[4]، و قد ذهب بعضهم إلى أنه كان وراء نشر كتب بالأمصار يدعوهم فيها إلى الوفود على المدينة[5]، في حين لم تختلف المصادر في رفضه الدخول على عثمان لاستحلال دمه كما أجمعت على أنه أرسل ابنيه الحسن و الحسين لمنعه عند اشتداد الحصار عليه[6]، و انفرد صاحب شذرات الذهب بأن عليا أرسل ابنه الحسن إلى الخليفة عند اشتداد الحصار قائلا: << **إن شئت أتيتك للنصر** >> فأبى عثمان قائلا: << **إن رسول الله ﷺ قال لي: إن قاتلتهم نصرت عليهم و إن لم تقاتلهم أفطرت عندنا الليلة** >>[7]، هـــذا هـــذا و على الرغم من أن كثيرا من المؤرخين اعتبروا عليا من الممالئين على قتل الخليفة محتجين فيما ذهبوا إليه ببعض مواقفه من عثمان ، من ذلك اعتزاله بيته أيام الحصار الذي اعتبروه خذلانا منه، بل ذهب بعضهم إلى اتهامه في الطمع في الخلافة مستندين في ذلك بعدم رضاه بحصولها لعثمان لذلك حرض على الثورة عليه مستدلين في ذلك بمواقفه أثناء الشورى[8]، إلا أن ذلك ضعيف إذا ما رددناه إلى ما أوردته المصادر

---

[1]– إذ روي في ذلك احاديث كثيرة عن النبي ﷺ منها قوله ﷺ : << أنا المنذر و علي الهادي...>>، ابن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرحيال، تح : علي محمد اليحياوي، ط 1، ق1، دار إحياء الكتب، د ب ن ، 1963 ص 484 .

[2]– و اليمنيون هم المسيطرون على الأوضاع في السواد بحكم انتماء كثير منهم إلى طبقة الفقراء، أبو الفداء، مصدر سابق، ص 107 – 108 .

[3]– ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4، ج1، ص 163.

[4]- ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص 159.

[5]- ذكر الرواية ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج 1، ص 28 و هو كتاب مشكوك في انتسابه إليه أن ابن قتيبة لم يشر إلى شيء من هذا في كتابه المعارف، مصدر سابق، ص 85 – 86 .

[6]– منهم الإمامة و السياسة، نفسه، ص 36 – 37، ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص 673، ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 128 – 179.

[7]- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، مج (1–2)، ج1، ص 39.

[8]– ينظر: قصة الشورى، ص

من لطمه الحسن و ضربه الحسين و شتمه ابن طلحة و لعنه ابن الزبير منكرا عليهم قتل الخليفة و هم في داره [1]، كما أن المصادر اتفقت على تبرئه من دم الخليفة المقتول و من الممالأة على قتله، و من ذلك قوله عند وصوله خبر مقتله: << **اللهم إني لم أرض و لم أمالئ**>>[2] ثم أنه لعن قتلته قائلا: **<<... أنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل و الجبل**>>[3]، فكيف يلعنهم و هو شريك لهم؟! ثم أن محمد بن سيرين أكد أن اتهام علي في دم عثمان كان عقب مبايعته بالخلافة قائلا: " **ما علمت أن عليا اتهم في دم عثمان حتى بويع، فلما بويع اتهمه الناس** ."[4] و لعل الأحداث التاريخية أيام الفتنة تؤكد هذا إذ أننا لا نجد أثرا لاتهامه قبل وقعة الجمل، و مجمل القول أنه لا يمكن الذهاب إلى اعتبار علي من المحرضين على قتل الخليفة كما يدعي البعض، لكن بالمقابل لا يمكن إنكار تذمره من سياسة عثمان.

و مجمل القول أن مواقف كل من طلحة و الزبير و علي من أعقد المواقف إبان الثورة على عثمان و يرجع ذلك إلى تناقض الروايات و اضطرابها في سرد مجريات الفتنة و مواقفهم إبانها، و تجدر الإشارة إلى أن لاتهامهم دون غيرهم ــ سعد بن أبي وقاص مثلا ــ راجع إلى أسباب لعل أهمها اعتزالهم الفتنة أيام حصار الخليفة[5] و المطالبة المطالبة بدمه بالنسبة لطلحة و الزبير بعد مقتله فيما رفض علي تسليم قتلته فيما بعد أي أن اتهامهم جاء عقب خروج طلحة و الزبير على علي.

ب. مختصر مواقف كبار الصحابة:

---

[1]- ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص 291، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 41.

[2]- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج 5، ص 234، ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص 162.

[3]– احمد الطبري ، مصدر سابق، ص 329، و روي في مطالبته من دم عثمان روايات كثيرة .

[4]- ابن عبد ربه، نفس المصدر السابق، مج4، ص 289.

[5]- و لقد أورد ابن الجوزي في هذا الصدد لموقفهم بأن الثوار جعلوا لكل واحد منهم رقيبا فجعلوا لطلحة سودان بن حمران رقيبا ه، أما الزبير فكان رقيبه قتيرة فيما تولى بن ملحيم رقابة علي ﷺ و لزم كل مهم رقيب، ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص 671 .

لقد تباينت مواقف هؤلاء بين معتزل للفتنة و خائض فيها، فيما انقسم أصحاب الموقف الثاني بين مدافع عنه وواقف في صف الثوار، و لعل أهم من مثل الموقف الأول : عمرو بن العاص الذي اتهم بتأليبه الأعراب على الخليفة بمصر، بعدما كرهوا ولاية ابن أبي سرح و ثار عليه لكن لم تورد المصادر ما يثبت هذا الاتهام عليه وعلى الرغم من تعلقه بمصر إلا أننا لم نجد ما يؤكد تحريضه للمصريين ضد الخليفة، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن عزله عنها كان لأسباب سبق عرضنا لها، و تذكر بعض الروايات أن العلاقة قد ساءت بين عمرو الذي أغلظ القول للخليفة عقب استقدامه المدينة [1] إلا أن ذلك قد يكون ضعيفا بالنظر إلى استشارته إياه في شأن الثوار بعدما وصله خبر خروجهم إليه[2]، و لعل هذا ما دفع بعض المؤرخين إلى اتهامه[3]، إلا أن ما تجمع عليه المصادر هو اعتزاله للفتنة و سواء كانت إقامته بمصر أو بفلسطين [4] إلا أنه لم يكن من الخائضين فيها[5]، و لم يكن عمرو وحده من اعتزل الفتنة بل يندرج ضمن موقفه عدد من الصحابة من أمثال: محمد بن مسلمة الأنصاري و المغيرة بن شعبة و غيرهما، و إذا كان هؤلاء قد اعتزلوا الفتنة فإن عبد الله بن سلام [6] و معه عدد من الصحابة قد وقف موقف المدافع عن الخليفة إذ روي أنه نهى المحاصرين عن قتله قائلا: << **لا تقتلوا عثمان، فو الله إن**

---

[1]- ذكر أنه افتخر عليه بوالديه فنهاه عثمان عن قول الجاهلية، ينظر : ابن كثير، البداية و النهاية، مصر، دار سابق م4، ج1، ص 163 .

[2]– تجمع المصادر أن عثمانا كان يضم عمرو إلى عماله لاستثارتهم في شأن الاضطرابات و ذلك بعد عزله عن مصر نفسه، 164، ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، مصدر سابق، ج 5، ص ص، 143 – 148، ابن يحيى البلاذري أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص45.

[3]- ذكروا أنه قال لعثمان عند استشارته إياه: << **يا عثمان، إنك قد ركبت الناس بمثل أبي أمية، فقد ركبت و قالوا و زغت و زاغوا...** >> ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، مج 5و 144، لقد ركبت الناس رهلين ....فتب نتوب معك>> ابن يحي البلاذري، نفسه، ص 45، ابن كثير نفسه، ص 164 ، (النهابي : الذنوب).

[4]- قيل اعتزل بالحرة جنوب فلسطين، ابن داود الدينوري، مصدر سابق، ص 228، و قيل بعجلات (أرض لخزاعة بفلسطين)، ابن جري الطبري، نفس المصدر السابق، ج5، ص 291.

[5]- ذ كروا أنه خرج من المدينة قائلا: <<**و الله يا أهل المدينة، ما يقيم بها رجل، فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز و جل**>>، نفس المصدر السابق، ج5، ص 291.

[6]- عبد الله بن سلام: بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي حليف الأنصار، أسلم وقت مقدم النبي ﷺ المدينة ، و فيه نزل قوله تعالى:﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾، و كان عبد الله عالم أهل الكتاب و فاضلهم في زمانه بالمدينة، و روى عدة أحاديث . حدث عنه أنس بن مالك ، توفي سنة ثلاث و أربعين بالمدينة . أبن أبي بكر السيوطي ، طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص 16 .

قتلتموه لا تصلوا جميعا أبدا>>[1] فيما ذكر بن قتيبة أن بن سلام أشرف على المحاصرين قائلا: <<**لا تقتلوا عثمان... و والله لئن قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم...و ليقتلن بقتله أقواما هم في الأصلاب و ما خلقوا في الأرحام، و إني لأجده في التوراة...** >>، لكنهم أصروا على ما أقدموا عليه قائلين: << **أيا يهودي، أشبع بطنك...و الله لا لينتطح فيه شاتان...>>** و قد صدق رده: <<**و لكن التيسان الأكبران ينتطحان فيه...**>>[2] كذلك كان موقف أبو هريرة الذي حاول حمايته إلا أن عثمان نهاه قائلا: << **عزمت عليك يا أبا هريرة إلا ألقيت سيفك** >>[3] بالمقابل كان لبعض الصحابة موقفا معارضا للخليفة، و على رأسهم عمار بن ياسر الذي تذهب بعض المصادر إلى جعله على رأس قائمة المؤلبين علنا على الخليفة، بل نجده يستنكر سياسة عثمان في كتاب مضى به إليه منفردا بعدما تسلل عنه حلفاؤه في ذلك فما كان من أمير المؤمنين إلا أن أوسعه ضربا ــ حسب ما تزعــمه بعــض الروايــات ــ[4] و يتلخص موقفه حسب ما يصوره ابن أبي حديد في قوله: <<...**إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان** ...>>[5]، هذا و قد قد ذكر بعضهم أنه كان من بين محاصري الخليفة، فعلى الرغم من معارضته الخليفة إلا أنه فضل الخروج إلى الربذة فرارا من الفتنة[6].

أما أمهات المؤمنين فقد خرجن إلى مكة فرارا من الهرج و لعل أهم موقف بينهن مثلته عائشة التي أشارت إليها أصابع الاتهام بالتحريض و الممالأة على عثمان عن طريق كتب أرسلت بها إلى الأمصار في هذا الشأن لكنها نفتها قائلة: << **و الذي آمن به المؤمنون و كفر به الكافرون ما كتبت سوادا في بياض** >>[7] و قيل أنها خرجت تبكيه لما

---

[1]- ابن أبي بكر الهثيمي، مصدر سابق، ج9، ص 33.

[2]– ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج 1، ص 37، و لعله قصد التيسان الأكبران ذوي الرأي من بني أمية و تحيزهم و هذا ما سيقع به علي و معاوية.

3– نفسه، ص38.

[4]- سبق و أن تعرضنا إلى حقيقة تأليبه على الخليفة، ينظر : ص

[5]- ص 504 و يجب الإشارة إلى موقفه المعارض لاختيار عثمان منذ البداية، ينظر : .....الشورى ، ص .

[6]– ابن عساكر ، مصدر سابق، ج ، ص180

[7]- ابن العربي، مصدر سابق، ص 94، و روى نحوه ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج3، ص 120.

لما وصلها خبر مقتله قائلة: << **قتل الله مذمما بسعيه على عثمان، و أهرق دم ابن بديل على ضلالته**>>[1] و روي أنها أنكرت على الصحابة مواقفهم من الفتنة[2].

2.3. موقف بني أمية:

و يمثله أساسا ولاته بالدرجة الأولى، فعبد الله بن أبي سرح لم نجد له موقفا واضحا أيام الفتن غير إرساله إلى عثمان محذرا إياه من الثوار الذين وفدوا على المدينة في ثوب العمرة[3]، و كذا ما أوردته بعض المصادر من أنه جاء مددا على رأس عدد من المناهضين للثورة على عثمان إلا أن خبر مقتله و صله قبل دخوله المدينة فاتخذ و جهته نحو بلاد الشام[4]، فيما نجد المصادر تسكت عن مواقف باقي ولاته الأمويين و لا تورد لهم لهم ذكرا [5] إلى حين مقتل الخليفة ما عدا معاوية بن أبي سفيان الذي يصوره بعض المؤرخين بمظهر المتماطل في الاستجابة لطلب الخليفة بإرسال مدد لحمايته أيام اشتداد الحصار عليه،[6] و كذا ما ورد في شأن الوليد بن عقبة الذي اعتزل بالرقة [7]. و تشير الروايات إلى تولي عدد منهم المطالبة بدم الخليفة المقتول و على رأسهم يعلى بن منية

---

[1]- ابن عبد ربه، مصدر سابق، مج4، ص 295.

[2]– ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1، ص 42.

[3]- ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 148، ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص 669 .

[4]- و ذكر بعضهم أنه اعتزل فيما ذهب آخرون إلى أنه خرج من مصر عقب إخراج محمد بن أبي حذيفة له وسار إلى المدينة فوصله مقتل الخليفة في الطريق فغير و جهته إلى معاوية بالشام، ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، مج4 ج1، ص 245، و ذكر الذهبي أن ابن أبي سرح و سعيد بن العاص الأمويان اعتزلا الفتنة و هو الراجح لأن المصادر لا تورد لهما ذكرا أيام الثورة على الخليفة، ابن عثمان الذهبي، تذكره الحفاظ، تح : حمدي السلفي، ط 1، ج1، دار الصميعي الرياض 1415 هـ، ص 30 ووافقه ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة أسماء الأصحاب ، الكتاب العربي، بيروت ب ت ج 2، ص 573.

[5]- ابن عامر : يبدوا أنه اعتزل بالبصرة على ما تظهره الحوادث التاريخية ما عدا ما ورد أنه فر من البصرة على مكة بعد مقتل عثمان، ابن العربي، مصدر سابق، ص 102.

[6]- ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 156.

[7]– الرقة : موضع يقع شرقي الفرات، ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق ج2، ص 846.

واليه على اليمن و ابن عامر عامله على البصرة، أما مروان بن الحكم فتورد المصادر أنه فر إلى الشام أيام حصار الخليفة[1].

[1]– و الراجح أنه فر بعد مقتله إلى مكة لأنه شارك هناك في معركة الجمل، ابن العربي، نفس المصدر السابق، ص 102.

الفصل الثالث

الانقسام الداخلي للأمة

- ❖ وقعة الجمل
  - دراسة الأسباب
  - مجرياتها
  - انعكاساتها
- ❖ حتمية الصدام بين علي و معاوية .
  - مجريات وقعة صفين .
  - التحكيم بين الطرفين : البحث عن المخرج
- ❖ الانتصار الأموي : بداية الملكية
  - عام الجماعة
  - إفرازاته و تجلياته

1.وقعة الجمل:

1.1. دراسة الأسباب:

لقد حاول المؤرخون القدامى منهم والمحدثون إيجاد تفاسير لخروج طلحة والزبير على علي فيما عرف بوقعة الجمل، وفي إطار محاولتهم التوصل للأسباب الحقيقية لخروجهما عليه راحوا يحللون مواقفهما من بيعته من جهة، وتحركاتهما بداية بخروجهما إلى مكة ونهاية بتراجعهما أثناء المعركة، ولقد أفضى تحليلهم إلى الإقرار بأسباب اختلفت بين مؤرخ و آخر. ولأن تدوين هذه الحادثة كان في وقت انقسم فيه المسلمون إلى فرق مذهبية تندرج ضمن مذهبين رئيسين ممثلين أساسا في :الشيعة والخوارج فكثيرا ما تحكمت النزعة المذهبية [1] إلى جانب الانتماءات القبلية في تحليلات هؤلاء لأسباب وقعة الجمل وهذه جملة من الأسباب التي طرحوها:

- كراهية كل من طلحة والزبير لبيعة علي: واهتموا في ذلك برد طلحة على من سأله عن سبب خروجه قائلا : <<**بايعت والسيف فوق رأسي** >> [2]، وقول الزبير: <<**ساقني لص من لصوص عبد القيس حتى بايعت مكرها**>> [3].
- مبايعتهما له طمعا في الولاية [4]: ويروي في ذلك صاحب "الإمامة والسياسة" أن الزبير وطلحة أتيا عليا عقب فراغ البيعة **فقالا:** <<**هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين" فقال علي نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان، فقالا: لا؛ ولكنا بايعناك على أنّا شريكاك في الأمر** >>، ويضيف صاحب الرواية أن طلحة لا يشك في ولاية اليمن والزبير لا يشك في ولاية العراق فلما أستبان لهما أن عليا غير موليهما شيئا أظهرا الشكاة فتكلم الزبير في ملأ من قريش قائلا: << **هذا**

---

[1] – فنجد الشيعة مثلا كثيرا ما يبالغون في اتهام عائشة وطلحة والزبير بل ذهب بعض إلى حد تكفيرهم وتشويه العلاقة بين عائشة وعلي عقب المعركة.

[2] – ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 208، وروى غيره نحو ذلك.

[3] – ابن يحي البلاذري ،أنساب الأشراف ،مصدر سابق، ص 8.

[4]– من بين الذين طرحوا هذه الفكرة: ابن قتيبة الدينوري ،الإمامة و السياسة، مصدر سابق، ج1،ص 17.

جزاؤنا من علي قمنا له في أمر عثمان حتى أتينا عليه الذنب –يقصد عثمان–وسببنا له القتل وهو جالس في بيته فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا >> أما طلحة فاستدلوا في شأنه بقوله << **ما اللوم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا** >>[1] فيما أحتج بعضهم بأن خروجهما كان عقب توليته العمال[2].

- طمعهما في الخلافة : وقد أوردوا في هذا الشأن أنهما حرضا أم المؤمنين على الخروج قائلين : << **تعلمين الناس أن عثمان قتل مظلوما وتدعيهم إلى أن يجعلوا الأمر شورى بين المسلمين فيكونوا على الحالة التي تركهم عليها عمر بن الخطاب وتصلحيـــــن بينهم**>> [3].

- ذهب بعضهم إلى اعتبار خروجهما عليه تكفيرا لذنوبهما المقترفة أيام الفتنة على عثمان والتي تتلخص حسب رأيهم في حصاره و التأليب عليه [4]. ولعلهم استندوا في ذلك إلى ما عرضته بعض الروايات من قول طلحة ردا على معاتبته عن الخروج للمطالبة بدمه بعدما كان قد ألب عليه قائلا: <<**كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أدري**>> [5].

- ولقد بالغ بعضهم في تفسير أسباب خروجهما عندما ردوه إلى تحريض أم المؤمنين على علي، واختلفت الروايات بين قائل بمراسلتها لهما تستدعيهما إلى مكة للمطالبة بدم الخليفة المقتول، وبين قائل بأنها قامت بتحريضهما على ذلك عند خروجهما إلى الحج (العمرة).[6]

---

[1] – ابن قتيبة، نفس المصدر السابق، ج1، ص 47،48.

[2] – ابن يحي البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص23.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، مج 4، ج1، ص261

[4] – ابن عثمان الذهبي ،الخلفاء الراشدون ،مصدر سابق ص 288. وذهب بعضهم إلى اعتبار خروجهما إلى المدينة كان من غير مشورة الخليفة، أنه ثم حاولوا تأكيد ما وصفه أحدهم " بالتمفغل والتأليب " بذكر قول طلحة : كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أدري كفارته إلا سفك دمي وطلب دمه "، ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص225.

[5] – نفسه.

[6] – اليعقوبي، مصدر سابق ج2، ص 81، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1،ص 50 ،و بالمقابل ذهب بعض المؤرخين إلى اتهام طلحة والزبير بافترائهما على عائشة بأنها ليست بماء الحوأب، ابن داود الدينوري، مصدر سابق، ص 306.

إن الأسباب المطروحة من قبل المؤرخين والتي أسلفنا عرض أهمها تحتاج إلى دراسة وتمحيص، ذلك أن الكثير منها تحكمت فيه النزعة المذهبية والتعصب لطرف من الأطراف على حساب الآخر.

فبالعودة إلى إرجاع خروجهما على علي إلى كراهية بيعتهما له فلو كان ذلك صحيحا لما انتظرا طيلة مدة أربعة أشهر للخروج عليه ثم أن إكراههما على البيعة ضعيف إذا ما رددناه إلى أصل الرواية التي تعرف تناقضا، إذ تورد أنهما فضلا مبايعة علي عندما أرسل إليهما قائلا <<**إن أحببتما أن أبايعكما أجبت**>>[1]، ثم تعود الرواية لتذكر أنهما بايعاه مكرهين بعدما أرسل إليهما من يأخذ منهما البيعة بالقوة، ثم أن إكراههما فيه شك كبير، فلو كان كذلك لأكره عمر وسعد بن أبي وقاص وغيرهما ممن رفض البيعة، ومن جهة أخرى كان الجدير بهما الفرار مع من فر إلى الشام عندما سمعا ببيعة علي، وتجدر الإشارة إلى أن جل المصادر وإن اختلفت في كيفية بيعة الزبير و طلحة إلا أنها تقر بأن هذا الأخير هو أول من بايع عليا ثم تبعه الزبير بن العوام، أما عما ذهب إليه بعض المؤرخين من نكثهما البيعة فقد رأينا سلفا كيف أن أصحاب هذا الرأي استندوا في ذلك على مبايعة طلحة له بيده الشلاّء عن طواعية إذ فسروا ذلك بأنه أضمر نكث البيعة منذ البداية، فلو تأملنا في هذه الرواية فسنجد أنها تحمل في طياتها معنى بيعة الإكراه –اي عن غير طيب نفس–، أما الزبير فتسكت عنه ثم تعود لتقول أنه نكث البيعة وبالتالي فإن هذا الرأي ضعيف، [2]أما عن اشتراطهما الاقتصاص من قتلة عثمان في البيعة فتغيبه أغلب المصادر وفيما يخص ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أنهما بايعاه على أن يوليهما البصرة والكوفة، وهذه الرواية تغيبها أغلب المصادر [3]، ثم أن مواقف هؤلاء من الثورة على عثمان تؤكد ما يفند هذا الزعم، أما عن طمعهما في الولاية فلم نجد لهذا الزعم ما

---

[1] – ابن كثير البداية والنهاية، مصدر سابق، مج 4،ج1، ص 220.

[2] – رواه اليعقوبي وهو شيعي ثم أنها ليست من المعقول منطقيا.

[3] – ذكرها ابن قتيبة في الإمامة و السياسة، مصدر سابق،ج1، ص 43–44، و هو كتاب لم يثبت نسبته إليه، ثم أن هذا الأخير غيبه في كتابه المعارف، مصدر سابق، ص 520.

يؤكده، إذ كان من الأجدر بهما الاحتجاج على ولاته ولكن الروايات لا تورد لذلك ذكرا، ثم أن صاحب "الإمامة والسياسة" ذكر أن احتجاجهما على عدم استعمالهما جاء عقب الفراغ من البيعة مباشرة فلو صح ذلك فكيف عرفا أنه غير موليهما؟، ثم أن الرواية ذكرت عدم شك طلحة في ولاية اليمن و هذا ضعيف، إذ أوردت المصادر أن أهل البصرة هم الذين يميلون إلى طلحة [1]، أمّا ما أوردته الرواية من قيام طلحة والزبير على قتل عثمان من أجل تولي علي الأمر بعده فهذا الزعم باطل، إذ تفنده أحداث الثورة على عثمان[2] ، ثم أن جل الروايات اتفقت على رفض علي للخلافة في بادئ الأمر [3]، فكيف يطلب إليهما أن يهيئا له منصب الخليفة ثم يرفض قبوله.

وبالمقابل فإن طمعهما في الخلافة فيه شك فلو أراداها لكانا قد رفضا بيعته منذ البداية ودعيا إلى نفسيهما، فضلا عن هذا فقد أوردت جل الروايات ما يفند هذا الزعم، إذ ذكرت جل المصادر أن البصريين أتوا طلحة يبايعونه عقب مقتل عثمان فيما أتى الكوفيين الزبير لنفس السبب فلما رفضا التفوا حول ابن عمر ثم سعد بن أبي وقاص، وعند رفضهم جميعا قالوا: **<<إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم** >>، ثم رجعوا فبايعوا عليا [4]، فلو أراد الخلافة حقا كما يدعي أنصار هذا الرأي لقبل بها.

أما عن خروجهما عليه تكفيرا لذنوبهما أيام الفتنة على عثمان فقد عرضنا ما يفند هذا الزعم من خلال مواقفهما من الثورة عليه، فكيف سيكفران عن ذنب لم يقترفاه؟ فهما لم يشاركا في قتله، و إن افترضنا أنهما ألبا عليه فكيف لهما أن يكفرا عن ذنب

---

[1] – فلقد ذكروا أن ذلك كان منذ أيام عثمان بن عفان و جاؤوه يطلبون بيعته عقب مقتله، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم مصدر سابق ،ص 654،ابن جرير الطبري ، ،مصدر سابق ،ج5،ص 153،ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق مج 4،ج1، ص 221.

[2] – ينظر دراسة مواقف أصحاب الشورى، ص 81.

[3] – ذكروا أن عليًا رفض الخلافة قائلا: <<لا تفعلوا، فإني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا...>>، ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص205.

[4] – ابن كثير، مصدر سابق ،مج 4 ،ج1، ص 221–222، و ذكر غيره أن عليا أرسل إلى طلحة والزبير قائلا: <<إن أحببتما أن أبايعكما أجبت>>، ابن سهل البلخي، مصدر سابق، ج2، ص 229.

التأليب بذنب أقبح وأعظم منه قد يؤدي بقتل الخليفة الرابع، هذا فضلا عن إزهاق نفوس كثيرة من المسلمين فأيُّهما يكفَّرُ عنه التأليب أم قتل النفوس؟.

أمّا عن اتهام عائشة بالتحريض للخروج على علي، فعلى الرغم من ذهاب جل الروايات إلى أنها أول من نادى بالقصاص من قتلة عثمان قائلة: **<<إن عثمان قتل مظلوما، و إن الأمر لا يستقيم و لهذه الغوغاء أمر فاطلبوا بدم عثمان تعِزُّوا بالإسلام >>** [1] إلا أن ذلك لا يعني أنها قصدت الفتنة كما يصورها بعض المؤرخين و مرد ذلك ما أوردته كثير من الروايات من جوابها عند سؤالها عن سبب قدومها البصرة قائلة: **<<إنما جئت للإصلاح بين الناس >>**[2] ، فضلا عن هذا فإننا لم نجد لاستدعائها لطلحة والزبير دليلاً.

ومجمل القول أن طلحة والزبير بايعا عليا طائعين غير مكرهين ثم خرجا يريدان مكة، ولا يمكن الجزم في سبب خروجهما إليها فلما قدماها وجدا بني أمية و أنصارهم قد اتفقوا فيما بينهم على المطالبة بدم الخليفة المقتول، و لعل انتظار الأمويين طيلة هذه المدة مرده إلى مراقبتهم لإجراء الخليفة تجاه القتلة فلما استتب له الأمر ولم يعمل على ذلك ثاروا عليه، أو أنهم كانوا يجهزون أنفسهم بجمع المال و الرجال ، و بمجيء طلحة و الزبير عرضوا عليهما الأمر، أما عن هذين الأخيرين فيمكن تفسير قبولهما دعوتهم ، طلبا للصلح بين الثائرين وخليفة المسلمين ، ويبقى التساؤل عن الجيش الذي قاداه ولعل ما يؤكد هذا الزعم ما ذكرته جل الروايات من إجابتهما عند سؤالهما عن سبب مقدمها البصرة قائلين بعدما أجابت عائشة **<< بأنها جاءت للصلح>> :** ونحن كذلك[3] ، ولعلهم اجتهدوا رأيهم فرأوا أن يخرجوا مطالبين بالقصاص من القتلة حتى إذا سمع علي

---

[1] – ابن جرير الطبري، نفس المصدر السابق، ج5، ص 247.

[2] – وردت بعض الاختلافات ، ابن جرير الطبري ، نفس المصدر السابق ، ص 231، ابن كثير، البداية والنهاية ، مصدر سابق، مج 4 ،ج 1 ،ص 227 ،ابن العربي ، مصدر سابق ، ص 107.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية ، نفسه ، مج4،ج1، 227 ، ابن العربي ، نفسه ، ص 107 ، ابن جرير الطبري ، نفسه ، ج5 ، ص 210.

بخروجهم فضل تسليم القتلة إليهم أو الاقتصاص منهم اتقاءً للفتنة ، و يمكن الذهاب إلى أنهما خرجا لأجل الصلح لكنهما ما أن وصلوا البصرة حتى أقحموا في الفتنة من قبل كثير من أهلها ، إذ يروي ابن عبد ربه أنهم وجدوا البصريين قد اجتمعوا بأعلى المربد فجعل طلحة يقول: **<<أيها الناس أنصتوا >>** ، يقول صاحب الرواية :"وجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فقال : **<<أف أف فراش نار وذباب طمع>>** – يقصد المجتمعين– [1] فلم يكن أمامهم إلا الالتجاء إلى التفاوض مع علي ، لعل خير دليل على هدفهم قبولهم الصلح لولا تدخل القتلة للإيقاع بين الطرفين، أما علي فقد رأى اجتهادا منه وجوب وضع حد لهؤلاء خوفا من اتساع الفتنة ،لكن هذا لا يعني أنه أراد الدخول معهم في معركة والدليل لجوءه إلى التفاوض معهم بشأن الصلح، أما عن قتال الطرفين في المعركة فقد كان من صنع القتلة الذين أقحموهم فيها فبعدما تأكد لأصحاب الجمل عدم كف هؤلاء عن الفتنة أصروا على عدم التراجع إلا بعد الاقتصاص من القتلة.

أما علي فلم يكن ليستطيع تسليمهم في ظرف كهذا خاصة وأنهم يمثلون السواد الأعظم في جيشه . وعموما فقد كانت الفتنة بين الطرفين وخوض المعركة من تدبير أصحاب الفتنة ، وكدليل على عدم نية الفريقين في خوضها ، جموح علي إلى الصلح ومخاطبته طلحة وللزبير لردهما عن عزمهما وإدبار هذين الأخيرين لما بدا لهما أنهما على خطئ[2]، هذا وتجدر الإشارة إلى أن إقحام طلحة والزبير لعائشة في المعركة بشهادة زور أدليا بها على أنها ليست بماء الحوأب فقد اختلف فيها ، فقيل شهد بها عبد الله بن

---

[1] – ابن عبد ربه ، ،مصدر سابق ، مج 4 ، ص 309.

[2]– تجمع المصادر على أن طلحة والزبير تراجعا أثناء المعركة وهو سبب قتلهما ، ينظر ابن خياط ،تاريخ الخليفة مصدر سابق ص 111، ابن الأثير ، الكامل، مصدر سابق ،ج3 ،ص 223 ،ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، صج1،ص 66.ابن يحي البلاذوي، أنساب الأشراف، مصدر سابق ص 20،25 ، أحمد الطبري، مصدر سابق ،ص 451،468.

الزبير[1]،وتؤكد بعض الروايات أن الزبير خاطبها قائلا عندما أرادت الرجوع : **<<ترجعين عسى الله أن يصلح بك بين الناس>>** ، [2] ولو أراد القتال فما المانع من دخولهما البصرة من دونها وأهلها يميلون إلى طلحة ؟ ويبقى أمر خروجهم على رأس جيش معد حربيا أمر غاية في الغموض ويمكن تفسيره من باب الضغط على الخليفة والتصميم على الهدف ويبقى السؤال مطروحا:

-هل قصدوا بخروجهم على رأس الجيش القتال أم كان ذلك وسيلة تهديد وضغط فقط أسفرت عن تلك التسمية؟.

2.1. مجريات موقعة الجمل:

لم يكن مقتل عثمان نهاية للاضطرابات التي عرفتها دولة صدر الإسلام كما زعم الثائرون عليه بل فتح مقتله باب الفتن التي أخبر بها الرسول ﷺ،إذ أخرج الشيخان عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال : **<<أشرف على أطم من آطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن>>** ، [3] ولقد حذر عثمان من قتله قائلا : **<<يا قوم لا تقتلوني فإنكم إن قتلتموني كنتم هكذا - وشبك أصابعه- >>** ، [4] وبذلك كان مقتله بداية لسلسة من الفتن التي كان منطلقها من مكة المكرمة وبقيادة ثلاثة من كبار الصحابة وهم : الزبير بن العوام ، طلحة بن عبيد الله وعائشة أم المؤمنين فيما عرف بوقعة الجمل التي تلتها فتن أهمهما الصراع بين علي ومعاوية ، وتجدر الإشارة إلى أن شعار خروج هؤلاء الصحابة على علي يكمن ظاهرا في المطالبة بدم عثمان ، وسنأتي على تفصيل الأسباب والنتائج لاحقا . ولأن أول خروج على الخليفة بعد مقتل عثمان تمثل في خروج

---

[1] - عبد الله بن الزبير: أبو خبيب عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، وهو أول مولود بالمدينة من المسلمين بعد الهجرة ، بويع له بمكة عام 61 للهجرة وبايعه أهل العراق ، قتل في عهد مروان بن الحكم على يد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ينظر ترجمته : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تح : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د ت ن) ، ص71 - 73 .

[2] - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق مج 2 ،ج 1، ص 225.

[3] - ابن أبي بكر السيوطي ،الخصائص الكبرى، مصدر سابق، ج2ص ،87.

[4] - ابن قتيبة الدينوي ،الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1 ،ص 39.

أصحاب الجمل المشار إليهم سلفا كما أخبر الرسول ﷺ : **<<أحذركم سبع فتن تكون بعدي ، فتنة تقبل من المدينة ،و فتنة بمكة وفتنة تقبل من اليمن.... >>** [1]. وقبل التطرق إلى مبررات موقعة الجمل يجدر بنا الحديث عن ظروفها.

عقب مقتل عثمان بقي منصب الخليفة شاغرا لمدة تسعة أيام وقيل خمسة ثم بويع علي بن أبي طالب ويروي ابن جرير الطبري أن ذلك كان يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة لعام خمسة وثلاثين للهجرة وقيل في اليوم التاسع عشر منه [2]، وعلى الرغم من اختلاف المصادر في بيعته ، إذ روى بعضهم أن الأشتر النخعي هو من بادر إلى مبايعته مخوفا إياه من الفتنة إن هو [3] أبى ، فيما روى آخرون أن أصحاب رسول الله ﷺ جاؤوا عليا فقالوا : **<<إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام ،ولا نجد اليوم أحدًا أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله ﷺ >>** فرد قائلا : **<< لا تفعلوا، فإني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا>>** ، وقيل أن طلحة والزبير كانا على رأس هؤلاء،[4] ولم يخرجوا من عنده إلا وقد أقنعوه وبايعوه ثم خرج إلى المسجد حيث كانت البيعة العامة . وعموما فقد كان من بين المبايعين له قتلة عثمان والثائرين عليه فيما امتنع بعضهم عن مبايعته ، ومن بينهم :سعد بن أبي وقاص ،والغيرة بن شعبة، و النعمان بن بشير وحسان بن ثابت [5] وغيرهم ،[6] تجدر الإشارة أن جمهور أهل المدينة قد بايعوه، أما عن وقعة الجمل فملخصها أنه لما وصل خبر مقتل عثمان مسامع أم المؤمنين عائشة وهي بمكة خرجت تبكي وتدعو المسلمين إلى المطالبة بدمه من علي [7] وبالمقابل كان كل كل من الزبير وطلحة قد بايعا عليا على الاقتصاص من القتلة ثم خرجا إلى مكة بعدما

---

[1] – أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ،دار الكتاب العربي، بيروت، ج4 ،(د ت ن) ص 51.
[2] – ابن جرير الطبري ، مصدر سابق ،ج5 ، ص 205.
[3] – ابن أبي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مصدر سابق، ص 151.
[4] – بن قتيبة الدينوري ،نفس المصدر السابق، ج1، ص 43، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، مج 2، ج 2 ص 150.
[5] – حسان بن ثابت : بن المنذر الأنصاري، جاهلي متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع النبي مشهدا وقيل لجبنه، شاعر النبي ﷺ، توفي في خلافة معاوية، ينظر ترجمته : ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء–طبقات الشعراء–تح :مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص174–193 .
[6] – ينظر: ابن سهل البلخي ، مصدر سابق ، ج2 ،ص 220.
[7] – ابن جرير الطبري ، مصدر سابق ،ج5 ، ص 126، وابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1 ،ص 44.

أذن لهما علي بذلك فلما وصل خبر عائشة التحقا بها واجتمع إليهم جماعة من بني أمية إلى جانب عدد من قتلة عثمان ،وأتفق هؤلاء على المسير إلى البصرة قائلين : **<<معاوية بالشام قد كفانا أمرها>>** ثم خرجوا يقصدونها يتقدمهم في ذلك طلحة والزبير وخرجت عائشة في هودجها [1] حتى إذا كانوا بحوأب [2] وسمعوا نباح كلاب صاحت عائشة قائلة: **<< أنا لله وأنا إليه راجعون سمعت رسول الله ﷺ أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب >>** [3] وقالت : **<<ردوني أنا والله صاحبة الحوأب>>** ، وتزعم بعض الروايات أن طلحة والزبير شهدا لها أنهم ليسوا بماء الحوأب [4] ، فيما ذهب أبو الفداء إلى أن الفاعل عبد الله الله بن الزبير ، يضيف قائلا : "ولم يزل بها وهي تمتنع فقال : **<<لها النجا النجا فقد أدرككم علي بن أبي طالب>>** ، فارتحلوا نحو البصرة واستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف،[5] الذي قتل من أصحابه أربعون رجلا [6] ، وتذكر بعض المصادر أن طلحة والزبير قاما خطيبين فقالا: **<< يا أهل البصرة توبة لحوبة** [7]**،وإنما أردنا أن نستعتب أمير المؤمنين ولم نرد قتله>>** ، وما أن وصل الخبر مسامع علي حتى قام هذا الأخير بالخروج على آثارهم قاصدا البصرة في سبع مائة رجل، مستخلفا على المدينة سهـــل بن

---

[1] – الهودج: مقصورة من الخشب ذات قبة ، توضع على ظهور الجمل تكون مركبا للنساء ،ابن قتيبة ، نفسه ،ج1 ،ص 48.

[2] – الحوأب: موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماءه أيضا من مياههم ،ابن جريرالطبري ، نفس المصدر السابق ، ص225.

[3] – الهيثمي ، مصدر سابق، ج7 ، ص 234.

[4] – وزعموا أنها أول شهادة زور في الإسلام ، رواها اليعقوبي، مصدر سابق، ج2 ،ص 81 ،وابن علي المسعودي ، مصدر سابق، ج2 ،ص 428.

[5] – عثمان بن حنيف : عامل علي على البصرة وهو من بني حيثم بن عوف شهد بدرًا ينظر ترجمته : ابن داود الدينوري ، مصدر سابق، ص 202، ويذكر ابن العربي أنه أنصاري من الأوس ، ويضيف قائلا: أنه أحد الشبان الأوسيين الخمسة عشر الذين انضموا الى عبد عمرو بن صيفي عند خروجه من مكة مغاضبا للنبي ﷺ ، أما عبد عمرو فهو الملقب بالراهب ، فسماه النبي بالفاسق أما عثمان بن حنيف فقد عاد وأسلم قبل أحد لأنه شارك فيها ،ابن العربي، مصدر سابق ،ص 105.

[6] – عماد الدين أبو الفداء، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 173، ينظرمجريات وقعة الجمل، ملحق رقم 03 ص 131 .

[7] – حوبة : من الحوأب ويعني الذنب والإثم ، ابن العربي ، مصدر سابق ، ص 110.

حنيف [1] ولقد سار حتى وصل إلى ذي قار [2] التي نزل بها ، وأرسل كل من عمار بن ياسر و أبو موسى الأشعري ومحمد بن أبي بكر إلى أهل الكوفة يستنفرهم لنصرته ففعل ذلك عمار ومحمد ، فيما دعا أبو موسى القوم إلى الاعتزال قائلا : **<<أيها الناس أن أصحاب رسول الله ﷺ الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وإن لكم حقا علي أرده إليكم إن هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقضان والقاعد خير مـــن القائم... >>** ، فما كان من عمار إلا أن دعاهم قائلا: **<< لعمري ما صدق فيما قال >>**[3] ، ثم تلا قوله تعالى: << وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه >> ، [4] ولما بلغ الخبر عليا أرسل إليهم كتابا مع ابنه الحسن يدعوهم فيه إلى نصرته فاستجابوا له وحرضهم على ذلك شريح بن هانئ [5] من خلال خطبة ألقاها، وكان عثمان بن حنيف قد أمر أهل البصرة ممن وقفوا إلى جانبه بالتهيؤ لملاقاة القوم بعدما رأى أن الحرب قائمة لا محالة إذ قال : **<<...إن لله وإنا إليه راجعون ، دارت رحى الإسلام ورب الكعبة فانظروا بأي زيفان تزيف >>** ، [6] وقام أحدهم قائلا : **<<....إن كانوا جاؤوا يطالبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان ، أطيعوني في هؤلاء القوم فردوهم من حيث جاؤوا >>** ، [7] فما أن أن اجتمع إلى علي نفر من أهل الكوفة وانظم إلى فريق عائشة نفر من أهل البصرة حتى انطلقت جملة من المراسلات بين الطرفين هدفها الاحتكام إلى الصلح وكانت بدايتها

---

[1] – سهل بن حنيف : أنصاري من بني حيثم بن عوف شهد بدرا وهو أخو عثمان بن حنيف ،ابن داود الدينوري، مصدر سابق، ص 202.

[2]– ذي قار: موضع بين الكوفة و واسط اشتهر بيوم لبني شيبان – وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم – نفسه ، ص 209.

[3] – ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 118 ، أما قوله : << إن هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقضان والقاعد خير من القائم والقائم خير من الساعي.... >> ، فهو قول رسول الله ﷺ.

[4] – الأنفال : الآية 39.

[5]– شريح بن هانئ : أبو المقداد المذهب الكوفي ، الفقيه صاحب علي ، توفي عام 98 هـــ ينظر: ابن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ص 107،109.

[6] – وقيل أنه أشار الى مقولة النبي ﷺ التي جاء فيها : <<تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين عاما>> ويذكر ابن كثير أن عمرا أشار عليه قائلا : << اعتزل فإني قاعد في منزلي >> ، فرد عليه عثمان بقوله : << بل امنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين >> ، ثم قام فخطب الناس وحثهم على التهيؤ للقتال ، ينظر: ابن كثير، البداية و النهاية ، مصدر سابق ، مج 4 ، ج 1، ص 226.

[7]– نفسه .

بتوجه القعقاع بن عمرو [1] رسولا من قبل علي إلى عائشة ومن معها قائلا : **<<أي أماه ما أقدمك هذا البلد ؟>>** فقالت : **<<الإصلاح بين الناس >>** ، وكذلك كان رد كل من طلحة والزبير على هذا النحو، ولقد تم الاتفاق بين الفريقين على الصلح مقابل اقتصاص علي من قتلت عثمان . وما أن أعلن علي أنه مغادر إذا كان الغد حتى أخذ أصحاب الفتنة يبيتون إثارة الفتن في سرية ، وعلى رأس هؤلاء : الأشتر النخعي ، وشريح بن أوفى، [2] وابن السوداء ، وقبيل طـــــــلوع الفجر بـــــــاغت هؤلاء الناس هجوما بالسيوف، [3] فقاموا متهيئين للقتال ، وخطب علي فيمن معه يحثهم على عدم البدء بالقتال ثم نادى على الزبير قائلا : **<< أتذكر قول رسول الله ﷺ** ليقاتلنك ابن عمتك وهو لك ظالم **>>** ، فما كان من الزبير إلا أن انصرف حتى إذا لقيه ابن جرموز فحاوره طويلا لكنه أبى إلا الرجوع إلى القتال ،عندئذ بيت قتله قائلا : **<< وا لهفاه على ابن صفية أضرمها نارا، ثم أراد أن يلحق بأهله، قتلني الله إن لم أقتله >>** ، ونفذ فعلته في مكان يدعى واد السباع[4]. أما طلحة بين عبيد الله فقد قاتل حتى إذا بدت له الهزيمة ولى مدبرا فرماه مروان بسهم لقي حتفه على إثر إصابته ، وشكت السهام هودج عائشة حتى ظن أنها ماتت فأدخل محمد بن أبي بكر رأسه في هودجها ثم أخرجه قائلا : **<<ما أصابها إلا خدش بساعدها>>** ، وردت على من سألها عن خروجها إلى هذه المعركة قائلة : **<< لو علمت ان يكون قتال ما حضرت ،وإنما أردت أن أصلح بين الناس>>** .

هذا وقد قتل من أصحاب الجمل خلق كثير حتى قيل أنهم بلغوا أثنى عشر ألفا وعموما فقد كانت الغلبة لجيش علي الذي وجد عائشة قائلا : **<< يا صاحبة الهودج قد أمرك أن تقعدي في بيتك ،ثم خرجت تقاتلين أترتحلين ؟ >>** ، قالت : **<< أرتحل >>**

---

[1] – القعقاع بن عمرو: التميمي،شهد المشاهد كلها واختلف في صحبته، ذكره ابن قانع في الصحابة ، ابن إسحاق الاصبهاني،تح : عامر حسن صبري،ط1، ج1 ،2005 ،ص102 .

[2] – شريح بن أوفى :لم نتوصل إلى ترجمته.

[3] – ابن كثير، ،مصدر سابق ، ص 222–223 و ابن يحي البلاذري ، أنساب الأشراف ، مصدر سابق ، مج4 ، ج1 ، ص23–24.

[4]– واد السباع : موضع في طريق البصرة إلى المدينة، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1 ،ص65.

فجعلها مع أربعين امرأة يتقلدن السيوف والراجح أنه هو من عاد بها إلى المدينة حسب ما تقره بعض الروايات ،وقد جرت أحداث هذه المعركة في مكان يدعى الخريبة [1] في عشرة من جمادى الثاني لعام 36 هـ.

3.1. انعكاساتها:

انتهت معركة الجمل التي دارت بين الثلاثي الممثل في طلحة و الزبير وعائشة وأنصارهم والخليفة علي بن أبي طالب أشياعه مسفرة بذلك عن نتائج أهمها :

سقوط الآلاف من القتلى في صفوف الطرفين، اختلف في عددهم، فقيل أنهم عشر آلاف نصفهم من أصحاب علي والنصف الثاني من أنصار عائشة، [2] فيما ذكرت روايات أخرى أنهم بلغوا العشرة ألاف من أهل البصرة مقابل خمسة ألاف من أهل الكوفة، [3] هذا ولقد فقدت خلالها دولة صدر الإسلام كثيرا من خيرة أبنائها سواء من حفظة القرآن وقرائه الذين قتل منهم سبعون شيخا من بني عدي وحدهم، [4] أو من الصحابة الذين لم يحضرها منهم سوى عدد قليل، ومن بين هؤلاء محمد بن طلحة الذي شارك إلى جانب عائشة، ولعل أهم هؤلاء جميعا طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام اللذين لعبا دورا هاما في أحداث هذه الوقعة منذ خروجها إلى مكة وإلى غاية تراجعها وقتلهما. وعموما فقد كان النصر في هذه المعركة حليف علي وأتباعه.

عقب فراغه من المعركة عمد علي إلى أخذ البيعة من أهل البصرة الذين كانوا قد شاركوا في المعركة، وكذا حلفائهم في ذلك خصوصا من وقعوا في الأسر منهم، [5] ولما

---

[1] – الخريبة: موضع بالبصرة، ابن عبد الله الحموي، مصدر سابق، ج2، ص415.
[2] – ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5 ،ص 279.
[3] – نفسه، ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق ،مج (1–2) ،ج1 ،ص 42.
[4] – ابن سهل البلخي ،مصدر سابق ج2 ص 281.
[5] – ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق مج (1–2)، ج 1، ص 43.

كان له ذلك رأى أن يدعوا أهل الشام إلى مبايعته. ومن الجدير بالذكر أن عليا قام بإرسال ولاته على الأمصار الإسلامية.

ولعل أهم نتيجة لهذه الوقعة هو إتخاذها سبيلا للإيقاع بين الصحابة و الافتراء عليهم ومن ذلك تشبيه الخوارج لخروج ثلاثي الجمل على علي بخروجهم هم عليه فيما بعد، أما غلاة الشيعة فقد وصفوا هذه المعركة مشيرين بأصابع الاتهام إلى أصحاب الجمل، مستندين في ذلك إلى بدئهم القتال، [1] غير مراعين في اتهامهم الدوافع التي كانت وراء إقدامهم على ما أقدموا عليه، والتي حاكها قتلة عثمان المنضوين تحت لواء علي بن أبي طالب. ولقد أثبتت نتائج المعركة زيف ما ذهبوا إليه ،خاصة فيما يخص العداء بين ثلاثي الجمل وعلي، وعائشة منهم على وجه الخصوص، حيث اتفقت المصادر على أن موقف علي من مقتل طلحة والزبير ومحمد بن طلحة كان الصلاة عليهم و الاستغفار لهم وشهادته بأنهم من خيرة أبناء هذه الأمة، ولقد نفى علي حقده عليهم قائلا :<< **إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من أهل هذه الآية** : ونزعنا ما في صدورهم من غل>>،[2] وقوله لما وصله ندم عائشة على الخروج قائلا : << **والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة**>> ، وهو نفس قولها ردا على من قال لها : <<**أعقّ أم نعلم** >>، <<**والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة** >>. [3] ثم أن مجريات الوقعة أكدت صدق هذا حيث اتفقت الروايات على حماية علي لعائشة أثناء المعركة.[4]

---

[1] – تجمع المصادر أنهم إبتدؤوا القتال، ينظر ابن سهل البلخي ،مصدر سابق، ج2، ص 285.

[2] – ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق، مج(1–2) ،ج 1 ،ص34.

[3]– ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج5،ص 318.

[4] – تروي المصادر أن عليا أمر بعقر الجمل لإيقاف المعركة وحماية أم المؤمنين، ذلك أن تلك الأخيرة كانت هدفا من قبل الثائرين في جيشه ثم أمر أخاها محمد بإخراجها من ساحة المعركة ،ابن كثير البداية والنهاية، مصدر سابق، مج 4 ،ج1 ، ص 239،ابن داود الدينوري ،مصدر سابق، ص 216، وذكر أنه نادى قائلا : <<اعقروا الجمل فإنهم إن عقر تفرقوا>>، ابن الأثير مصدر سابق ج3 ص 251.

2. حتمية الصراع بين علي و معاوية: محدداته و تجلياته :

1.2. وقعة صفين:

لم تنته الفتن المنبثقة عن مقتل عثمان بانتهاء معركة الجمل، بل ما إن فرغ علي من تلك الأخيرة التي خرج منها منتصرا حتى دخل في صراع جديد مع الأمويين المطالبين بدم الخليفة المقتول وأنصارهم، وإذا كان أصحاب الجمل قد انطلقوا من مكة، فإن الفتنة هذه المرة اتخذت من بلاد الشام منطلقا لها والتي جاءت محتضنا لمناصري الأمويين.

وقد عرفت هذه الفتنة لدى المؤرخين المحدثين بالفتنة الكبرى كونها مثلت منعطفا هاما بالنسبة لتاريخ صدر الإسلام والتاريخ الإسلامي ككل وذلك اعتبارا بنتائجها الخطيرة ولعل منطلقها كان بما عرف بوقعة صفين.

بعد فراغه من معركة الجمل اتجه علي إلى الكوفة أين نزل بموقعة هناك تعرف بالرحبة [1] وما أن دخل الكوفة حتى أرسل عماله على الأمصار الإسلامية التي عزل عنها ولاتها، [2] ثم كتب إلى جرير بن عبد الله [3] يعزله عن ولاية همذان ويستقدمه عليه فما كان من هذا الأخير إلا أن أجابه لطلبه فلما أخذ منه البيعة بعثه رسولا إلى معاوية بكتاب يدعوه فيه إلى المبايعة والدخول في طاعته قائلا : << **أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على**

---

[1] – الرحبة: قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة، على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة، ابن عبد الله الحموي، مصدر سابق، ج3، ص37 .

[2] – من أهم ولاته: يزيد بن قيس الأرحبي على المدائن ،محمد بن سليم على الجبل وأصفهان و خليد بن كاس على خراسان ككل وكان ذلك عام 36هـ على أغلب الروايات ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 200 – 205 ، ابن داود الدينوري ، مصدر سابق ، ص 221.

[3] – جرير بن عبد الله البجلي : بن مالك ، و قيل ابن جابر بن سعد ،كنيته أبو عمرو ، وقيل ابو عبد الله اسلمك في السنة التي توفي فيها النبي ﷺ –12 هـ ، في رمضان – ،كان سيدا في قومه – شهد فتح المدائن سكن الكوفة عقب فتحها ثم غادرها إلى قرقيسيا أيام الثورة على عثمان و توفي بها ، ينظر ترجمته : ابن علي البغدادي ، مصدر سابق ، ج2 ،ص530 – 536 .

ما بويعوا عليه ،فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد... >>، [1] وبالمقابل كان أهل الشام قد اجتمعوا حول معاوية على المطالبة بدم عثمان من علي وذلك عقب مقدم النعمان بن بشير رسولا إليه من زوجة عثمان تذكره فيه بدخول القوم عليه واصفة له كيفية قتله وما فعله محمد بن أبي بكر من نتف لحيته، وأرسلت معه قميص عثمان مخضبا بالدم ممزقا وعقدت شعر لحيته في زر القميص ،فاستعطف هذا الأمر أهل الشام الذين استنكروا الأمر والتفوا حول معاوية قائلين له: << **هو أبن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون معك بدمه** >> ،ثم بايعوه أميرا عليهم لا خليفة، [2] فلما وصله كتاب علي استدعى عمرو بن العاص من فلسطين لاستشارته فلما قدم خاطبه قائلا : << **أيا عبد الله طرقتنا في هذه الأيام ثلاثة امور ليس فيها ورد ولا صدر** >> فلما سأله عنها أجابه بـــ: <<**فإما أولها ،فإن محمد بن أبي حذيفة كسر السجن وهرب نحو مصر فيمن كان معه من أصحابه وهو من أعدى الناس لنا، أما الثانية فإن قيصر الروم قد جمع الجنود ليخرج إلينا فيحاربنا على الشام، وأما الثالثة فإن جرير قدم رسولا لعلي بن أبي طالب يدعونا إلى البيعة له أو إيذان الحرب** >>، فما كان من عمرو إلا أن هوّن عليه الأمـــر قائلا : **<< فأما ابن أبي حذيفة فما يغمك من خروجه من سجنه في أصحابه، فأرسل في طلبه الخيل فإن قدرت عليه قدرت، وإن لم تقدر عليه لم يضرك أمره ، وأما قيصر فاكتب إليه تعلمه أنك تردّ عليه جميع من في يديك من أسارى الروم وتسأله الموادعة والمصالحة تجده سريع إلى ذلك راضيا بالعفو منك ، وأما علي بن أبي طالب فإن المسلمين لا يساوون بينك وبينه** >> [3]. وعلى الرغم من احتجاج معاوية على علي

---

[1] – ولقد وجدت فيها بعض الاختلافات بين المصادر ، فقيل : << **إن بيعتي لزمتك بالمدينة فليس للشاهد أن يختار**>>، ابن عبد ربه ،مصدر سابق ، ج2 ، ص 232 ، ابن داود الدينوري ، نفس المصدر السابق ، ص 226.

[2] – ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص 69،70.

[3]– ابن داود الدينوري ،مصدر سابق،ص 228_229، وروى نحوه:ابن مزاحم المنقري ،وقعة صفين ،تح: عبد السلام محمد هارون،ج1 ،دارالجيل،بيروت ،1990 ،ص 37 وتذ كر المصا در حوار ا طويلا بين معاوية وعمرو في هذا الشأن ،ينظر : ابن داود ،نفسه ،ص 228،نفسه،34_ 44 ،ويروي اليعقوبي أن عمرا ذكر معاوية بموقفه من حصار عثمان قائلا: <<...إن أحق الناس آلا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت>>، ثم يجيبه عن ذلك قائلا : <<أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد ابن أسد البجلي...وأما أنا فتركته عيانا ، وهربت إلى فلسطين ...>>، اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 186، ابن يحي البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص 74 .

بممالأته على قتل عثمان إلا أن عمرو أكد له عدم قدرته على الوقوف في وجهه قائلا: **<< إنـــه وإن كان كذلك فليست لك مثل سابقته وقرابته ، ولكن مالي إن شايعتك على أمرك حتى تنال ما تريد>>** [1] فقال **<<حكمك>>** فأشترط عليه حكم مصر قائلا : **<<اجعل لي مصر طعمت ما دامت لك ولاية >>** وعقب أتفاقهما رسا أمرهما على ضم شرحبيل ابن السمط الكندي [5] إلى صفهما حتى يستقيم الشام كله بما فيها حمص لمعاوية ، فلما كان لهما ذلك وتأكد لمعاوية أن الشام كلها تسير بأمره ، وجاء جرير بكتاب لحقه من قبل علي جاء فيه : **<< أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم محظية >>** ، ولما وصله أمر على رد قائلا : **<< الْحق بصاحبك وأعلمه أني وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعة >>** [2]، ولما وصله رد معاوية أرسل إليه يتبرأ له من دم عثمان ويذكره بفضل قرابته للنبي ﷺ ، [3] وعقب مجموعة من المراسلات بين الطرفين انتهى الأمر إلى إعلان الحرب ، أخذ كل من الطرفين يجهز جيشه لخوضها ويلف حوله الأنصار ، ومن ذلك مراسلات معاوية إلى كل من سعد بن أبي وقاص وكذا عبد الله بن عمرو وغيرهما ، فأجابه قلة منهم و التزم أغلب الصحابة موقف الحياد [4] ولما تجهز كل من علي ومعاوية للقتال خرج الأول يريد الشام لمحاربة معاوية فقصد الكوفة بعد كان قد عسكر بالنخيلة أين انضم إليه عبد الله بن

---

[1] – أورده ابن داود الدينوري ، نفس المصدر السابق، ص229 ، فيما ذكر بعضهم أنه قال : << **مالك هجرته و لا سابقته،ولا صحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه ... والله إن له من ذلك حدا وجدًّا**>>، ابن مزاحم المنقري ، نفس المصدر السابق، ج1، ص38، ابن يحي البلاذري، أنساب الأشراف، ص100، وروى بعضهم أنه قال : << لا، لعمر الله لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك... >>، اليعقوبي مصدر سابق، ج2، ص68، ابن يحي البلاذري، نفس المصدر السابق، ص100.

[2] – ابن مزاحم المنقري ، نفس المصدر السابق،ج1،ص 55–56.

[3]– << **...وأما ما ذكرت من عثمان وتأليبي الناس عليه ، فإن عثمان وضع ما رأيت فركب الناس منه ما قد علمت، وأنا بمعزل عن ذلك إلا أن تتجن فتجن ما بدا لك** >>، ابن يحي البلاذري ، نفس المصدر السابق ،ص 995، ويذكر أحمد الطبري، أن عليا قال: << والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت >>، أحمد الطبري، مصدر سابق ،ص 327.

[4] – أما سعد بن أبي وقاص فاعتزل الفتنة ورفض طلب معاوية هو ومحمد بن مسلمة فيما انظم إليه ابن عمر ،مع بسر بن أبي أرطأة، ابن حسن البغدادي، المحير، تر:ابن الحسن السكري ،مركز المطبوعات الجامعية، بيروت، (د ت ن)، ص 293.

عباس [1] الذي نادى في أهل الكوفة يستنفرهم لقتال أهل الشام، فخرج معه منهم نحو تسعون ألف رجل، ومن المدائن اتخذ طريقه نحو بلاد الشام عابرا الفرات، [2] وما إن بلغ خبر خروجه مسامع معاوية حتى أمر عمرا باستنفار الشاميين الذي فيهم قائلا: **<< إن أهل البصرة مخالفون لعلي ،وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة فالله الله في حقكم أن تضيعوه>>** ، وبهذا عقدت الألوية لأهل الشام كما عقدها علي لأهل الكوفة، وخرج معاوية في ثمانين ألفا حتى إذا بلغ موضعا يقال له صفين[3] نزل به وسبق عليا إلى شريعة الماء عند الفرات أين أمر أنصاره بمنع مائها على أصحاب علي قائلا :لا تسقوا أصحاب علي الماء كما منعوه أمير المؤمنين عثمان.[4]

أما عن سير المعركة فكانت بدايتها مع خروج نفر جيش علي يتقدمهم شريح بن هانئ وزياد بن النضر الحارثي في نحو من تسعة ألاف مقاتل، [5] فلما لقيهما أبو الأعور السلمي في نفر من جيش الشام أرسلا إلى علي يخبرانه فبعث الأشتر أميرا عليهم وأمرهم بموادعة القوم وألاّ يبادئوهم بالقتال، وعن حال الطرفين يقـــول ابن مزاحـــم : " **فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة، ثم اقتتلوا... أهل الشام انصرفوا** "،[6] ولما كان الغد خرج هاشم بن عتبة [7] في عدد من الجند فخرج إليهم أو الأعور فاقتتلوا طويلا ثم انصرفوا مخلفين وراءهم عددا من القتلى، ولما حل الصباح من اليوم الموالي سار علي فيمن كان بحوزته

---

[1] – عبد الله بن عباس : ابن عبد المطلب بن هاشم، أمه لبابة بنت الحاث، بن بجير الهلالية أخت ميمونة زوج النبيﷺ، ولد بمكة في شعب بني هاشم،قبل الهجرة بثلاث سنين، توفي عام 68هـــ .

[2] ابن الجوزي ،المنتظم ،مصدر سابق ،ص 696 ، ابن العماد الحنبلي ، مصدرسابق، مج1 ،ج1، ص 44–45 .

[3] – صفين : بكسر أوله وثانيه تشديد ؛ موضع قرب الرق، على شاطئ الفرات من غربها، وقيل: بين الرقة وبالس أو فوق بالس بمقدار نصف مرحلة، وهما غربي الفرات، أن الرقة فشرقه حسب، ابن عبد الحق البغدادي، مصدر سابق، ج2، ص846،

[4] – ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ،مصدر سابق ،ص 199–205 ،ابن مزاحم، نفس المصدر السابق، ج2 ،ص 166–167. ينظر مجريات صفين : ملحق رقم 04 ، ص 132.

[5]– ابن الجوزي ،المنتظم ،المصدر السابق ص 67.

[6] – ابن مزاحم ،مصدر سابق ج3،ص 165،وكان ذلك عام 37 هـــ ،ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق ،مج1،ج1 ص 44.

[7] – هاشم بن عتبة : ابن المرقال ابن أخ سعد بن أبي وقاص، أسلم يوم فتح مكة، حضر القادسية، ينظر ترجمته: ابن علي البغدادي، مصدر سابق، ج2، ص196–197 .

من أهل العراق فسار إليه معاوية فيمن انضم إليه من الشاميين، وجعل على مقدمته أبو الأعور فيما جعلها علي للأشتر، [1] فسار القوم حتى إذا نزلوا قنسارين [2] إلى جنب صفين، وفي هذه الأثناء كان أبو الأعور قد غلب على الشريعة [3] التي عسكر بها ومنع أصحاب علي الماء فأرسل إليه الأخير يطلب منه أن يخلي بين الناس وبين الماء، ورغم محاولة عمرو رده عن ذلك قائلا : << **خل بين القوم وبين الماء فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان و لكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينه** >>،إلا أن اقتراح ابن أبي سرح عليه بقوله : << **امنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا** >>، إلى جانب ضغط الأمويين عليه بأن يمنعهم إياه كما منعوه عثمانا أربعين يوما جعل كل ذلك معاوية يميل إلى رأيهم. ولقد كان القتال طيلة هذه المدة على الماء حتى كانت الغلبة للكوفيين الذين دحروا عنه الشاميين وأمر علي ألا يمنعوهم منه، توادع القوم تم تراسل الفريقان شهري ربيع الثاني وجمادى الأولى، [4] وما أن انقضت هذه الأخيرة حتى عادا إلى القتال الذي كانت تخرج إليه في كل يوم جماعة منهما، ثم عادا إلى الموادعة مدة الأشهر الحرم، التي تخللتها مجموعة من المراسلات بين الطرفين طلبا للصلح ومما جاء في أحدها من جانب علي ما أرسله مع عدي بن حاتم [5] إلى معاوية قائلا : << **أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا...فانته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل** >> ، ومن أمثلة ردود معاوية قوله لأحد رسل علي : << **فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي دعوتم إليها، فنعما هي. وأما الطاعة لا صاحبكم فإنا لا نراها. إن صاحبكم قتل خليفتنا.....** >>. وبهذا انقضت الأشهر الحرم دون التوصل إلى

---

[1] – ابن سهل البلخي ،مصدر سابق ،ج2،ص 224،ابن سعد ،الطبقات الكبرى ،مصدر سابق، مج3،ص 32،ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق، ص 44–45.

[2] – قنصارين:

[3] – الشريعة : موضع الماء أو بئر الماء .

[4] – ابن مزاحم المنقري ،نفس المرجع السابق ،ج3 ،ص 166 –171، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،نهج البلاغة ،جم :الشريف الرضي ،ج1،مؤسسة المعارف ،بيروت ،1996 ،ص 96–99.

[5] – عدي بن حاتم الطائي : ابن عبد الله، يكنى أبو طريف ويقال أبو وهب، كانر قبل اسلامه نصرانيا، أسلم بعد الهجرة، وكان ممن ثبتوا أيام الردةّ، شهد فتح الدائن، والجمل وصفين إلى جانب علي، توفي بالكوفة، ابن علي البغدادي، نصدر سابق، ج2، ص189–190 .

الصلح فخرج علي مخاطبا أنصار معاوية بقوله : << **إن أمسكنا لتنصرم الأشهر الحرم، وقد انصرمت وإنا ننبذ إليكم من سواء، إن الله لا يحب الخائنين** >>، [1] وبهذه الكلمات أعلنت الحرب عن اشتعالها من جديد فعقدت لها الألوية وتأهبت لخوضها الجيوش، فكانت بدايتها بمبارزة جحل بن آثال المقنع لوالده الذي كان في صف معاوية، وانتهت بتراجعهما وبذلك فتحت أبواب الحرب التي كانت في شكل سلسلة من المبارزات التي كان يخرج إليها طرفان من الجيشين كل يوم، وفي اليوم مرتين أحيانا، ومن أمثلة هؤلاء نزال ابن الحنفية[2] لابن عمر التي لم تحسم الأمر لصالح أي منهما، وكذا نزال عمار بن ياسر لعمرو ابن العاص الذي كانت نتيجته كسابقه وغيرها من النزالات، وبقي الأمر على هذا النحو حتى أعلن علي خروجه لقتال أهل الشام بكل من معه، فلما وصل الخبر مسامع معاوية أرسل هو الآخر كل من معه بعدما حرضهم على القتال، وفي الوقت الذي خرج فيه علي مع جيشه إلى سرادق معاوية فر هذا الأخير بإشارة من عمرو الذي رأى أنه لا مخرج من هذا الموقف الحرج الذي يمر به جيش الشام غير اللجوء إلى الحيلة، إذ قال لمعاوية في هذا الصدد : << **إني أعددت بحيلتي أمرا أخرته إلى هذا اليوم، فإن قبلوه اختلفوا، وإن ردوه تفرقوا** >>، فلما سأله عنها أجاب: <<**ندعوهم إلى كتاب الله حكما بيننا وبينهم....**>>، وبالفعل أمر عمرو برفعها قائلا: << **اربطوا المصاحف على أطراف القنا** >>[3]، فلما فعلوا ورآهم جيش علي اضطرب أمره، وعلى الرغم من محاولته إقناعهم بأنها خدعة إلا أنهم تفرقوا. وأذعن علي لقبول التحكيم بعدما حاول رفضه قائلا: << **ما الكتاب تريدون ولكن المكر تحاولون** >> [4] .

---

[1] – ابن داود الدينوري، مصدر سابق، ص251–252، ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ص95–96 .

[2] – ابن الحنيفة : محمد الأكبر بن علي بن ابي طالب، أمه الحنفية بنت جعفربن قيس بن مسلمة، من بني بكر بن وائل، كانت من سبي اليمامة وقيل سندية سوداء، أمة لبني حنيفة، يكنى أبو القاسم، كان كثير العلم ورعا، توفي عام 81هـ ، ينظر ترجمته : ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج5، ص91–116 .

[3] – القنا : يقصد بها السيوف

[4] – اختلفت روايات المصادر في سبب إشارة عمرو برفع المصاحف فاعتبرها بعضها حيلة واعتبرتها أخرى حلا ،ينظر :ابن داود الدينوري ،مصدر سابق، ص 280 ،ابن سعد ،الطبقات ،نفس المصدر السابق ،مج 3 ،ص 32–33 ،ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق ،مج (1–2) ،ج 1 ،ص 46.وسمي ذلك اليوم بيوم الهرير، نفسه ، نفسه، نفسه.

2.2.التحكيم بين الطرفين: البحث عن المخرج:

أسفر رفع أهل الشام للمصاحف عن حدوث اضطراب داخل جيش علي الذي انقسم الرأي فيه بين راغب في مواصلة القتال ورافض له ، [1] و نادى علي في جيشه قائلا <<**عباد الله امضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ... ما رفعوها إلا خديعة (المصاحف) ومكيدة** >>، فيما نادى رافعوا المصاحف : <<**هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم** >> ، أما أهل العراق فقد اختلفوا فقال بعضهم : <<**نحاكمهم إلى كتاب الله** >> ،فيما قال آخرون : <<لا نحاكمهم لأنا على يقين من أمرنا ، ولسنا على شك >> . [2] ولأن الناس كما قال معاوية : << قد ملوا هذه الحرب >> [3] فقد رسا رأي العراقيين على قبول الصلح الذي رضي به بعضهم مكرها ويمثلهم جماعة من قراء الكوفة ، ولما استقر أمر الجميع على موادعة القوم و الاحتكام إلى ما نادي به الشاميون من إرسال حكم من كل فريق ، اجتمع رأي العراقيين على اختيار أبي موسى الأشعري، [4] فيما اختار لها معاوية عمرو بن العاص، ثم اختاروا شهودا من الفريقين ومن بين من مثلهم من العراقيين شريح بن هانئ، ابن عباس ،عدي بن حاتم ، فيما اختار الشاميون نفرا على رأسهم أبو الأعور السلمي ،عبد الرحمن بن خالد، النعمان بن بشير [5] ، ولقد جاء ذلك عقب انطلاق جملة من المراسلات بين الطرفين في شان الصلح كانت بدايتها برسالة بعث بها معاوية إلى علي يدعوه فيها إلى قبول التحكيم قائلا : << **إن الأمر قد طال بيننا وبينكم ، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب ، فهل لك في أمر لنا و لك فيه حياة وصلاح للأمة وحقن للدماء، أن يحكم بيننا وبينكم حكمان رضيان أحدهما من أصحابي و الآخر**

---

[1] – ابن بحر الجاحظ ،العثمانية ،مصدر سابق ص 294.

[2] – ابن كثير ،البداية والنهاية ،مصدر سابق ،مج4 ،ج1 ،ص 166،ابن عبد ربه ،مصدر سابق ،مج 4 ،ص 346.

[3]– ابن قتيبة ،الإمامة و السياسة ،مصدر سابق ،ج1 ،ص 104.

[4] – وروي أن ابن عباس عرض نفسه على علي في التحكيم فرفض واختار أبا الأسود الدؤلي حكما فرفضه اليمنيون قائلين : <<**يا أمير المؤمنين ،هذا أبو موسى...يثق أهل العراق وأهل الشام بتقيته**>> ، ابن قتيبة ، نفس المصدر السابق ،ج1،ص 105.

[5]– وذكر بعضهم سعد بن أبي وقاص ،ابن كثير ،نفس المصدر السابق ،مج4،ج1،ص 274–275،ابن قتيبة نفسه ج1،ص 109.

من أصحابك فيحكمان بما في كتب الله بيننا فإنه خير لي وللك >>، فما كان منه إلا أن أجابه قائلا: <<**وقد أجبنا القران إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا** >> ،أخذ هذا الأخير يراسل عمرا محذرا إياه من الالتجاء إلى الحيلة ، ومما جاء في إحدى رسائله إليـــــه: <<**فلا تحبط أبا عبد الله أجرك ولا تجار معاوية في باطله** >> [1] ، ولما استقر أمر الطرفين على التحكيم اتفقا على كتابة وثيقة بينهما نعتتها المصادر التاريخية بوثيقة التحكيم. [2] ولأن معاوية أنكر اعترافه بإمرة المؤمنين لعلي قائلا : << **بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته** >>، رأى علي التنازل عنها أثناء كتابة الوثيقة [3] ، ولقد رسا الخلاف على كتابة الصحيفة التي حوت تعهد الطرفين باحترام الصلح والرضا بما قضى به الحكمان من الكتاب والسنة . وعقب الفراغ من كتابتها اتفق القوم على الالتقاء في شهر شعبان بموضع يقال له دومة الجندل [4] ، وقفل علي راجعا إلى الكوفة التي ما إن وصلها حتى اعتزلته فرقة من جيشه ، بين الست و الإثني عشر رجلا من الكوفة محتجين عليه بقبوله التحكيم وتنازله عن صفة إمرة المؤمنين في وثيقة التحكيم، فما كان منه إلا أن أرسل إليهم ابن عباس يناظرهم فيما رأوه شبهة فرجع بعضهم فيما ثبت الباقون على رأيهم ، ثم خرج يناظرهم بنفسه محتجا فيما أخذوه عليه في الأولى قائلا: <<**يقول الله تعالي في كتابه في امرأة رجل أن "خفتم شقاق بينها فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريد أصلاحا يوفق الله بينهما فأمة محمد أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل**>>، فيما استدل في الثانية بتنازل الرسول الكريم عن اسم النبوة في صلح الحديبية ، وقد أورد الطبري أن عليا خرج بنفسه إلى البقية لمناظرتهم فلم يزل بهم حتى ردهم معه

---

[1] ينظر جملة المراسلات بين أطراف التحكيم ،ابن مزاحم ،مصدر سابق ج8،ص 493–498 ، ووردت بشيء من الاختلافات في مضامينها ،ابن داود الدينوي ،مصدر سابق ص 284–285.

[2]– ابن مزاحم ،نفس المصدر السابق ،ج8،ص 510 ،ابن الجوزي ،المنتظم ،مصرسابق ،ص 698،ابن اسماعيل الأشعري ،مقالات الإسلاميين ،مصدر سابق ،ج1،ص 14.

[3] – وجاء الأحنف بن قيس قائلا : << **لا تمح اسم إمرة المؤمنين ، فإني أتخوف أن محوتها ألا ترجع اليك أبدا...**>>، لكن عليا احتج بعمل الرسول الله ﷺ في صلح الحديبية عندما اشترط عليه سهيل بن عمرو محو اسم النبوة لكن رغم من ذلك فقد جعلوها حجة عليه ،ابن مزاحم ،نفس المصدر السابق ،ج8 ،ص 508.

[4] – دومة الجندل : بأذرح ،حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء ،ابن قتيبة ،الإمامة و السياسة ، مصدر سابق ،ج1 ،ص 106 ،وقيل أنهم اجتمعوا في رمضان ، لكن أغلب الروايات تقر بأن اجتماعهم كان في شعبان ،ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق ،مج (1–2) ،ج1 ،ص 45 ،ابن كثير البداية والنهاية ،مصدر سابق ،مج4 ،ج1،ص 272.

إلى الكوفة لكنهم أخذوا يتأولون له القرآن ويحذرونه قبول تحكيم الرجلين قائلين : <<**لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين**>> [1] .

أما عن أمر اجتماع الحكمين فقد انطلقت في شأنه جملة من المناظرات بينهما، دارت مجملها حول إيجاد طريقة للقضاء على الفتنة والتوصل إلى حل يرضي الطرفين، و لأنهم عرفوا عن عمرو الدهاء فقد حاولوا ثنيه على الإقدام عن أي أمر من شأنه إبطال الصلح إذ نصحه أحدهم قائلا : << **يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقارعت بالسيوف، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها** >> .[2] ولما طال الأمر بينهما دون التوصل إلى حل نتيجة لتمسك كل طرف برأيه و إيباء طرح الثاني إذ أبى عمرو قبول رأي أبي موسى في جعلها لعبد الله بن عمر، فيما أبى عليه هذا الأخير تقديمه معاوية كما رفض ابنه عبد الله [3] وأمام تشبث كل منهما برأيه أقبل سعيد بن قيس [4] منكرا عليهما ذلك بقوله : << **أيها الرجلان : إني أراكما قد أبطأتما بهذا الأمر حتى أيس القوم منكما فإن كنتما اجتمعتما على خير فأظهاره، نسمعه ونشهد عليه وإن كنتما لم تجتمعا رجعنا إلى الحرب** >> ،[5] فلما تأكد لهما أن الناس قد تذمروا استقر أمرهما على خلع علي ومعاوية ثم جعل الأمر شورى بين المسلمين ، وتذهب بعض المصادر إلى أن عمر أظهر تثبيته لصاحبه منذ البداية ،وعلى الرغم من اختلاف الروايات في سرد وقائع التحكيم إلا أنها اتفقت على تقديم عمرو لأبي موسى في الكلام عند خروجهما إلى الناس للإعلان عما قد توصلا إليه ، فقام أبو موسى قائلا : <<**يا أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئا أصلح لأمرها و ألم لشملها من ألا تتباين أمورها ، وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي عمرو على خلع علي ومعاوية وأن نستقبل هذا الأمر فيكون شورى**

---

[1] – ابن كثير نفسه ،مج 4،ج1 ،ص 272–273.

[2] – ذكرها ابن كثير على أنها مقولة عبد الله بن الزبير ،البداية و النهاية ،مصدر سابق ،مج4،ج1،ص 296،فيما ذهب غيره الى نسبها لأبي موسى الأشعري ، ابن داود ،مصدر سابق ، ص 297،وذكرها بصيغة الجمع – أي أن أبا موسى قصد نفسه وعمرو.

[3] – نفسه ، نفسه.

[4] – سعيد بن قيس.

[5] – ابن قتيبة ،الإمامة و السياسة ،مصدر سابق ،ج1 ،ص 111.

بين المسلمين فيولون أمورهم من أحبوا وأني قد خلعت عليا و معاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا من رأيتم لها أهلا... >>. يقول ابن مزاحم :" فلما تنحى وقعد قام عمرو ابن العاص مقامه فقال: << **إن هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلعه كلما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه** >>، عندئذ تأكد لأبي موسى أن عمرا إنما أراد مناورته فنجح ، وانتهى أمر الحكمين بافتراقهما على الاختلاف. وأمام نقمة الكوفيين عليه رأى أبو موسى أن ينزل بمكة فيما انصرف عمرو إلى معاوية الذي سلم عليه بالخلافة[1].

ومجمل القول أن مسألة التحكيم بدلا من أن تضع حدا للفتنة بين أهل الشام والعراقيين، فتحت بنتائجها بابا لفتنة أشد وأخطر على المسلمين عموما والعراقيين بصفة خاصة ، إذ بمجرد وصول خبر نتائج التحكيم إلى مسامعهم حتى أفصح الخوارج عن توجههم الرامي إلى الخروج على علي وتكفيره محتجين في ذلك بقولهم : <<**يا على أشركت في دين الله الرجال، ولا حكم إلا لله** >> ،وطالبوه بالتوبة قائلين : << **تب من خطيئتك واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتله** >>. وأمام رفضه مطالبهم قائلا : <<**ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي، وقد تقدمت إليكم بما كان منه ونهيتكم عنه** [2] ،عزم الخوارج على قتاله ،واستعداد لذلك أخذوا يراسلون الناقمين على نتائج التحكيم لضمهم إليهم، وفي إطار استعداداتهم تلك أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، [3] الذي خرج بهم إلى النهروان، [4] أين وافاهم أتباعهم البصريين ، في حين قام علي على يستحث الناس على القيام إلى أهل الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم بموفقه من نتائج التحكيم وعزمه على قتال الشاميين محاولا إقناعهم بالسير معه إليهم . وأمام خذلانهم إياه قرر الخروج

---

[1]– ينظر ابن مزاحم ،مصدر سابق ،ج8،ص 545،ابن داود الدينوري، مصدر سابق ،ص 298.

[2] – ابن كثير ،البداية والنهاية ،مصدر سابق ،مج4،ج1،ص 277.

[3] – عبد الله بن وهب الراسبي :مولى لقريش ،كثير العلم ،وكان مدلس ،ينظر: ابن سعد،الطبقات الكبرى ،مصدر سابق،ج7ص518 .

[4] – النهروان :هي كورة واسعة بين بغداد وواسط ،من الجانب الشرقي ،حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة ،وقيل هي ثلاثة نهروانات :الأعلى ،الأوسط ،والأسفل ،ابن عبد الله الحموي ،مصدر سابق ،ج5 ص 325.

إلى الشام من دونهم فعبر الجسر قاصدا إياها ، حتى إذا عبر المدائن وصله خبر الخوارج الذين عاثوا في الأرض فسادا وقتلوا عبد الله بن خباب [1] ، فأرسل إليهم يطالبهم بتسليم القتلة، فرفضوا وتأهبوا لقتاله، و رغم محاولاته لردهم ووعظهم إلا أنهم أصروا على موقفهم .وبذلك انشغل علي بقتالهم عن أهل الشام فيما عرف بمعركة النهروان[2] التي كانت آخر معاركه ، إذ ما لبث أن فرغ من قتالهم حتى نزل النخيلة[3]، يريد استجماع قوى جيشه للخروج إلى معاوية فما كان من أتباعه إلا أن قفلوا راجعين إلى الكوفة التي تسللوا إليها تاركين عليا ولم يبق معه منهم سوى نفر قليل ومن ذلك الحين انشغل علي بمناظرتهم في محاولة منه لثنيهم على عزمهم في اعتزاله، [4] واستمر الأمر على هذا النحو إلى حين تدبيرهم مكيدة اغتياله.

إن مجريات التحكيم وخروج الخوارج على علي أمر يكتنفه كثير من الغموض ،فما هي أسباب لجوء الشاميين إلى هذا الحل وإلى أي مدى ساهم في ظهور الخوارج؟.

لقد ذهب المؤرخون إلى اعتبار مسألة التحكيم أكثر أهمية من معركة صفين في حد ذاتها وذلك اعتبارا بنتائجها، ولقد ذهب كثير منهم إلى اعتبار رفع المصاحف خطة منظمة ومكيدة دبرها عمرو، بإشارة من معاوية لما تأكد له أن جيشه قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة، [5] لكن بالمقابل يمكن تفسيرها على أنها محاولة لوضع حد للصراع الذي تأكد للقوم أنه لا طائل منه بعدما يئس كل منهما من تنازل الثاني عن رأيه حقنا للدماء، ويمكن الاستناد في ذلك إلى ما تورده بعض الروايات من أن التفكير في إيجاد حل لإنهاء القتال انطلق من صفوف علي ،إذ ذكروا أن الأشعث بن قيس– من صفوف علي– نادى في

---

[1] – عبد الله بن خباب :بن الأرت بن جندلة ،وهو مولى أن أنمار بنت سباع الخزاعية ،ولد في زمان الرسول ﷺ،كان صالحا ،عابدا ،ينظر ترجمته ،ابن علي البغدادي ،تاريخ بغداد ،مصدر سابق ،ج1 ،ص 205.

[2] معركة النهروان : كانت سنة 38 هـ .

[3] – النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام ،ينظر ابن عبد الله الحموي ،مصدر سابق ،ج5 ص 322–323.

[4] – ابن طاهر البغدادي ، الفصل في الملل والنحل ، تح:البير نصري نادر ،دار المشرق بيروت ،1986 ، ص 62،ابن العماد الحنبلي ،مصدر سابق ،مج (1–2) ج1،ص 46،ابن قتيبة ،الإمامة مصدر سابق ،ج1 ص 120–121.

[5] – ابن مزاحم ،مصدر سابق ،ج7 ،ص 481،اليعقوبي ، مصدر سابق،ج2 ص 188.

قومه محذرا أياهم من مواصلة القتال بقوله : <<...**قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي وما قد فني فيه من العرب...إنا إن نحن توافقنا غدا إنه لفناء العرب**>> ،فلما سمع معاوية كلامه قال : << **صدق الأشعث ،لئن التقينا غدا لتملين الروم على ذراري أهل الشام، و ليميلنّ دهاقين فارس على ذراري أهل العراق...اربطوا المصاحف على أطراف السيوف** >> ،[1] ومنه يمكن الذهاب إلى تخوف العرب من عواقب الحرب ، ولأن الشامين كانوا الأكثر عرضة للقتل فقد كانوا الأكثر ميلا إلى السلم.

هذا ولقد اكتنف الغموض اجتماع الحكمين ، إذ نجد المصادر تركز دراستها للقضية على ما وصفته بمخادعة عمرو لأبي موسى الذي وصفته بضعيف الرأي، في حين تصور الأول على أنه الداهية المحتال، [2] وفي هذا الأمر مبالغة ذلك أن أبا موسى لم يكن كذلك حسب ما تبينه الأحداث ، إذ تولى القضاء لعمر وكان ناجحا [3]، وهذه المهمة تحتاج إلى ذي عقل وحكمة فلو كان كما وصف في التحكيم لما ولاه عمر أكثر المهام حساسية ، لكن ذلك لا يعني أنه معصوم عن الخطأ ، ثم أن ما أوردته الروايات من اتفاق الحكمين على خلع معاوية وهو ليس بالخليفة، إذ لم يرد ما يدل على مبايعته بالخلافة قبل هذه الحادثة ، بل أكدت الروايات أن أهل الشام بايعوه أميرا لا خليفة فلو كان بويع خليفة لظهر ذلك في رسائله إلى علي ، إذ لم يرد لقب الخليفة مقترنا باسمه فيها ، كما أن ما أوردته بعض الروايات من قول عمرو: <<**كتبت معاوية في الأمر**>>[4]، فعلى أي أساس ثبته ، فهو ليس بخليفة؟ كما يستوحى من المقولة، وإن افترضنا تثبيته إياه على الإمارة فإن من الجدير تسمية خليفة للمسلمين مادام صاحبه واليا على الشام فقط، ثم كيف يسميان ابن عمر وغيره ،ويغفلون على سعد الذي كان من معتزلي الفتنة، وهو أحد أطراف الشورى و ثم

---

[1]– ولقد اختلفت الروايات في سرد قضية التحكيم و مجرياتها ، وكذا الهدف منها لكن جلها أكدت ، انها كانت باقتراح من عمرو بن العاص ، لكن هذا لا يمنع من قبول الرواية التي عرضناها في المتن والتي عرضها ابن داود الدينوري ،مصدر سابق ،ص 280.

[2] – ووصفت بمهزلة التحكيم عند ابن اسماعيل الأشعري ،مقالات الاسلامين ،مصدر سابق ،ج1 ص 17.

[3] – ابن العربي ، مصدر سابق ص 118.

[4] – ابن مزاحم ،مصدر سابق ،ج8 ،ص 491،ابن كثير ،البداية والنهاية ،مصدر سابق ،مج 4،ج1،ص 266.

إن الروايات ركزت في طرحها على ما أسمته بمصانعة عمرو لأبي موسى وغيبت الحديث عن السبب الحقيقي الذي من أجله اشتعلت الحرب ،وهو قتلة عثمان بل صورت التحكيم وكأنه صراع على الخلافة.

أما عن أسباب خروج معاوية على علي في هذه المعركة التي تعتبر بمجرياتها ونتائجها من أعقد قضايا تاريخ صدر الإسلام ، فقد شغلت أسبابها أذهان المؤرخين القدامى منهم والمحدثين حول الدوافع الحقيقية التي كانت وراء خروج معاوية على علي، فراحوا يحاولون إيجاد تفاسير لها، ولقد تضاربت آرائهم التي تحكمت النزعة المذهبية لهم في كثير منها، ولعل أهم الأسباب التي طرحوها تتمثل في:

-طمع معاوية في الخلافة، وسعيه لنيلها :إذ أرجع كثير من المؤرخين سبب رفض معاوية لمبايعة علي إلى طمعه في الخلافة [1]، يقول أحدهم في ذلك: "رفض معاوية بن أبي سفيان مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالخلافة،... وكان هدفه حكم بلاد الشام مستقلا ثم الحصول على الخلافة نفسها... ". [2] وعلى الرغم من أن كثيرا منهم لم يفصح على هذا الرأي علنا إلا أننا نلمسه في ذهابهم إلى وصف مطالبته بدم الخليفة المقتول بالمؤامرة المحاكة بين عمرو ومعاوية،واستدلوا في ذلك بحجج عدة، أهمها لجوؤه إلى ما وصفه البعض بمهزلة التحكيم، [3] مؤكدين أن معاوية دبر الخطة مع عمرو حتى يستقيم له الأمر، [4] كما استدلوا باغتنامه فرصة انشغال علي بقتال الخوارج ليفرق جيشه بالأمصار قصد الاستيلاء عليها وضمها إلى صفه، ومثال ذلك استيلاءه على مصر على يد عمرو بن العاص،[5] ولعل أهم ما استندوا عليه، تأخره في المطالبة بدم عثمان إلى حين إرسال علي لعماله على الأمصار، وعزله ولاة سابقه عليها، والذين من بينهم معاوية الذي

---

[1] – قصي الحسين ،موسوعة التاريخ الإسلامي ،الحضارة العربية ،العصر الإسلامي ،ج3،ص 222.
[2] – نفسه،ص 222–223.
[3] – اوردها بالحرف الواحد ،ابن إسماعيل الأشعري ،مقالات الإسلاميين ،مصدر سابق ،ج1 ،ص 13.
[4]– لقد وصفت بالمؤامرة والخديعة ،ابن داود الدينوري ،مصدر سابق ،ص 295،ابن مزاحم المنقري ،مصدر سابق ،ج8،ص 544،مصالحة عمرو لأبي موسى.
[5] – محمد عبد الجابري ،مرجع سابق ،ص 123 ،قصي الحسين ،نفسه المرجع السابق ،ص 224.

نصحه في شأنه المغيرة بن شعبة بإقراره على الشام قائلا: << **لا أرى أن تنزع ملك معاوية فإنه الآن يتهمكم بقتل ابن عمه ،وإن عزلته قاتلك فوله وأطعني** >>، لكن عليا مال إلى رأى أبن عباس الذي أشار عليه بعزله.[1]

ولقد أكدت مصادر أخرى هذا الزعم، إذ أورد بعضهم أن الركبان ضربت إلى الشام بنعي عثمان وتحريض معاوية على الطلب بدمه، ومثال ذلك ما رواه ابن داود الدينوي من أن أحدهم دخل عليه يحرضه يقول:

إن بني عمـــــك عبد المطلــب هم قتلوا شيخكم غيــر الكذب

وأنت أولى الناس بالوثب، فثب وسر مسير المحزئل[2] المتلئب[3]

أما أصحاب الرأي الثالث فقد أرجعوها إلى تجدد وعودة الصراع القبلي بين بني هاشم وبني أمية ومن أنصار هذا الرأي؛ المقريزي الذي عاد بجذور الصراع إلى العصر الجاهلي، ولقد طرحها ذلك الأخير بشيء من التحيز لبني هاشم إذ أنكر استحقاق بني أميه بالخلافة محتجا في ذلك بأسبقية الهاشميين بالإسلام من جهة، وجور الأمويين الذين ناصبوا العداء لني عمومتهم الهاشميين منذ أيام هاشم وأمية من جهة أخرى، بل ذهب إلى رد عدائهم للنبي على أنه امتداد لحقدهم وحسدهم لبني هاشم [4]، في حين فسرها ابن خلدون بتحكم العصبية التي اصطلح عليها علي سعد الله بالعصبية القبلية. يقول في ذلك : << **لما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية...** >>، لكنه نفى أن تكون وراءها –الفتنة بينهما– أسباب دنيوية، إذ يقول في ذلك: << **كان طريقهم فيها الحق و الاجتهاد، ولم يكونوا في محاربتهم، لغرض دنيوي، أو لإيثار الباطل أو لاستشعار**

---

[1]– ابن عبد ربه ،مصدر سابق ،مج4 ،ص 336،ابن يحي البلاذري ،مصدر سابق، ص 937.

[2] – المعزئل المرتفع،ابن منظور،مصدر سابق،ج5،ص250.

[3] – أوردها ابن داود الدينوري بلفظها ومعناها ،مصدر سابق ،ص 224،وذكر ابن مزاحم" واغضب معاوي للإله وأحتسب"، ابن مزاحم ،مصدر سابق ،ج1،ص 54، وأوردها ابن أبي حديد بشيء من التغيير في البيت الثاني **وسر بنا سير الجري المتلئب * وانهض بأهل الشام ترشد وتصب**
ابن حديد ،مصدر سابق ،ج1،ص 255.

[4] – ابن علي المقريزي ،النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، مطابع سجل العرب ،(د ب ن)، (د ت ن)،ص 32–39.

حقد>>، لكن يبدو أن العصبية التي طرحها ابن خلدون تختلف عن تلك التي طرحها سابقه، وربما قصد بها تعصب كل من الطرفين وإصراره على رأيه على أساس اقتناع كل بأنه على صواب.[1]

أما من جانب علي فقد اتفقت المصادر على أن دافعه في خوض الحرب ضد معاوية وأنصاره يتمثل في ردعهم باعتبارهم متمردين عليه، وضرورة إدخالهم في طاعته ويتجلى ذلك في قوله : << **قاتلت الناكثين وهؤلاء القاسطون و سأقاتل المارقين**>>.

فيما أرجع بعض المؤرخين سبب خروج معاوية على علي إلى تحريضه من قبل بعضهم، فقيل أن الشاميين هم الذين بايعوه على الثأر من قتلة عثمان، ويورد في ذلك صاحب "الإمامة والسياسة" أن أهل الشام، وعقب مقدم النعمان بن بشير عليهم بكتاب نائله بنت القرافصة 1 زوجة عثمان وقمصيه المخضب بالدم قام الشاميون إلى معاوية قائلين :"هو أبن عمك وانت وليه ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه اميرا عليهم " [2] بينما ذهب البلاذري إلى أن الوليد بن عقبة كان وراء تحريض معاوية إذ أورد في هذا الصدد أنه كتب إلى ذلك الاخير وصوله خبر مطالبة علي البيعة من معاوية ورفاقه قائلا :

معوي أن الشام شامل فاعتصم بشامك لا تدخل عليك الأفاعيـــا
وحام عليه بالقنـــــابل والقنـــا ولاتك ذا عجز ولا تلف وانيـــا
سألت عليا فيه مالا تناله ولو قلته لم يبـــق إلا ليـــــاليـــا

ثم مريت إليه يحرضه على قتال علي وأنصاره ممنيا إياه بالخلافة قائلا

ألا أبلغ معاوية من حرب فإنك من أخي ثقة مليم
يمنيك الخلافة كل كرب لا نقاض العراق بهد رسيم
طويت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق وما تريم
فلو كنت العقيل وكان حيا لشمر لا ألف ولا سؤوم [3]

---

[1] – علي سعد الله ،مرجع سابق ،ص 196–197.
[2] – الناكثين:يقصد طلحة والزبير،ابن ابي حديد،مصدر سابق،ج1،ص255.
[3] – نائلة بنت القرافصة:الحنفية ، روت عن عائشة،ينظر:ابن سعد،الطبقات الكبرى،مصدر سابق،ج8،ص83 .

وذكر بعضهم أن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي هي التي بعثت بقميص عثمان إلى معاوية فأخذه إلى أبي مسلم الخولاني[1] من معاوية فكان يطوف به في الشام ويحرض

الناس على قتلة عثمان كما بالغ في الحث على الطلب بدمه كعب بن عجرة الأنصاري.[2]

[1] – أبو مسلم الخولاني: اسمه عبد الله بن ثوب، يشبه بالخليل لأن الأسود العنسي طرحه في نار باليمن فلم تضره، فلم يرتد أحد كبار التابعين الزهاد، يقول : <<أنا أولى بالسوط من الدواب>>، أدرك أبا بكر وعمر، وتوفي فقي خلافة يزيد بن معاوية ،وقال البخاري توفي في خلافة معاوية، ينظر ترجمته : ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدر سابق، مج (3–

[2] – كعب بن عجرة الأنصاري: السالمي المدني،من أهلي بيعة الرضوان، توفي عام52ه،ينظر ترجمته:ابن عثمان الذهبي، سير إعلام النبلاء،مصدر سابق،ص35–36،و انفرد بذكر هذه الرواية ابن يحي البلاذري ،نفس المصدر السابق، ص 76.

3. الانتصار الأموي: بداية الملكية

1.3.عام الجماعة:

لقد طال الصراع بين معاوية وأنصاره، وعلي وأشياعه، وانتهى النزاع بينهما بظهور الخوارج. ولأن هؤلاء أعلنوا العداء لكلا الفريقين فقد عزموا على تصفية أسباب الفتنة، ورأوا أن ذلك لا يكون إلا بتصفية كل من علي ومعاوية وكذا عمرو بن العاص.

ما أن حلت سنة أربعين للهجرة حتى استقر رأي الخوارج على تنفيذ هدفهم حيث تجمع المصادر على أن قتل علي كان على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي [1]،الذي تقدم لخطبة امرأة تدعى قطام [2] فاشترطت عليه قتل معاوية وعلي وعمرو، فأرسل ابن ملجم الحجاج ابن عبد الله الضمري3 إلى معاوية بدمشق، فاغتنم فرصة خروجه للصلاة وطعنه بخنجر مسموم، ولحسن حظه فقد أصابه في أليته ونجا من القتل، وكذلك الحال بالنسبة لعمرو الذي نجا هو الآخر من خنجر دادويه العنبري، ذلك أن عمر كان قد استخلف على الصلاة خارجة بن حذافة لوعكة أصابته، فما كان من دادويه إلى أن طعن خارجة على أنه عمرو فارداه قتيلا [3] ، فيما تمكن ابن ملجم من علي. يقول أبو الفرج الأصفهاني:" خرج علي ينادي عند صلاة الفجر: <<**الصلاة**>>، فما أدري أنادى أم رأيت بريق السيف ؟، ورأيت قائلا يقول: <<**الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك** >>،ثم رأيت بريق سيف آخر ثانيا وسمعت عليا يقول: <<**لا يفوتنكم الرجل**>>"، وأما بالنسبة لابن ملجم فقد

---

[1] – عبد الرحمان بن ملجم: المرادي من حمير ،وهو حليف بني جبلة ، من كندة ، ينظر: ابن داود الدينوري ،مصدر سابق ،ص 313.

[2] – قطام: بنت شعبة بن عدي بن عامر بن عوف ،قتل علي أخاها في حرب صفين، وهي من تميم ،ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ، مصدر سابق ،ج1 ،ص 200–201.

[3]– ولقد اختلف فيمن حاول قتل عمرو ومعاوية ،ينظر: ابن علي الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص 13–14، ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1،ص 135–140، ابن داود الدينوري ،نفس المصدر السابق ،ص 314.

تمكنوا منه، واحتمل إلى علي فقال: <<**النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني وإن سلمت رأيت رأيي >>** [4].

فلم أرمهرا ساقه ذو سمـــــــة كمهر قطام من فصيـــــح واع
ثلاثة آلاف وعبد وقينـــــــــــة وضرب علي بالحزام المصمم
ولا إمرء أغلى من علي وإن علا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم [1]

و بالمقابل نجد الخوارج تنشد قائلة:

دسسنا له تحت الظلام ابن ملجم جزاءً إذا ما جاء نفسا كتابها

وقالوا :

يا ضربة من فتى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا [2]

بعد مقتل علي اجتمع الناس إلى ابنه الحسن، الذي بويع له بالخلافة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان للعام أربعين للهجرة. [3] وعقب مبايعته، وفي إطار رفضه تجديد الصراع مع معاوية قام الحسن بعزل قيس عن إمرة أذربيجان، التي ولاها عبد الله بن عباس، ثم خرج يريد الشام لقتال معاوية تحت ضغط جيشه إذ اجتمع إليه

---

[4] لقد وردت اختلافات في سرد مقتله إلا أن المصادر اتفقت على أنه كان على يد ابن ملجم، نفسه، ص 15-17،نفسه،ص314-315، ابن طباطبا، مصدر سابق، ص 71، ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، مج(1-2) ،ج1 ،ص 51-52.

[1] – ابن داود الدينوري، نفس المصدر السابق، ص 317.

[2] – ابن بحر الجاخظ، العثمانية، مصدر سابق، ص 300، ويؤكد هذه الأبيات ما ذهب إليه بعضهم من أن مقتله كان بتدبير من الخوارج، نفسه، ص301.

[3] – ابن خياط ،تاريخ خليفة، ص 120، ابن الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص 20، وذكروا أن قيس بن سعد بن عبادة كان أول من بايعه.

الناس بأعداد هائلة وأشاروا عليه بان يذهب إلى معاوية للقائه [1]، لكن ما أن نزل المدائن حتى اضطرب أمر أتباعه بعدما أشيع أن قيس بن سعد قد قتل، فقاموا بنهب بعضهم بعضا حتى روي أنهم انتبهوا سرادق الحسن، بل نازعوه بساطه الذي كان يفترشه، وذكر بعضهم أنه تعرض لطعنات من قبل المتمردين عليه، فما كان منه إلا أن ركب إلى القصر الأبيض بالمدائن. وأمام تفرق جيشه من حوله، رأى الحسن أن يلجئ إلى حل قد يجمع كلمة الأمة بعد تفرقها، وبذلك انطلقت جملة من المراسلات بين الطرفين كان منطلقها رسالة بعث بها الحسن إلى معاوية يدعوه فيها إلى الإحكام للصلح على ان يكون الأمر لمعاوية طول حياته فإذا توفي يعود إلى الحسن، [2] فكان رد معاوية بالقبول قائلا : <<**أني صالحت على إن لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه لا أبغيك غائلة ولا مكروها، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج فسا..>>**[3]، وأشهد معاوية على رسالته كل من؛ ابن عامر وعبد الله بن سلمة وغيرهما. وكان ذلك في ربيع الآخر عام واحد وأربعين للهجرة، ثم أن الحسن أرسل إلى معاوية قائلا: <<**إن أمنت بالناس بايعتك** >>، فتعهد له ذلك الأخير باحترام شرطه، ولما رسا أمرهما على تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية كتبا في ذلك وثيقة على يد الحسن، مجمل ما جاء فيها أن الأمر يكون لابن أبي سفيان، فإن توفي يعود شورى بين المسلمين، وأن يحكم بالكتاب والسنة وبسيرة الخلفاء من قبله [4]، فيما سار الحسن إلى الكوفة أين بايع معاوية بالخلافة التي خرجت من بين يدي بني هاشم لتعود ثانية إلى بني أمية، وكان ذلك عام واحد وأربعين للهجرة، و سمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين

---

[1]– اتفقت على هذه الرواية جل المصادر التي وقعت بين أيدينا، فيما انفرد صاحب "الإمامة والسياسة" بأن خروج معاوية عقب بلوغه نبأ مقتل علي كان سببا في خروج الحسن إليه، ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، مج 4 ،ج2 ،ص 15، ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، مج (1–2)، ج1، ص52، ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص 133.

[2] – ابن كثير،البداية والنهاية، نفس المصدر السابق، مج4، ج2، ص 15–16.

[3] – فسا: إحدى مدن فارس، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص45.

[4]– ينظر مضمون الوثيقة، ملحق رقم:

فيه على خليفة واحد [1] –***معاوية بن أبي سفيان*** –. ولقد جاءت مبايعة الناس لمعاوية بعد عدة خطب ألقاها الحسن محاولا إقناعهم من خلالها بتسليم الأمر إليه، ومما جاء في إحداها :<<...**إن هذا الأمر الذي سلمته لمعاوية إما أن يكون حق رجل كان أحق به مني فأخذ حقه، وإما أن يكون حقي فتركته لصلاح أمة محمد وحقن دمائها...>>**، ثم أنه دعا الناس إلى مبايعة معاوية قائلا: << **ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج فيبايع، ألا وإني طلبت بدم عثمان، قتل الله قاتليه ورد الأمر إلى أهله...** >>[2] ، وبذلك صدق قول النبي ﷺ:<<**إن إبني هذا الحسن سيصلح الله به بـــــين فئتين عظيمتين من المسلمين...**>> [3].

على الرغم من أن جل الروايات تصور أن الجميع رضي بالصلح إلا أن الغموض يبقى مسيطرا على المواقف المختلفة من ذلك، إذ لم تتطرق الروايات إلى كيفية بيعة الخوارج ومدى رضاهم بمعاوية غير ما ذكرته من تكفيرهم للحسن قائلين : << **كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله** >>، ويبدو من خلال الروايات أنهم كانوا في جيشه أثناء خروجه إلى الشام، فلما اضطرب أمر أتباعه كفروه، فيما نجد شيعة علي تظهر الأسف والحسرة على ترك القتال، ويذكر البلاذري أنهم خرجوا إليه بعد سنتين من يوم مبايعة معاوية، فقال له أحدهم: <<**ما ينقضي تعقيبا من بيعتك معاوية** >>[4]، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو كره الحسن للقتال منذ أيام والده الذي نصحه بعدم الدخول مع معاوية في قتال وأن يتنازل إن اقتضى الأمر ذلك.

---

[1]– ابن يحي البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص 287.

[2] – ابن علي المالكي –قوت لقلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، مطبعة مصطفى الباي الحلبي ، مصر،1961، ص 85.

[3]– ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، مج (1–2) ج1، ص 52، وورد باختلاف طفيف لدى بعض المؤرخين مثل :ابن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء، مصدر سابق، مج2، ج2، ص20 : <<ابني هذا ريحانتي، وإن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين >>.

[4] – ابن يحي البلاذري ،نفس المصدر السابق ،ص 290.

2.3.إفرازاته و تجلياته:

انتهت الفتنة الكبرى بمقتل علي و انتقال الخلافة من بني هاشم إلى بني أمية بعدما تنازل عنها الحسن بن علي بن معاوية بن أبي سفيان حقنا لدماء المسلمين و محاولة لإعادة توحيدهم تحت راية واحدة بعدما انقسمت صفوفهم أيام الصـــــــراع بيـــــن علي و معاوية[1].

لقد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية شريطة عودتها إليه في حالة وفاته –أي معاوية–

ودخلت بذلك الدولة في خلافة معاوية. فإلى أي مدى كان التزام معاوية بشروط الاتفاق الذي عقده مع الحسن عام الجماعة؟.

دخلت الدولة مرحلة الحكم الأموي على يد معاوية بن أبي سفيان لمبايعته من قبل جل المسلمين، فعمد هذا الخير إلى تبني سياسة رأى أن من شأنها إعادة الأمن إلى الدولة التي باتت سلطتها بيدها .فما الذي فعله معاوية بعد استلامه السلطة؟

لقد لجأ هذا الأخير إلى تبني سياسة رأى انه بإمكانها إعادة الأمن و الاستقرار إلى الدولة و لأنه استلم السلطة في وقت انقسم فيه المسلمون على أنفسهم فقد رأى قطع أوصال التمرد بالقوة فارضا في ذلك سياسة جديدة، إذ شهدت الدولة على عهده البناء الفعلي لأجهزتها التي ساعدته في تنفيذها حنكته السياسية و مهارته الحربية[2].

قد حاول معاوية انتهاج سياسة تعتمد على القوة لكبح جناح أي تمرد، و في إطار تنظيمه للدولة عمد إلى إعادة تنظيم توطين القبائل بالأمصار الإسلامية، من ذلك حركة

---

[1] حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،ط14، دار الجيل، بيروت، 1996، ص 35–36.

[2] محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 191.

إعادة التوطين التي شهدها عهده بمصر التي حاول فيها التقليل من سيطرة العنصر السبئي عن طريق تهجير أعداد هائلة من العرب [1]، أما سياسيا قد اقتبس أنظمة النظام الملكي الكسروي، ولقد قامت دولته على التمييز المبني على التعصب للعنصر العربي و الأموي منهم على وجه التحديد، و في إطار ذلك عمد معاوية إلى جعل مسلمي البلاد المفتوحة بمثابة موالي إذ أوكل إليهم الحرف التقليدية فيما اعتبر القرشيين أشرافا[2].

و كنتيجة لهذه السياسة أعلن الخوارج عن حركة تمردية مقابل حركة أخرى أعلن عنها الموالي في إطار المطالبة بالمساواة، و شعارهم في ذلك : أن الله بعث نبيا للناس كافة و لم يجعله حكرا لأحد.

ثم ما لبثوا معاوية حتى أعلن عن تولية العهد بعده لابنه يزيد [3] رغم معارضة كبار الصحابة على رأسهم عبد الله بن عمر [4] لذلك، انتقلت بذلك السلطة إلى مرحلة جديدة على نمط النظام الملكي الكسروي إذ لم ينتهي احتكارها عند يزيد بل سيوليها هذا الأخير إلى أبنائه من بعده.

لقد أفضى انتقال السلطة من النظام الشوري إلى الملكي إلى ظهـور فتن من نوع آخر حملت شعار العودة إلى النظام الشوري بداية بثورة عبد الله بن زبير لتتوالى بعـدها سلسلة من الحـركات التمرديـة[5] التـي ووجهـت بالقـمـع الأمـوي.

---

[1] بن علي المقريزي، البيان و الإعراب عما في أرض مصر من الخراب ، مطابع سجل العرب ،(د ب ن)، (د ت ن)، ص 220.

[2] محمد عابد الجابري نفس المرجع السابق، ص 195.

[3] يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

[4] ابن قتيبة الدينوري،مصدر سابق، ج1، ص 201.

[5] لطيفة البكاي ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي(37-132هـ) ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت، 2001، ص 100-104.

الخاتمة

خلص بنا تناوب الفتنة الكبرى بالدراسة إلى الخروج بجملة من الاستخلاصات نجملها في:

مثلث الفتنة الكبرى منعطفا حاسما ونقطة تحول في تاريخ الأمة الإسلامية ولقد جاءت هذه الأخيرة بحصيلة تاريخية للتطور السريع والمذهل الذي شهدته الدولة عقب قيادتها لحركة فتوح واسع مكنتها من إعلاء مكانتها و الاستعلاء على الأمم والكيانات السياسية المجاورة.

و لقد كانت الفتنة نتيجة للتحولات الجذرية المتسارعة في بنية الاقتصاد والمجتمع، وبصورة أوضح فقد استطاعت فئة الطلقاء المستضعفين بمكة من الوصول إلى تكوين السلطة الحاكمة بالمدينة التي بات يمثل فيها الأمويين طبقة الأثرياء في ظرف سنوات قلائل ولقد كان وراء وصولهم تلك المرتبة عوامل أقواها قيادتهم حملة الفتوح التي أدرت عليهم من عائدات أموالا طائلة سواء في شكل غائم أو حصولهم على الصلح المفروض على المناطق.

لقد عرفت الدولة الإسلامية التي كانت لا تزال فتية بعد جملة من الظروف التي اقتضت إلى خلق حلة من التوتر الذي بدا جليا في عدة مواقف مثل حروب الردة والتذمر من بعض إجراءات الخلفاء كمنع أبي بكر مشاركة القبائل التي كانت قد ارتدت في عملية الفتوح،وحضر عمر خروج كبار الصحابة من قريش إلى الأنصار ، وجاء عهد عثمان الذي افتتحه بسياسة مغايرة لتلك التي انتهجها سلفه ، ليشهد انفجار التوتر في شكل ثورة تمردية قادتها حركات المعارضة في الأمصار ضد السلطة بالمدينة .

صحيح إن عهد عثمان شهد تحولات كبرى مست الاقتصاد والمجتمع إلا إن تلك الأخيرة لم تكن سوى ترسبات لنتائج خلفتها سياسة سابقين، وجاءت سياسته لتزيد من الوضع تعقيدا إذ على الرغم من أن البنية الاجتماعية لا تختلف كثيرا عن تلك التي أوجدتها سياسة عمر في توطين القبائل وتنظيمها بالأمصار الإسلامية عقب فتحها،

وجاءت سياسة عثمان الاقتصادية لتخلف نوعا من التفاوت الطبقي بين مجتمع المدينة التي شهدت حالة من الثراء الاقتصادي كانعكاس لتدفق عائدات الفتوح وغيرها، وبين الأمصار التي كانت اقل ثراء منها، و لان الطلقاء–الأمويين – شكلوا قمة الهرم الاقتصادي فقد اقضي ذلك إلى تطلع بعض الفئات إلى ثرائهم مبدين التذمر من الوضع الجديد، ولان الدينة تمثل مركز القيادة، فقد أعلنت الثورة ضدها تعبيرا عن رفض بعض الأطراف لنتائج السياسة الاقتصادية الإدارية... العثمانية، وبطريقة أوضح فان عدم وجود مؤسسات الضرورية لمواجهته استيعاب التطورات الحاصلة خاصة و أنها سجلت تطورا سريعا في وقت كان فيه نظام الخلافة لا يزال حديثا بعد.

أثبتت أحداث الفتنة مدى تحكم القوى الاجتماعية في تحريك التاريخ ،لذلك جاءت نتائج الفتنة لتوضح الصراع الذي كانت وراءه الغاية الأسمى والمتمثلة في هدف الوصول إلى السلطة، وجاءت الأحداث التاريخية لتؤكد أن العقائد والقيم الاجتماعية تخضع لإعادة تأويل.

ولقد اثبت التاريخ مدى قوة تحكم المال والسلطة الذين كانا ولا يزالان من اشد الاهتمامات البشرية، في تحريك القوى الاجتماعية إذا عجزت القوى الأموية عن الصبر حيال تدفق الأموال إلى السلطة معبرين عنه ب: (هذا السواد بستان لقريش)، واعتبرت سياستهم مساسا بالعدل والمساواة، وهو ما رفضه العرب في شكل تمرد.

لقد جاء مقتل عثمان نتيجة تطلع القوى الاجتماعية إلى الوصول للسلطة التي تقوم على التسيير والإدارة والتملك – حسب رأيهم–، ومن هذا لمنطلق عملت بعض القوى العربية على مناهضة القوى الأموية، متحركة في إطار العصبية القبلية التي كثيرا ما عبرت عن حالها أيام الفتنة.

وجاء مقتل عثمان ليعمق الاختلاف والصراع إذ تحولت الأمة نتيجة ذلك إلى حالة من الانقسام الذي تجسد في وقعتي الجمل وصفين، ورغم شخصيته الحازمة إلا أن عليا لم يستطع الوقوف في وجه الانقسام إذ اثبت التاريخ عجزه عن إعادة اتفاق الاجتماعي .

إن ما أسفرت عنه الفتنة الكبرى من انقسام تطور فيما بعد ليظهر في شكل اتجاهات مذهبية لم تلبث حتى أعلنت عن نزعتها السياسية ورفضها للسلطة الحاكمة، وحيال ذلك لم يجد الأمويين بدا لإخضاعها إلا الالتجاء إلى القوة لقمعها ،ولقد أفضى ذلك إلى تحول نظام الحكم الإسلامي إلى الملكي، فإلى أي مدى سيستطيع النظام الجديد الذي فرضه الأمويون بالقوة إعادة توحيد الأمة والصمود في وجه الانقسام؟.

الملاحق

ملحق رقم 01 : صورة من وثيقة التحكيم

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى علية علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. قاضى علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية بن أبي سفيان أهل الشام ومن كان معه من شيعته والمؤمنين والمسلمين: إنا ننزل عند حكم الله وكتابه، وألا يجمع بيننا إلا إياه، و أن كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحة إلى خاتمة : نحيي ما أحيا القرآن، ونميت ما أمات القرآن. فما وجد الحكمان في كتاب الله أخذا بيننا و بينكم فإنهما يتبعانه و ما لم يجداه في كتاب الله أخذا بالسنة العادلة، الجامعة الغير مفرقة والحكمان عبد الله إبن قيس وعمرو بن العاص وأخذنا عليهما عهد الله وميثاقه ليقضيا بما وجدا في كتاب الله، فإن لم يجدا في كتاب الله فالسنة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحاكمان من علي ومعاوية ومن الجندين - مما هما عليه من أمر الناس بما يرضيان به من العهد والميثاق والثقة من الناس- أنهما آمنان على أموالهما وأهليهما. والأمة لهما أنصار على الذين يقضيان به عليهما. وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله أنا على ما في هذه الصحيفة، ولنقومنّ عليه، و إنا عليه لأنصار. وإنها قد وجبت القضية بين المؤمنين بالأمن و الاستقامة ووضع السلاح،أينما ساروا، على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم وأراضيهم،

وشاهدهم و غائبهم وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ليحكمان به بين الأمة بالحق، ولا يردانها في فرقة ولا بحرب حتى يقضيا. وأجل القضية إلى شهر رمضان، فإن أحبا أن يعجلا عجلا وإن توفى واحد من الحكمين فإن أمير شيعته يختار مكانه رجلا لا يألو عن العدالة والقسط، و إن ميعاد قضائهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الشام وأهل الكوفة، فإن رضيا مكانا غيره فحيث رضيا، لا يحضرهما فيه إلا من أرادا. وأن يأخذ الحاكمان من شاءا من الشهود ثم يكتبو ا شهادتهم على ما في الصحيفة ونحن براء من حكم بغير ما أنزل الله. اللهم إنا نستعينك على من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيها إلحادا و ظلما ».

1. ينظر : ابن مزاحم المنقري، مصدر سابق، ج8، ص 510-511.

ملحق رقم 02 : حروب الردة

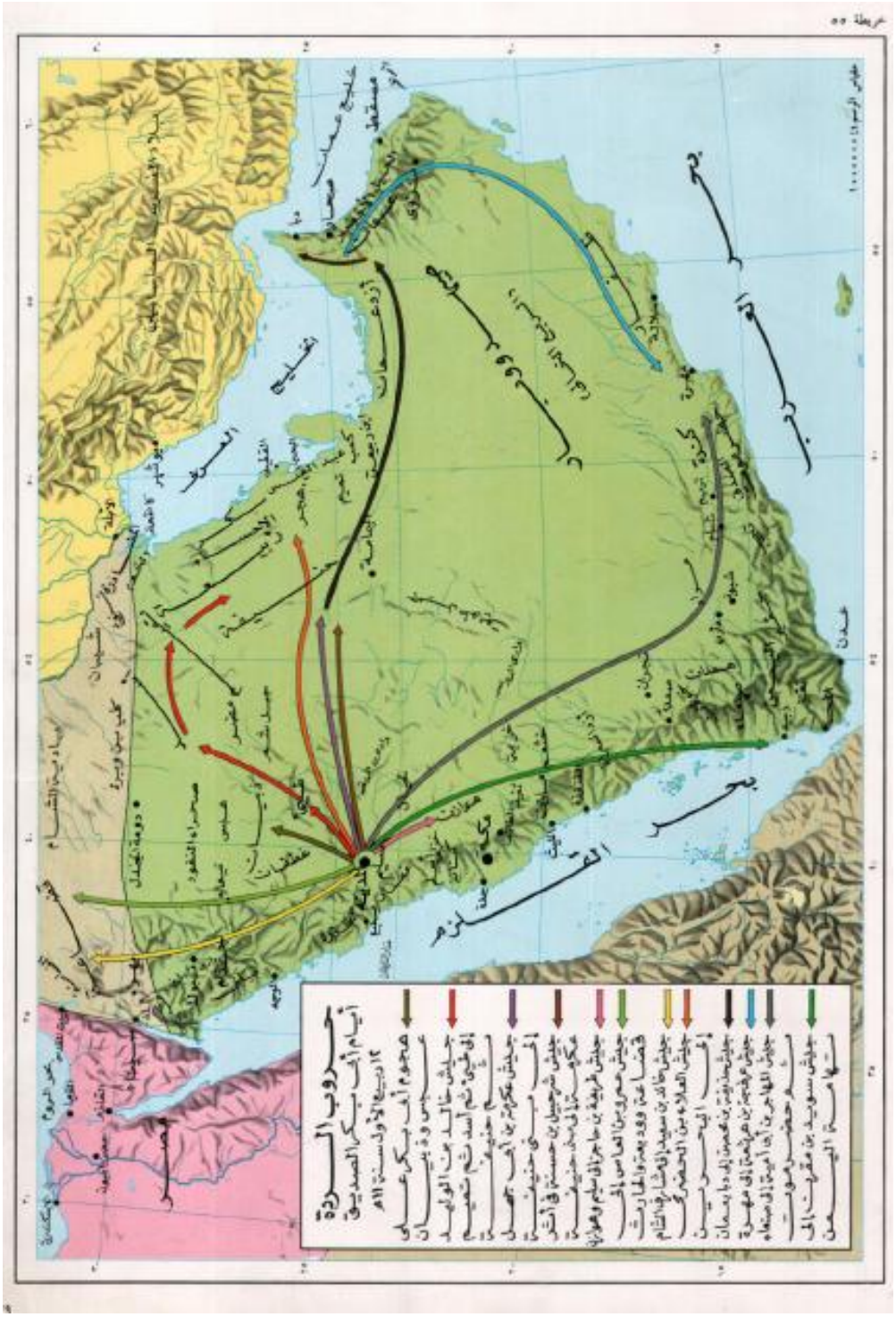

1 حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء، القاهرة، 1987، ص 79.

ملحق رقم 03:

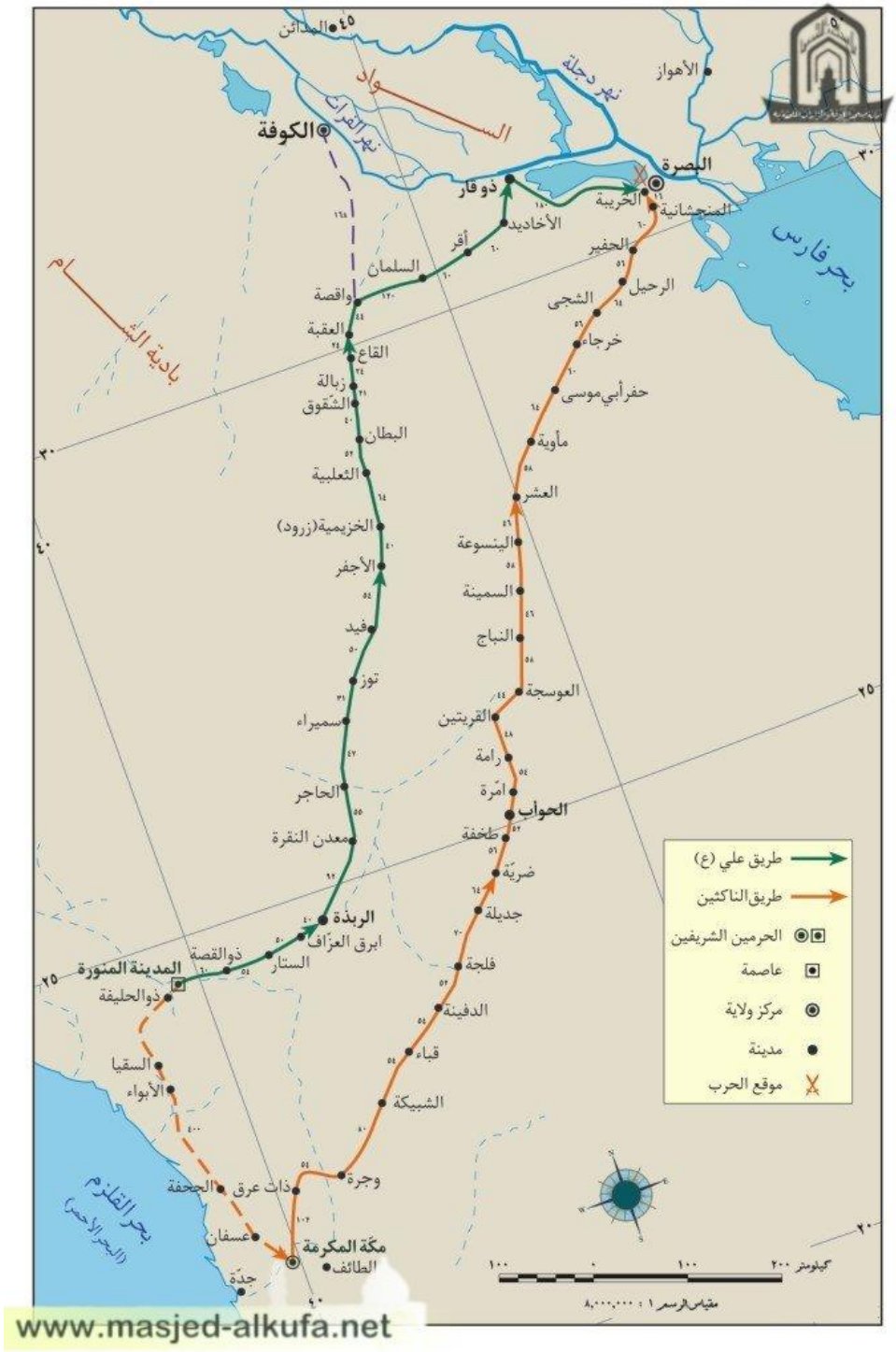

موقع الانترنت: مسجد الكوفة. تاريخ الإبحار: 2011/06/12.

http://www.masjedalkufa.net/photogallery.php?photo_id=589

ملحق رقم 04: موقعة صفين

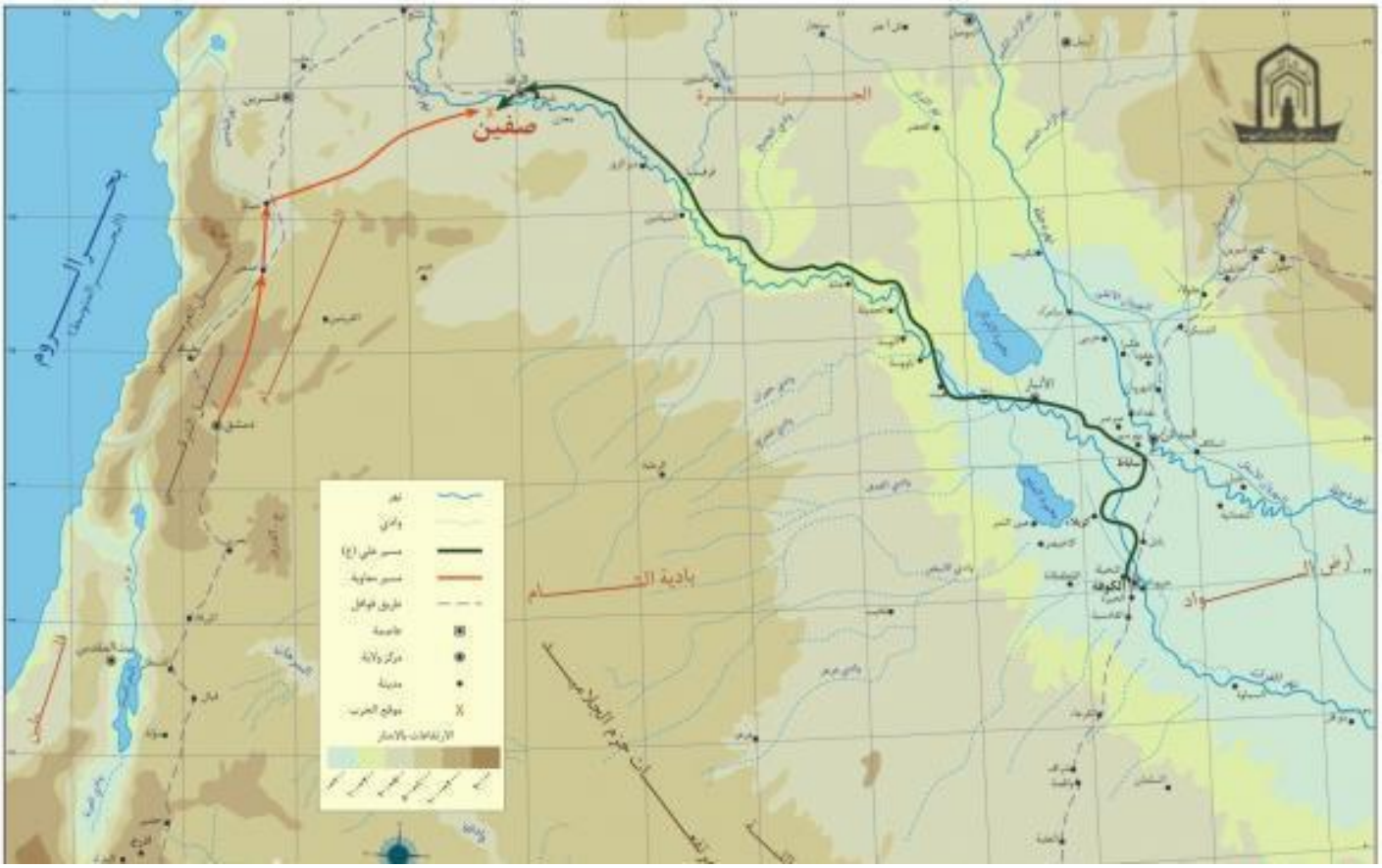

1 موقع انترنت: مسجد الكوفة. تاريخ: 12 /06/ 2011.

http://www.masjed-alkufa.net/photogallery.php?photo_id=590

ملحق رقم 05: العراق في زمن الفتنة

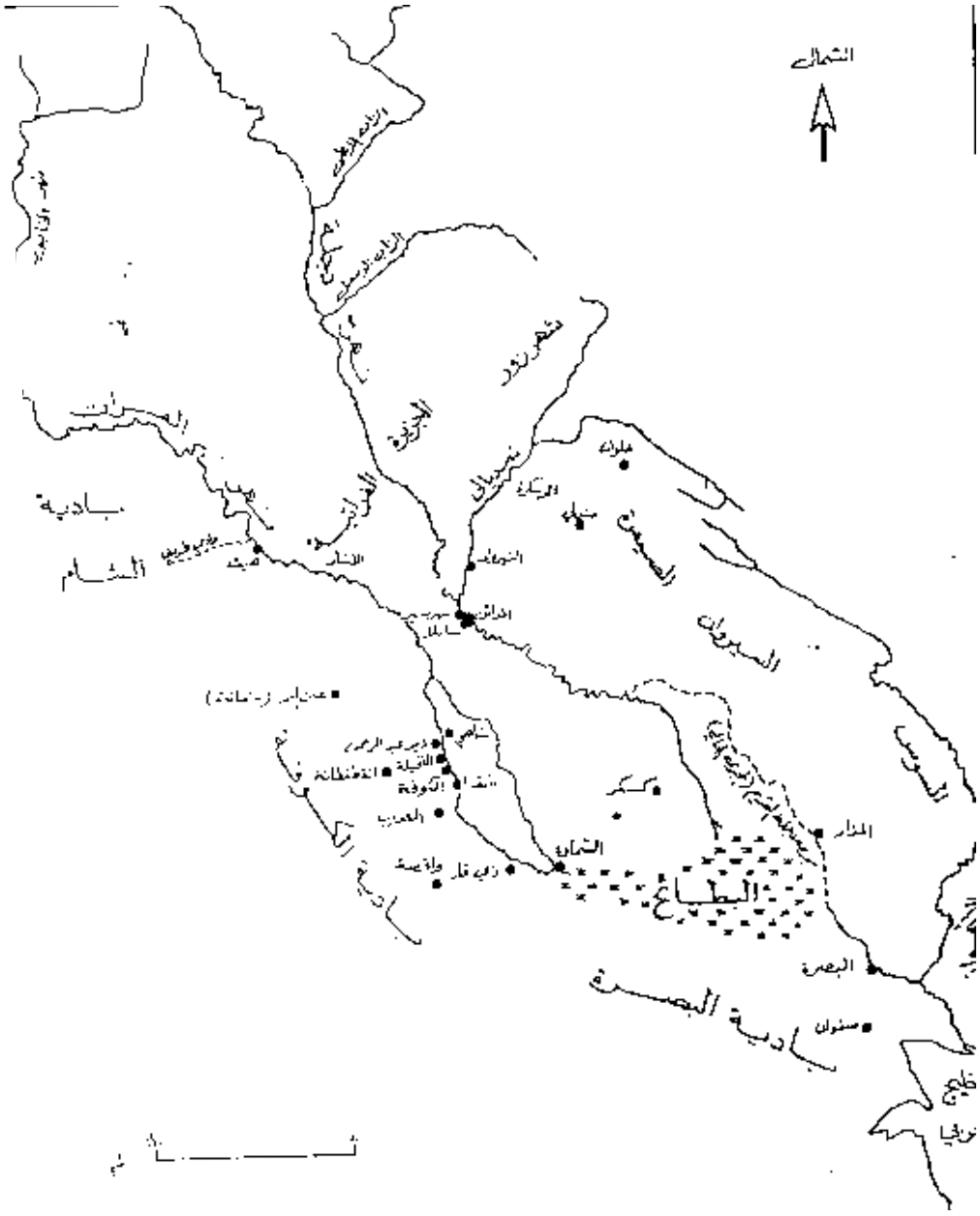

1 هشام جعيط، مرجع سابق ، ص 346.

ملحق رقم 06: الدولة الإسلامية في زمن الفتنة

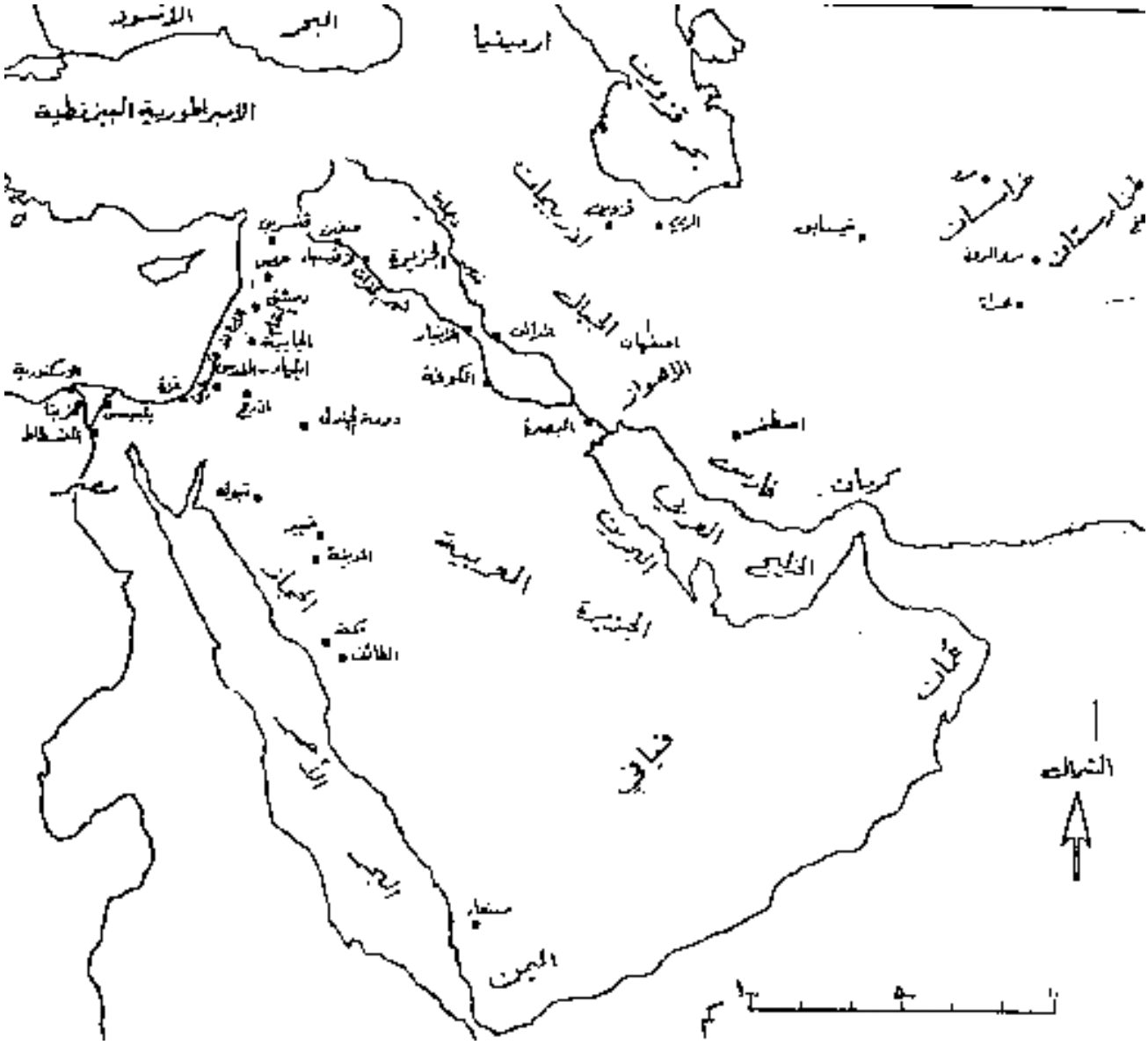

2 هشام جعيط ، المرجع السابق ، ص345.

قائمة
المصادر و المراجع

قائمة المصادر

- **القرآن الكريم.**
- **كتب السيرة و الأحاديث النبوية:**

1. إبراهيم محمد البيهقي، السنن الكبرى، تح: عبد القادر عطاء دار الباز، مكة 1994.
2. ابن أبي بكر السيوطي، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت،(د ت ن).
3. ـــــــ،ـــــ، الرسائل التسع، ط 2، دار إحياء العلوم، بيروت،1988، لبنان.
4. ـــــــ،ـــــ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت ب).
5. ابن إسماعيل النسائي، كتاب الوفاة، تح: أبو مهاجر، محمد السعيد زغلول، شكة الشهاب، الجزائر(د ت ن).
6. ابن إياس، مختصر بدائع الزهور في وقائع الدهور، دار الفجر الجديد، (د ب ن)، (د ت ن).
7. ابن تيمة، الخلافة و الملك، تح: حماد سلامة، شركة الشهاب ن و ت، الجزائر، (د ت ن).
8. ـــــــ،ـــــ، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد، ط1، مؤسسة قرطبة،.
9. ـــــــ،ـــــ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية، تق: عبد السميع جباري، موفم ن، (د ب ن)، (د ت ن).
10. ابن حبان، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
11. ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية ط4، دار الشهاب، باتنة 1987.
12. ابن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار صادر، بيروت، 2007

13. ابن عربي الطائي، الفتوحات المكية، مج 1، دار صادر، بيروت، (د ت ن).
14. ابن علي المالكي –قوت لقلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، مطبعة مصطفى الباي الحلبي ، مصر،1961.
15. ابن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التنزيل، تح : محمد الصادق قمحاوي، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1972.
16. ابن عمر المغزي، مترسدن جوتس كتاب المغازي، عالم الكتب، بيروت، 1984.
17. ابن كثير ، السيرة النبوية، تح: مصطفي عبد الواحد، مطبعة عيسى الحلبي القاهرة، 1964
18. ابن هشام، السيرة النبوية، تح: محمد السقا وآخرون، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، 1355.
19. محمد الغزالي، أسرار الزكاة، تح: عبد العال أحمد محمد، ط 1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا 1982.

- **<u>كتب التاريخ العام :</u>**

1. إبراهيم محمد البيهقي، المحاسن و المساوئ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، نهضة مصر و مطبعتها، القاهرة، (د ت ن).
2. ابن إبراهيم البخاري التاريخ الكبير، مج6 ، ق2، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت ن)
3. ابن إبراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة، ط و ن، بيروت، 1979.
4. ابن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.
5. ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 4، الفجالة الجديدة، القاهرة، 1969.
6. ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1949.

7. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقيا و تونس، تح : محمد شام، ط 3، مكتبة العتيقة، 1991.

8. ابن أحمد الأزرقي، أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار، تح: رشيدي ملحس، ط 2، دار الثقافة، مكة، 1965.

9. ابن أحمد السمهوري، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، و دار إحياء التراث، بيروت، د ت ن .

10. ابن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت 1990 (د ت ن).

11. ـــــــ، الإبانة عن أصول الديانة، تح: فوقية حسين محمود، ط 1، دار الأنصار، 1977

12. ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ط1، دار الأضواء، بيروت 1991

13. ابن الآبار، الحلة السيراء، تح :حسين مؤنس ،ط 1،ج1،الشركة العربية ط و ن 1963،

14. ابن الأثير الجرزي، الكامل في التاريخ، دار بيروت ط و ن، بيروت، 1982.

15. ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب ط1، الزهراء، الجزائر، 1990.

16. ابن الحسين الأصفهاني، الأغاني، تح، قصي الحسني، مكتبة الهلال، بيروت، 2002.

17. ابن الحسين، غاية الأماني في إخبار القطر اليماني، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور دار الكتاب العربي، القاهرة 1968.

18. ابن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق في مواقف الصحابة بعد وفات النبي، ط4، تح: محب الدين الخطيب، دار الكتب العلمي، 2007.

19. ابن النديم الفهرست، تح : مصطفى الشويحي، الدار التونسية، تونس، 1985.

20. ابن بحر الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك، تح: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية ن و ت، بيروت، (د ت ن).

21. ابن بحر الجاحظ، البيان و التبين و أهم الرسائل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،(د ت ن).
22. ـــــــ،ـــــ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2 ،1965
23. ـــــــ،ـــــ، العثمانية، العثمانية، تح عبد السلام محمد هارون، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1991
24. ابن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون ، (د د ن) (د ب ن)، (د ت ن)
25. ابن برهان الدين الحلبي، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د ت ن).
26. ابن بكار: جمهرة نسب قريش و أخبارها، شر: محمود محمد شاكر، مكتبة خياط، بيروت، (د ت ن).
27. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة، المؤسسة المصرية العامة ن و ط، (د ب ن) (د ت ن).
28. ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، دار القاموسين الحديث ط و ن، بيروت، (د ت ن).
29. ـــــــ،ـــــ، تاريخ الأمم و الملوك، ج2، دار القاموسين الحديث، ط و ن، بيروت، (د ت ن).
30. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل و النحل، (د د ت)، (د ب ن)، (د ت ن).
31. ـــــــ،ـــــ، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962.
32. ابن حسن البغدادي، المحبر، تر:ابن الحسن السكري ،مركز المطبوعات الجامعية، بيروت، (د ت ن).
33. ابن خلدون، تـــاريخ ابن خلـــــدون ج2، (د د ن)، (د ب ن)، (د ت ن).
34. ابن خياط، تاريخ خليفة، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، 1985
35. ابن داود الدينوري، الأخبار الطوال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2001

36. ابن رجب الحنبلي، الاستخراج في أحكام الخراج، تح: مركز الدراسات الفقهية و الاقتصادية، (د ب ن). 1997.

37. ابن سهل البلخي، البدء و التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997،

38. ابن طاهر البغدادي ، الفصل في الملل والنحل ، تح: ألبير نصري نادر ،دار المشرق بيروت ،1986

39. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تص: أحمد أمين و آخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.

40. ابن عثمان الذهبي العبر في خبر من غبر، ط1، دار الكتب العلمية، بيوت، 1985

41. ـــــــ، ـــــ، الخلفاء الراشدون، تح: حسام الدين القدسي، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1992.

42. ـــــــ، ـــــ، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، تح بشار غواد معروف ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

43. ابن علي الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ط2، الشريف الرضا، ن، (د ب ن)، 1374

44. ابن علي البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى عام 463 هـــ، .دار الفكر، القاهرة، (د ت ن).

45. ابن على القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج 1، مطابع كوستاسوماس، القاهرة ،(د ت ن).

46. ابن علي المسعودي ،أخبار الزمان، ط3، دار الأندلس بيروت، 1978

47. ـــــــ، ـــــ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تح ،: محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، ج2،السعادة ن و ت، مصر 1384.

48. المقريزي ، البيان و الإعراب عما في أرض مصر من الخراب ، مطابع سجل العرب ،(د ب ن)، (د ت ن).

49. ـــــــ،ـــــ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، مطابع سجل العرب ،(د ب ن)، (د ت ن).

50. ـــــــ،ـــــ، الخطط المقريزية – المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، تح: محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

51. ابن عمر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، ط: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط$_1$، دار الكتاب العربي، (د ب ن)، 1986

52. ابن عمر الضبي،الفتنة و وقعة الجمل، تص: أحمد راتب عرموش، ط $_6$، (د د ن)، (د ب ن)، 1986.

53. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، ط$_1$، دار الكتب العلمية، بيوت، 2009

54. ـــــــ،ـــــ، المعارف، تص: محمد بن إسماعيل الصاوي، ط 2، دار الكتب المصرية، 1970.

55. ـــــــ،ـــــ، عيون الأخيار، المؤسسة المصرية العامة ن و ت، مصر، (د ت ن).

56. ابن كثير، البداية و النهاية، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 2006م

57. ابن محمد الكلبي، كتاب الأصنام، تح: أحمد زكي، الدار القومية، ط و ن، القاهرة،(د ت ن).

58. ابن مزاحم المنقري ،وقعة صفين ،تح: عبد السلام محمد هارون،ج 1 ، دار الجيل،بيروت ،1990

59. ابن معين، تاريخ ابن معين، تح: أحمد نور الدين سيف، دار المأم ــون دمشق (د ت ن).

60. ابن يحي الماوردي، الأحكام السلطانية الولايات الدينية، المحمودية، مصر، (د ت ن).

61. ابن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ط$_1$،(د د ن)، القاهرة،(د ت ن).

62. ابن يزيد المبـــرد، الكامل، ع: محمد أبو الفضل إبراهيم و غيره، دار نهضة مصر ،القاهرة، (د ت ن)

63. أبو المظفر الأسفرايني، التبصير في الدين، تح كمال يوسف الحوت، ط 1، عالم الكتب، 1983.

64. أحمد بن نصر الداوودي، الأموال، تح: محمد سراج و آخرون، ط 2،(د د ت) ، القاهرة، 2006

65. سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تح:إحسان عباس، دار الشروق، ط1، س1،القاهرة 1985.

66. ـــــــ،ـــــ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تح:إحسان عباس، دار الشروق س1،القاهرة 1985.

67. شهاب الدين السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م، ص 2، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1983

68. شهاب الدين بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب، س 3، الباب 1، مطابع كوستاسوماس، القاهرة، (د ت ن)

69. عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الفكر، بيروت، 2004

70. قاسم بن السلام، الأموال، تح: محمد حامد الفقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1335.

- **كتب السير و المعاجم :**

أ.السير و الطبقات :

1. ابن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1989
2. ـــــــ،ـــــ، كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر 1979.

3. ابن إسحاق الأصفهاني معرفة الصحابة تح: عامر حسن صبري، ط1، (د د ن)، (د ب ن)، 2005

4. ابن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، تح: محمود إبراهيم زايد، ق1، دار الوعي، حلب، 1976.

5. ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيوت، 1980

6. ـــــــ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، أفشادات، (د ب ت).

7. ـــــــ، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت 1980.

8. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت ن).

9. ابن الخطيب السلماني، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، (د ب ن) ، 1316.

10. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت ن)، ص 60،

11. ابن خلكان،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: حسان عباس، مج 3، دار الثقافة، بيروت، د ت ن.

12. ابن سعد،العشرة المبشرين بالجنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت ن).

13. ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ط2، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1948

14. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة أسماء الأصحاب، الكتاب العربي، بيروت (ب ت ن) .

15. ابن عبد الله الأصباهني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط 3 ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980.

16. ابن عثمان الذهبي، تذكره الحفاظ، تح: حمدي السلفي، ط 1، دار الصميعي، الرياض، 1415 .

17. ـــــــ، ـــــ، سير أعلام النبلاء، تح: محمد أسعد طلس، دار المعارف، القاهرة، (د ت ن)

18. ـــــــ، ـــــ، ميزان الاعتدال في نقد الر جال، تح : علي محمد البجاوي، ط1، ق1، دار إحياء الكتب، (د ب ن) ، 1963.

19. ابن عربي، محاضر الأبرار و مسامرة الأخيار في الأدبيات و الـــنوادر و الأخبار، دار اليقظة العربية، 1968 .

20. ابن علي الشهرستاني، الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، شركة مصطفى الحلب، (د ب ن)، (د ت ن).

21. ابن قدامة المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار،تح: على نويهض، دار الذكر، (د ب ن)، (د ت ن).

22. ابن محمد المالكي، رياض النفوس، تح: بشير البكوش، ط 2، دار الغرب الإسلامي، 1994.

23. أبو القاسم الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، ض: طه عبد الرءوف دار الفكر(د ب ن) (د ت ن).

24. أحمد الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، تح:عيسى الحميري، دار العرب الإسلامي، بيروت، (د ت ن).

ب.المعاجم:

1. ابن خرداذبة، المسالك و الممالك، دار الصادر، بيروت، 1889.

2. ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح:علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1،ج 2،1954.

3. ابن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادق، بيروت، (د ت ن)

4. ابن منظور، لسان العرب الدار المصرية، (دب ت)، (دت ن).

5. ابن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق، مصر، (د ت ن).

قائمة المراجع

- حســـن إبراهيم حســـــن، تـــــاريخ الإسلام السيـــاسي و الديـــني و الثقـــافي و الاجتماعـــي،ط14، دار الجيل، بيروت، 1996.
- عبد العزيز الدوري، مقدمة في صدر الإسلام و الدولة الأموية، دار صادر ، بيروت 1955.
- علي سعد الله، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، ط 1، دار مجد لاوي، الأردن، 2003
- غرت علي عبد عطية وآخرون ،ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1972
25. لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـــ) ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت، 2001.
- محمد بن حسن ياسين نصوص الردة في تاريخ الطبري المكتب العالمي ط و ن، بيروت، 1973.
- محمد رضا، عثمان بن عفان ذو النورين، ط1، المقطم ن و ت، القاهرة، 2005.
- محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990.

الأطالس و الموسوعات :

- حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء ، مصر ، القاهرة ، 1987 .
- قصي الحسين ،موسوعة التاريخ الإسلامي ،الحضارة العربية ،العصر الإسلامي .

مواقع الإلكترونية :

-موقع الانترنت: مسجد الكوفة. تاريخ الإبحار: 2011/06/12.
http://www.masjedalkufa.net/photogallery.php?photo_id=589
-موقع انترنت: مسجد الكوفة. تاريخ الإبحار: 12 /06/ 2011.
http://www.masjed-alkufa.net/photogallery.php?photo_id=590

الفهرسة

الفهرست

ثبت المختصرات	
شكر و عرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ
مدخل: الجذور التاريخية لتكوين السلطة في الدولة الإسلامية.	09
إرهاصات الفتنة: دراسة لجذورها التاريخية.	21
العهد العمري و سياساته	22
السياسة الإقتصادية	26
السياسة الإجتماعية	29
إفرازات السياسة العمرية	34
على المستوى الإجتماعي	34
على المستوى الإقتصادي	36
آلات السياسة العمرية	38
نهاية العهد العمري	42
مقتل عمر : دلالاته و أبعاده	42
اختيار عثمان : آلياته و حيثياته .	48
وقائع الفتنة في زمن عثمان : دوافعها و مجرياتها	51
عثمان بن عفان سياساته و انعكاساتها	51
سياساته : (أ- الإدارية . ب - الاقتصادية)	52
انعكاساتها : (أ - على الاقتصاد . ب – على المجتمع)	60
ظهور التذمر و دور سياسة عثمان فيه .	63
الثورة على عثمان : أسبابها و مجرياتها	67
دراسة الأسباب	67
التمرد و فرض الحصار	73

مختصر مواقف كبار الصحابة و بني أمية	81
مواقف كبار الصحابة (أ- أصحب الشورى . ب – لمحة عن مواقف بعض الصحابة)	91
موقف بني أمية	91
الانقسام الداخلي للأمة و انعكاساته	94
وقعة الجمل	94
دراسة الأسباب	94
مجرياتها	100
انعكاساتها	105
حتمية الصدام بين علي و معاوية	107
مجريات وقعة صفين .	107
التحكيم بين الطرفين : البحث عن المخرج	113
الانتصار الأموي : بداية الملكية	123
عام الجماعة	123
إفرازاته و تجلياته	127
الخاتمة	129
الملاحق	133
قائمة المصادر و المراجع	141
الفهرست	153